بوزياني الدراجي

عبد الرحمان الأخضري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره







الكاتب والباحث الجزائري

بوزياني الدراجي

عبد الرحمن الأخضري

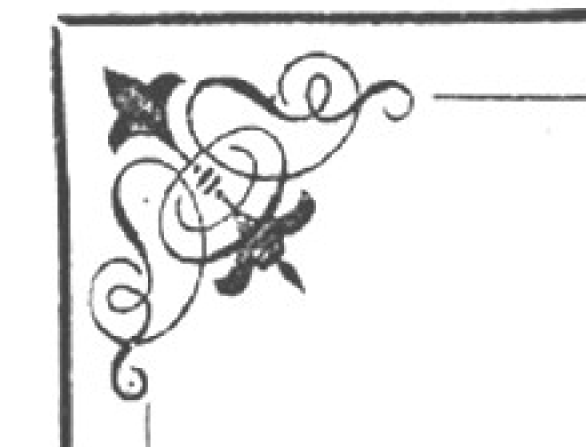
العالم الصوفي الذي تفوق في عصره

الطبعة الثانية

2009م








بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ







الإهـــداء

ــ إلى أبي وأمي العزيزيـــن؛ صـــاحبي الفضـــل فيمـــا وصلـــت إليـــه.

ــ إلى زوجـــتي الفاضلـــة الوفيـــة؛ الـــتي تحملـــت الصعـــاب في سبيـــل تحقيـــق مـــا أتمنـــاه في الحيـــاة.

ــ إلى بنـــاتي وأبنـــائي؛ فلـــذات كبـــدي، والزهـــرات الـــتي استنشـــق عبيرهـــا وأعيـــش مـــن أجلهـــا.







مقدمة الطبعة الثانية

لقي كتاب العلامة **عبد الرحمن الأخضري** ــ والحمد الله ــ إقبالاً حميداً؛ فنفدت أعداد الطبعة الأولى بعد مدة قصيرة. وكنت أتمنى إصدار طبعته الثانية، وأنتظر الفرصة التي تسمح بها إمكاناتي لإصدار ذلك العمل الهام.

ولم يطل الوقت؛ حتى تحقق ما تمنيته؛ وذلك عندما اتصل بي صاحب مؤسسة بلاد للنشر (Bled Edition) طالباً نشره بواسطة مؤسسته، وبدعم من وزارة الثقافة الجزائرية.

وعلى هذا؛ سعيت جاداً لمراجعة الكتاب، وتنقيحه، وإضافة معلومات ومواد وأعمال لم تتضمنها الطبعة الأولى؛ مثل:

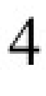
ــ كتاب السراج في علم الفلك.

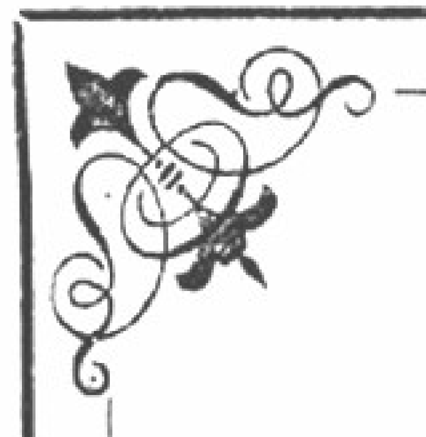
ــ والمنظومة المسماة أزهار المطالب في الإسطرلاب.

ــ والقصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.

ــ والقصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان.

وبهذه المناسبة أقدم شكري وامتناني إلى حفيد العلامة **عبد الرحمن الأخضري**؛ الأستاذ **علي الأخضري بن عباس البنطيوسي**؛ على ما قدمه إلي




مـــن عـــون؛ بتمكيـــني مـــن بعـــض أعمـــال **الأخضـــري**؛ الـــتي لـــم تنشـــر في الطبعـــة الأولى. كمـــا أشكـــر الأستـــاذ **سعـــد السعـــود خشـــاب**؛ الـــذي زوّدني بنسخـــة مـــن مخطـــوط **الحسيـــن الورثـــلاني**؛ الـــذي شـــرح فيـــه **قدسيـــة الأخضـــري**؛ مسجلـــة عـــلى قـــرص مضغـــوط؛ وأصلهـــا محفـــوظ **بالزاويـــة العثمانيـــة بطولقـــة**.

وجملـــة القـــول؛ أرجـــو مـــن اللـــه أن يوفقـــني ويعينـــني؛ كي أقـــدم هـــذا العمـــل في أحســـن صـــورة وأفضـــل محتـــوى. واللـــه ولي التوفيـــق.

بوزيـــاني الـــدراجي

الجزائـــر 15 فبرايـــر 2009م

□



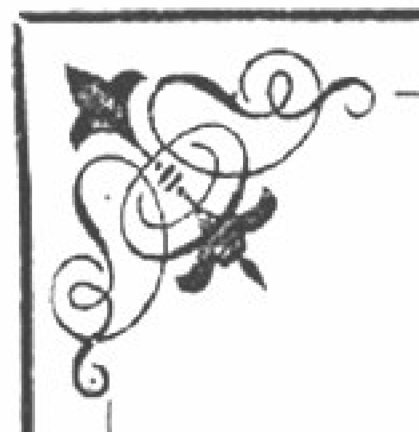
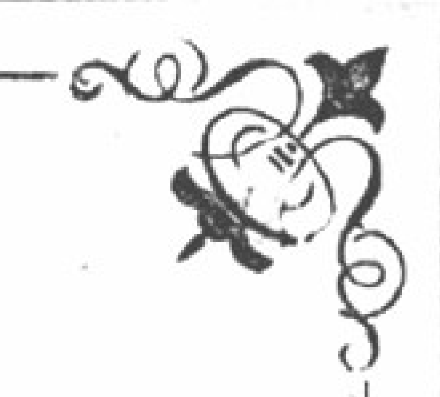



مقدمة الطبعة الأولى

راودتني فكرة الكتابة عن العلامة **عبد الرحمن الأخضري** منذ فترة؛ إلى أن سنحت هذه الفرصة المحفزة؛ فشرعت ــ عندئذ ــ فيما نويته من قبل. والذي أغراني ــ في الحقيقة ــ على الكتابة عن هذا الرجل العظيم هو تميزه عن غيره من العلماء في عصره؛ إذ لم يكتف بالنهج التقليدي لعلماء ذلك العصر؛ بل سلك نهج أسلافه من علماء العصور السابقة؛ المعتنين بالعلوم العقلية إلى جانب النقلية منها. لذلك نجده قد صنف أعمالاً في **علم الهيئة، والإسطرلاب، والحساب، والمنطق**؛ إلى جانب أعمال **دينية كالقدسية والرائية** وغيره.

غير أن أهم ما يميزه؛ هو اهتمامه بنشر العلم عن طريق التدريس؛ حيث اهتم ــ بالدرجة الأولى ــ بالتربية والتعليم، ثم انهمك في كتابة المواد العلمية المطلوبة للتدريس؛ مثل: **علم النحو**؛ الذي كتب فيه منظومة تشبه الأجرومية ولكنها شعراً؛ وقد سماها **"الدرة البهية"**؛ وألف ــ أيضاً ــ منظومة في **الحساب والفرائض** من أجل تلاميذه؛ كما أنجز من أجلهم ــ كذلك ــ منظومة **الجوهر المكنون في البلاغة**؛ بالإضافة إلى أعمال أخرى سيأتي الكلام عنها لاحقاً.



المهم أن **الأخضري** وضع نفسه في خدمة التربية والتعليم؛ في وقت كانت الدولة لا تعطي اهتماماً للتعليم وأصحابه. وإلى جانب التعليم؛ كان **الأخضري** ينشغل بالعبادة والوعظ وتهذيب الأخلاق؛ حيث أصبح مقامه مركزاً للدعوة وبعث حركة التصوف النزيه والطاهر. فكان ـــ رحمه الله ـــ يخلوا إلى نفسه في أوقات معينة؛ حيث يلتزم بالذكر والعبادة، كما كان يخصص بعض الوقت للتأليف في علوم الدين والتصوف؛ مثل: **متن العبادات في الفقه، والقدسية في التصوف والوعظ، والفريدة الغراء في التوحيد**، وغيره.

ولما كنت أملك بعض أعمال هذا العلامة فقد سعيت للحصول على ما أفتقده منها؛ وعلى هذا فقد وجدت عوناً كبيراً من قبل بعض الأصدقاء والأبناء؛ حيث مدني صديقي العزيز، الشاعر الكبير **أبو القاسم خمار** بنسخة من **المنظومة القدسية**، كما زودني الأستاذ الفاضل **محمد يزيد العلوي** بنسخة من **القصيدة الرائية**؛ في الوعظ وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد تفضل بإعطائه إياها زميله الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ الذي جلبها ـــ بدوره ـــ من مدينة **غرداية**؛ لذا أجد نفسي مداناً لهم







جميعاَ بهذه المنة؛ ولا يسعني ـــ هنا ـــ إلاّ تقديم الشكر الجزيل لهم.

كما أقدم شكري وامتناني لابنتي الفاضلة **دبابش اعتدال** على عونها وحماسها لما أقوم به؛ حتى أنها بذلت جهدها لكي تحضر لي نسخة ـــ طبق الأصل ـــ من شرح **منظومة الأخضري للقدسية**؛ الذي أنجزه الشيخ **الحسين بن أحمد زروق ابن مصباح** من مكتبة **الزاوية العثمانية بطولقة**؛ فشكراً لها **ولابن** شيخ الزاوية **سعد بن عبد القادر عثماني** على مساعدتهما.

أما المنهج المتبع في أعداد هذه الدراسة فيمكن إجماله في:

ـــ تخصيص القسم الأول للتعريف **بعبد الرحمن الأخضري** ومزاياه خلال العصر الذي عاش فيه، ثم التطرق للمكانة العلمية التي يحتلها بين علماء ذلك العصر المتردي.

ـــ تخصيص القسم الثاني لدراسة مختارات مما تيسر من مؤلفات **الأخضري**؛ وذلك لتمكين القارئ من الإطلاع بوضوح على ما أنتجه هذا العلامة. علما بأن ضيق المجال ومحدودية الزمان فرضا هذا الأمر.







ـ تخصيص القسم الثالث لعرض أعمال كاملة من مؤلفات **الأخضري**؛ دون تدخل أو تعليق. وهذا ما توفر لدينا حتى الآن؛ على أن نلتزم بإضافة ما سيتوفر من أعمال أخرى في المستقبل إن شاء الله.

ويستحسن الإفادة ـ هنا ـ بأن القسم الثاني من الدراسة تطلب مني التدخل بالتعليق والشرح؛ بحيث تم الشرح في سياق النص الرئيسي وبأسلوب مختصر؛ بينما كتبت التعاليق المقتضبة والإحالات في الهوامش السفلية. كما أُلْفِت نظر القارئ الكريم إلى بعض التدخلات التي كنت أقوم بها ضمن النصوص أو الاقتباسات؛ حيث وضعت تلك التدخلات بين قوسين مربعين مثل: [...] .

وفي هذا كفاية؛ وعلى الله التوفيق

بوزياني الدراجي

الجزائر في 24/06/ 2005.




سيدي عبد الرحمن الأخضري[1]

هو الشيخ العلامة، الإمام، الصوفي، الزاهد، الورع، التقي، المستقيم، الأستاذ، المعلم، المصلح، المجتهد، المحقق، المدقق، الباحث في شتى الفنون والعلوم، الناكر للذّات؛ **سيدي أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الصَّغَيَّرْ بن محمد بن عامر الأخضري.**[2] هذا ما ثبت حتى الآن بخصوص نسبه. لأن آراء الناس اختلفت ــ بعد ذلك ــ في تسلسل أسماء أسلافه.

وإذا كان **عبد الرحمن الأخضري** ينسب نفسه إلى الصحابي الجليل **العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي**؛ فقد شكك بعضهم في هذا النسب؛ وبالمقابل ينسبونه إلى **خضر بن عامر بن رياح**؛ زاعمين ــ في الوقت نفسه ــ بأنه ينتسب إلى بطن من بطون

---

[1] أهم المراجع التي تتضمن ترجمة لعبد الرحمن الأخضري هي: دائرة المعارف الإسلامية، مج: 1 . حرف الألف. ورحلة الحسين بن محمد الورتلاني المسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ص ص: 5 ــ 6 . 87 ــ 88. و"الأعلام" للزركلي، ج: 4، حرف العين. و"تاريخ الجزائر العام" للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ج: 3، ص ص: 79 ــ 81. و"معجم المطبوعات العربية والمعربة"، مج: 1، حرف الألف، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، حرف الألف. و"تاريخ الجزائر الثقافي" للدكتور سعد الله الذي اعتمد ــ بدوره ــ على مخطوط "العقد الجوهري في التعريف ... الأخضري" للأحمد بن داود؛ كما استعان أيضاً بالترجمة التي قام بها لوسياني "للسلم المرونق". ثم "الرحلة الكبرى" للناصري.

[2] ورد اسمه في دائرة المعارف الإسلامية بطريقة مخالفة للمعهود؛ وهي: ((الأخضري: الصدر ابن عبد الرحمن بن أمير بن الوالي الصالح السيد الصغير بن محمد البنتيوسي المالكي: مؤلف عربي لا نعرف عن حياته شيئاً، له منظومتان ذائعتان: (1) "الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون" في البلاغة... (2) "السلم المرونق" في المنطق)). ج: 1، ص: 514.

الدواودة؛[1] وبذلك فهم يخلطون بين سلسلة **خضر ابن عامر بن رياح**، والسلسلة التي تشمل **الدواودة** أبناء **داود بن مرداس بن رياح**. غير أن أبناء السلسلة الأولى والسلسلة الثانية لا ينتمون ــ بالطبع ــ إلى بعضهم بشكل مباشر؛ حتى وإن كانوا أبناء عمّ؛ يجمعهم نسب جدهم **رياح بن أبي ربيعة بن نَهيك ابن هلال**.[2]

وفي المقابل؛ يضع **الأخضري** نفسه ضمن سلسلة أخرى؛ لا علاقة لها بما قيل؛ وتلك السلسلة تمتد في قبيلة **بني سليم**؛ المختلفة تسلسلياً عن **بني هلال**. وعلى هذا؛ لا يوجد ما يستدعي نكران انتساب **الأخضري** للصحابي **العباس بن مرداس**؛ خاصة وأن الذين أنكروا هذا النسب لم يقدموا تعليلاً واضحاً ومفيداً. لذا فاحتمال صحة نسب **عبد الرحمن الأخضري للبعاس بن مرداس** ليس بعيداً؛ خاصة وأن هذا الصحابي ينتمي لقبيلة **بني سليم**؛ وقد كان بين الوافدين ــ من **بني سليم** ــ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3] كما تقول المصادر أنه

---

[1] تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 79.

[2] العبر، مج: 6، ص ص: 69 ــ 80. القبائل العربية في المغرب، ص ص: 212 ــ 215. 353.

[3] أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 1، ص: 307.

بقي في البادية قرب **البصرة**؛[1] حيث تتواجد أحياء من **بني سليم**. إذن؛ فما المانع أن ينتقل بعض أحفاد **العباس ابن مرداس** مع جموع **بني سليم** إلى بلاد المغرب..؟

هذا ما يمكن قوله بخصوص نسب **الأخضري** من جهة أبيه؛ أما نسبه من جهة أمه؛ فلا توجد معطيات تستحق التوسع والشرح؛ سوى أن أمه اسمها **حَدَّة**، وهي من **تفلفال بغسيرة**؛ تلك القرية المحفوفة بالنخيل والأشجار، والممتدة بامتداد **الوادي الأبيض**؛ بمياهه العذبة الرقراقة، والمتكئة إلى سفوح جبل **الأوراس** الأشم. وخبر أمه نقله الشيخ **الجيلالي**؛ عن الشيخ **عبد المجيد بن حبة**.

ـ مولد الأخضري:

وكما اختلف الناس في نسب **الأخضري**؛ تضاربت أقوالهم أيضاً حول تاريخي ميلاده ووفاته. فبينما يرى بعضهم أنه ولد في سنة 910 هـ/1504م، وتوفي في سنة 953هـ/1546م؛ يقول آخرون أنه ولد في عام 818هـ/1512م وتوفي في عام 983هـ/1546م. ومن جهة أخرى يزعم بعض الباحثين أنه ولد في

---

[1] **الإصابة في تمييز الصحابة، ج: 2، ص: 272. والاستيعاب في معرفة الأصحاب، في هامش الإصابة، ج: 3، ص: 101.**

عـــام 920هـــ/1514م وتـــوفي: إمـــا في عـــام 982هــ/1574م أو في 983هــ/1975م. ويبـدو أن دافعهـم لذلـك هـو مـا ورد في بيـت **للأخضـــري** حيـــن نظـم **"الـدرة البهيـة"**؛ الشبيهـة بالأجروميـة؛ حيـث قـال:

تَـمَّ بِحَمْـدِ اللَّـهِ مَا قَصَدْنَـا
مِـنْ نَظْـمِ هَـذِهِ الَّـتِي أَرَدْنَـا
سَمَّيْتُهَـا بِالـدُّرَّةِ البَهِـيَّـهْ
فَهْيَ لِمَـا فِي **أَصْلِهَـا** مَحْوِيَّـهْ
وَكَـانَ فِي مُحـرَّم الحَـرَامِ
بَـدْءاً وَخَتْمُنَـا لِـذَا النِّظَـامِ
فِي إحْـدَى وَثَمَانِيـنَ سَنَـهْ
من بعـد تسعمائـة مستحسنـه

وعـلى هـذا؛ فقـد اعتقـد العالمـون بالأبيـات المذكـورة أنـه كـان حيـاً في هـذه السنـة عـلى الأقـل.[1] ولكـن **الدكتـور سعـد اللـه** رأى في ذلـك البيـت تصحيفـاً؛ حيـث يحتمـل أن تكـون كلمـة **"ثمانيـن"** قـد استبدلـت **"بثلاثيـن"**.[2] ويبـدو أن رأيـه لا غبـار عليـه؛ خاصـة وأن البيـت المقصـود لا يستقيـم وزنـه مـع سيـاق النظـم.

---

[1] بوعبدلـلي، الأصالـة، جانـفي، 1978، 53. تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

[2] تاريـخ الجزائـر الثقـافي، ج: 1، ص: 508، هامـش 73.

ومجمل القول؛ يمكننا مجاراة الرأي الأكثر شيوعاً؛ وهو الذي يفيد؛ بأن مولد **عبد الرحمن الأخضري** في قرية **بنطيوس بالزاب الغربي**، وعاش بين سنتي: 920 و 953 هـ. وبذلك يكون هذا العلامة قد توفي في مقتبل العمر؛ إذ لم تتجاوز أيام حياته الثلاث والثلاثين سنة. ومن هنا يمكن إدراك مدى عبقرية هذا الرجل؛ الذي قدم لعصره؛ خلال سنوات قليلة؛ ما عجز عنه الآخرون ــ ممن طالت بهم الأيام والسنون ــ في ذلك العصر المتردِّي في أحواله، الجدب في تراثه الفكري، الضحل في خيراته وفي رجاله.

ــ *مكانته العلمية:*

فعلى الرغم من قصر عمر **الأخضري**؛ فقد كانت أيامه حبلى بالثمار والإنتاج العلمي، ومليئة بالابتكارات والأعمال الجليلة؛ إذ يقال أنه أنجز قرابة الثلاثين[1] من المتون وشروحها؛ في مختلف العلوم وشتى الفنون. لذا؛ فقد ظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق في سن مبكرة؛ حيث شرع في تأليف ونظم متون العلوم؛ وهو فتى لا يتجاوز سنه سبع عشرة

[1] الأصالة، جانفي، 1978، العدد: 53. ويقدر ما أنجز الأخضري من أعمال ــ في قول آخر ــ زهاء العشرين كتاباً. أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

سنة؛ إذ أنجز وهو في هذا العمر منظومة **"السراج" في الفلك**، كما أنجز منظومة **"أزهار المطالب في الإسطرلاب"** حين بلغ العشرين من عمره، أما منظومة **"السلم المرونق" في المنطق والحكمة** فقد أكملها وهو في سن الحادية والعشرين سنة؛ وقد سجل ذلك خلال نظمه لها حين قال:

وَلِبُنَيِّ احْدَى وَعِشْرِينَ سَنَهْ
مَعْذِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسَنَهْ
لاَ سِيَّمَا فِي عَاشِرِ القُرُونِ
ذِي الجَهْلِ وَالفَسَادِ وَالفُتُونِ
وَكَانَ فِي أوَائِلِ المُحَرَّمِ
تَأْلِيفُ هَذَا الرَّجَزِ المُنَظَّمِ
مِنْ سَنَةِ احْدَى وَارْبَعِينَ
مِنْ بَعْدِ تِسْعَةٍ مِنَ المِئِينَ

كما أنه أنجز المنظومة **"القدسية"** وهو في سن الأربع والعشرين؛ أي في سنة 944هـ؛ حيث قال في ختامها:

فِي أرْبَعٍ وَأرْبَعِينَ قَدْ نَجَزْ
مِنْ عَاشِرِ القُرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَزْ

أمـا منظومـة **الجوهـر المكنـون** فقـد أنجزهـا في منتصـف القـرن العاشـر للهجـرة؛ أي في حـدود 950هـ؛ وقـد أشـار لذلـك في آخـر المنظومـة حيـث قـال:

ثُـمَّ بِشَهْـرِ الحجَّـةِ المَيْمُـونِ
تَتِـمُّ نِصْـفِ عَاشِـرِ القُـرُونِ

وبذلـك يكـون عمـر **الأخضـري** ــ آنئـذ ــ لا يتجـاوز الثلاثيـن سنـة. وعندمـا نتأمـل في العمـر الـذي ألـف فيـه أهـم أعمالـه؛ يتبيـن لنـا أنـه أنجزهـا في سـن مبكـرة جـداً؛ وذلـك بالاستنـاد إلى مـا أثبتـه هـو بنفسـه في منظوماتـه. وعليـه يمكـن إسقـاط مسوغـات مـن يقـول بأنـه عَمَّـرَ طويـلاً؛ حيـن قالـوا: أن الأعمـال العلميـة الـتي أنجزهـا **الأخضـري** تـدل عـلى أنـه وصـل مـن النضـج مسـتوى يؤهلـه لذلـك. وهكـذا فقـد تبيـن أن **الأخضـرى** اكتسـب النضـج قبـل أوانـه، وامتلـك العلـوم في سـن مبكـرة.

ــ عصـر الضعـف:

وإذا عدنـا إلى مـا سبـق ذكـره في منظومـة **"السلـم المرونـق"** سيتضـح لنـا مـن تلـك الأبيـات؛ أن **الأخضـري** أشـار إلى حـال عصـره المتدهـور؛ حيـن قـال:

لاَ سِيَّمَـــا فِي عَاشِـــرِ القُـــرُونِ
ذِي الجَهْـــلِ وَالفَسَـــادِ وَالفُتُـــونِ

وقـــد بـــكى زمانـــه في المنظومـــة **"القدسيـــــــــة"** وتأســــــف علـــى حـــال العلـــم والعلمـــاء فيـــه بقولـــه:

هَذَا زَمَانٌ كَثُـــرَتْ فِيـــهِ البِـــدَعْ
وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْـــهِ أمْوَاجُ الخِـــدَعْ
وَخَسَفَـــتْ شَمْسُ الهُدَى وَأفَلَـــتْ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدَ بَزَغَـــتْ وَكَمُلَـــتْ
وَالدِّيـــنُ قَدْ تَهَدَّمَـــتْ أرْكَانُـــهْ
وَالـــزُّورُ طَبَّـــقَ الْهَـــوَى دُخَّانَـــهْ
وَظُلمَـــاتُ الـــزُّورِ وَالبُهْـــتَـــانِ
تَزَخْرَفَـــتْ فِي جُمْلَـــةِ الأوْطَـــانِ

ثـــم يضيـــف:

يَا وَيْلَـــتِي هَـــذَا زَمَـــانُ البِـــدَعِ
مَاتَ بِهِ أهْـــلُ التُّـــقَى وَالْـــوَرَعِ
وَاحَسْرَتِي عَلَى الْكِـــرَامِ البَـــرَرَهْ
قَدَ أُخْلِفُـــوا بِالْمُدَّعِيـــن الفَجَـــرَهْ

إلى أن يقـــول:

وَأسَفَـــا عَلَى الرِّجَالِ الكَامِلِيـــنْ
قَدْ ذَهَبُـــوا بَيْنَ الْعِبَـــادِ خَامِلِيـــنْ
فَسُــتِــرُوا بِظُلُمَـــاتِ الْبِــــدَعِ
فَلَمْ يَبِينَ صَـــادِق مِـــنْ مُـــدَّعِ

ولـــم يكتـــف **الأخضـــري** بالنظـــم ـــ في انتقـــاده لمـــا وصـــل إليـــه العلـــم والعلمـــاء في وقتـــه ـــ بـــل استعـــان بالنثـــر أيضـــاً؛ وذلـــك أثنـــاء شرحـــه لمنظومـــة **"السلـــم المرونـــــق"**؛ حيـــث قـــال: **((وإذا كـــان العـــذر مـــن حـــــق المبتـــــدي في الزمـــان المتقـــدم؛ فكيـــف في هـــذا الزمـــان الصعـــب الـــــذي انقـــرض فيـــه أكابـــر العلمـــاء، ولـــم يبـــق فيـــه إلاّ حثالـــــة الحثالـــة)).**[1]

وقـــد خصـــص حيـــزاً كبيـــراً في المنظومـــــة **"القدسيـــــة"** للتنديـــد بالمشعوذيـــن والدجاليـــن وعلمـــاء الســـــوء؛ حيـــــث قـــال فيهـــم:

قَـــدْ ادَّعَـــوْا مَرَاتِبـــاً جَلِيلَـــــهْ
وَالشَّـــرْعُ قَـــدْ تَجَنَّبُـــوا سَبِيلَـــهْ
قَـــدْ نَبَـــذُوا شَرِيعَـــةَ الرَّسُـــولِ
فَالْقَـــوْمُ قَدْ حَـــادُوا عَنِ السَّبِيـــلِ

[1] شـــرح الأخضـــري عـــلى السلـــم المرونـــق، ص: 38، القاهـــرة، 1314هـــ. وتاريـــخ الجزائـــر العـــام، ج: 3، ص: 81.

ثــم يقــول:

لَمْ يَبْقَ مِنْ دِينِ الْهُدَى إلاَّ اسْمَــهُ

وَلاَ مِــنْ الْقُــرْآنِ إلاَّ رَسْمَــهُ

هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَتْ يَنَابِيعُ الْهُــدَى

وَفَاضَ بَحْرُ الْجَهْــلِ وَالزَّيْــغُ بَدَا

أيْنَ رُعَــاةُ الدِّيــنِ أهْــلُ الْعِلْــمِ

قَدْ سَلَفُــوا وَاللَّــهِ قَبْــلَ الْيَــوْمِ

وَهَاجَــتِ الطَّائِفَــةُ الدَّجَاجِلَــهْ

السَّالِكُــونَ لِلطَّرِيــقِ الْبَاطِلَــهْ

وَكَثُرَتْ أهْلُ الدَّعَــاوَى الكَاذِبَــهْ

وَصَــارَتِ الْبِدْعَــةُ فِيهِمْ غَالِبَــهْ

ثــم يقــول في إحــدى قصائــده الأخــرى؛ محــذراً مــــن علمــاء الســوء:

وَاحْــذَرْ عُلَمَــاءَ السُّــوءِ فَقَــدْ

خُصُّــوا بالإفْــكِ وَبِالخَطَــلِ

حَفِظُــوا الأقْــوَالَ وَمَا عَمِلُــوا

بِالْعِلْــمِ فَسَــاءَ القَــوْمَ قُــلِ

مَــا حِرْفَتُهُــمْ إلاَّ لَعِــبٌ

وَلُحُــومُ النَّــاسِ بِــلاَ قُلَــلِ

أرْبَابُ قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ
لِلطَّاعَةِ أصْلاً لَمْ تَمِلِ
لاَ نُطْقَ لِذِكْرِ اللَّهِ لَهُمْ
إلاَّ باللَّهْوِ وَبالْهَزَلِ
لاَ يَكْسِبُونَ العِلْمَ سِوَى
لِرِيَاءِ النَّاسِ وَلِلْجَدَلِ
طَمَسَ الأقْوَالَ تَمَلُّقُهُمْ
لِوُلاَةِ السُّوءِ ذَوِي الخَلَلِ

وإذا كان **الأخضري** قد اشتكى من الأوضاع المزرية للعلم والعلماء في عصره؛ فإننا نرى أن تلك الظاهرة السلبية قد شرعت بوادرها تظهر في عصر سابق لعصر **الأخضري**؛ فنجد أن علماء آخرين في **الجزائر** ــ أيضاً ــ قد اشتكوا من الحال المتردية للعلم والعلماء. ففي وقت سابق بقليل عن أيام **الأخضري** ــ ظهر رجل مشهود له بالعلم والتقوى؛ وهو **عبد الرحمن الثعالبي**؛ فقال: **((وقد قل الاعتناء في هذا الزمان بالعلم))**.[1]

ولم يقف الوضع عند **الثعالبي** الذي عاش في القرن التاسع من الهجرة؛ بل ازدادت الأوضاع سوءاً

[1] **تاريخ الجزائر العام، ج: 2، ص: 249، نقلاً عن مخطوط الأمهات للثعالبي.**

في القرن العاشر؛ الذي عاش فيه **عبد الرحمن الأخضري**. ففي هذا العصر توقف تدفق رُفَّادُ المعرفة، وانطفأت أنوار الاجتهاد والابتكار، وجفت منابع العلوم والفنون؛ إذ ابتليت موارد المعرفة بالغور والانحسار. فنُكِبت **البلدان المغربية** ـ عموماً ـ بالغزو الصليبي؛ الوافد من **إسبانيا ومالطا وصقلية**. وكانت **الممالك المغربية** في أسوء حالها من الضعف والتفكك. ووصل التعفن والفساد بدولتي: **بني زيان بتلمسان والحفصيين ببجاية وقسنطينة** إلى حد؛ سعى فيه أهل الغيرة من **الجزائريين** إلى الاستنجاد **بالعثمانيين**؛ قصد صد جيوش **الإسبان**، وردهم عن أسوار المدن الساحلية.

وباستقرار **العثمانيين** في **الجزائر**؛ ازدادت فجوة الجهل بين السكان اتساعاً، وتعاظمت الظواهر المؤدية للشعوذة والدروشة، وانتشرت عبر البلاد أفواج من العامة المنتسبين زوراً للصوفية؛ إذ كوّنوا فرقاً لها ميول سلبية، مستسلمة لمقتضى الحال، ومنكمشة ضمن حلقات من الأتباع العاطلين والغاطسين في أعماق الغيبيات، والحالمين بالأوهام والخرافات التي لا تجدي ولا تفيد. وقد ساعدت هذه الظاهرة على بعث الشلل في الأوساط العلمية **ببلاد المغرب**؛ وتسببت في بث روح

التواكل والكسل والإهمال في صفوف طلاب العلم. ونتيجة لذلك؛ اكتفى عدد كبير من طلبة العلم، ومن المنتسبين إلى صفوف العلماء — في أعمالهم ومؤلفاتهم — بكتب الأذكار والأوراد[1] والمواعظ.

واستمرت هذه الظاهرة قائمة طوال الفترة **العثمانية.** وقد عبر شارح **الأخضري** ومترجمه **عبد الكريم بن الفكون** — في بداية القرن الحادي عشر — عن استمرار ذلك الوضع المتردي للعلم والعلماء؛ حين قال في كتابه **"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"**: **((فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل أظلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيساً، والعالم في مترلة يدعى من أجلها خسيساً... كل ذلك والقلب مني يتقطع؛ غيرة على حزب الله العلماء؛ أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم، أو يذكروا في معرضهم، وغيرة على جناب السادة الأولياء**

---

[1] الورد: تسمية مجازية لحزب من القرآن؛ أو بالأحرى: هو مقدار معلوم من قراءة القرآن يداوم الشخص على قراءته في أوقات معينة. ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على قدر من الأدعية التي يدعو بها الصوفيون في أوقات محددة.وقد تبنوا كثيراً من الأوراد المأثورة، والمستمدة من شيوخ الصوفية المرموقين. وقد وصفها زكي مبارك بقوله: ((أن لتلك الأوراد ملامح أدبية وخلقية: فهي باب من الأدب؛ لأن مؤلفيها كانوا يتحرون دقة الأسلوب، وروعة الخيال، وهي من صميم الأخلاق؛ لأنها رياضة على التقرب إلى الله، والانقطاع إليه، والفناء فيما يريد)). التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج: 2، ص: 66.

الصوفيـــة؛ أن تكـــون أراذل العامـــــة، وأنـــــذال الحمـــــقى المغروريـــن أن يتسمـــوا بأسمائهـــم، أو يظـــن بهـــــم اللحـــــوق بآثارهـــم)).[1]

وفي هـــذا الزمـــان بالـــذات؛ المترنـــح ـــ المعـــروف **بالعهـــد العثمـــاني** ـــ ظهـــر العلامـــة **عبــــد الرحمــــن الأخضـــــري** للوجـــود؛ فحـــاول تغييـــر الاتجـــاه التقليـــدي آنئـــــذ؛ حيــــث سلـــك نهجـــاً أكثـــر فعاليـــة، وأخصـــــب نتاجـــــاً، وأوفــــر ثمـــاراً. فأعـــاد للأذهـــان سنـــة أسلافـــه مـــن العلمـــاء الأفـــذاذ؛ **كعبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون، وابـــن مـــــرزوق الحفيـــــد، وقاســـم العقبـــاني، وسعيـــد العقبـــاني، وأحمـــد بــــن يحـــيى الونشريـــسي، ومحمـــد ابـــن يوســــف السنـــــوسي، وعبـــــد الرحمــــن الثعالــــبي، وأحمـــــد الغبريــــــني؛ وأحمــــد زروق الفـــاسي.**.إلـــخ؛ فانكـــب عـــلى التدريـــس والتأليـــف، ووجـــه طـــلاب العلـــم الملتحقيـــن بحلقتـــه إلى تلـــقي العلـــوم النقليـــــة والعقليـــة عـــلى الســـواء. فقـــد كـــان يعلمهـــم مـــن العلــــوم: **الفلـــك، والمنطـــق، والحســـاب، والبلاغـــة، واللغـــة، والنحـــو؛** إلى جانـــب مـــا كـــان يقدمـــه لهـــم مـــن علـــوم: **التوحيـــــد، والفقـــه، والفرائـــض، والتصـــوف.**

[1] الأصالـــة، جانـــفي 1978، عـــدد: 53، ص: 29.

ـ الأخضري والصوفية:[1]

ومع هذا؛ يجب الاعتراف بأن **عبد الرحمن الأخضري** لم يأت من العدم؛ ولم يترعرع وينشأ في أرض عقيمة بالكل، ولم يكبر في تربة غير صالحة للحرث والإنبات بالتمام؛ بل هو سليل أسرة علمية صوفية؛ أنجبت علماء عديدين؛ منهم جده **محمد بن عامر**؛ الذي ألف **كتاباً في الفتاوي**، ثم أبوه **محمد الصَّغَيَّرْ**؛ الذي ألف **حاشية لكتاب سيدي خليل**،[2] كما ألف **كتاباً عالج فيه موضوع التصوف**؛ حيث انبرى لنقد المنحرفين والخارجين عن النهج السليم؛ من أصحاب البدع ممن سماهم بـ **((الدجاجلة))**. ويبدو أنه تأثر بأستاذه **أحمد الزروق الفاسي**.[3]

---

[1] الصوفية هم المنسوبون لأهل التصوف. ولم يتفق الباحثون على تعريف واحد لعلم التصوف؛ بل اختلفت آراؤهم في تحديد تعريف جامع له؛ إذ ثمة من يقول أن معنى التصوف يتعلق بعبارات هي: الصفا والصافي والصفوة والتصفية؛ وآخرون يرجعون هذا الاسم إلى أهل صُفَّةِ مسجد رسول لله صلى الله عليه وسلم ؛ بينما يعتقد كثير منهم أن الاسم منسوب إلى الصوف؛ بسبب لبس أهل هذه الطريقة للصوف؛ زهداً منهم وابتعاداً عن اللباس الناعم الرفيع، وتقشفاً في حياتهم عن مباهج الدنيا ورفاهيتها.

[2] وهو من علماء المالكية في مصر؛ عرف بلقب ضياء الدين الجندي؛ لأنه كان يلبس لباس الجند؛ ألف "المختصر" في الفقه المالكي؛ وهو أهم كتبه، ثم "التوضيح"؛ وهو شرح لمختصر ابن الحاجب، وكتاب "المناسك"، و"مخدرات الفهوم فيما يتعلق بالتراجم والعلوم"، و"مناقب المنوفي". لا يعرف تاريخ ميلاده؛ كما اختلف الناس في سنة وفاته؛ فمن قائل أنها 776هـ/1374م، أو قائل أنها تكون في عام 767هـ/1365م، أو سنة 769هـ/1367م، أو 835هـ/1431م، أو كما قال صاحب الديباج المذهب: من أنه توفي بالطاعون سنة 749هـ/1348م.

[3] وردت ترجمة أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق في كتب عديدة؛ أهمها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص ص: 45 ـ 50. وجاء فيه أنه ولد في سنة 846هـ وتوفي في سنة 899هـ. حفظ القرآن الكريم، وأخذ

إذن **فعبد الرحمن الأخضري** نشأ في وسط علمي متمسك بالشرع، حريص على نبذ البدع والأوهام التي تتعارض مع الكتاب والسنة؛ فأخذ العلم عن أبيه **محمد الصُّغَيَّر** وعن شقيقه الأكبر الشيخ **أحمد** في بلدهم **"بنطيوس"**؛ ثم التحق بحلقات علم أخرى؛ يشرف عليها علماء في بلاد **الزاب**؛ مثل الشيخ الصوفي الزاهد **عبد الرحمن بن لقرون** نزيل **لشانة**، والشيخ **أبو الطيب، وعبد الهادي الفطناسي ببسكرة**؛ ثم درس ــ بعد ذلك ــ في **قسنطينة** فأخذ العلم عن **عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني** المعروف باسم **الوزان**[1]. وثمة بعض الأقوال التي لم تتأكد؛ ترى أنه درس أيضاً **بالزيتونة في تونس**.[1]

العلم عن كبار العلماء بالمغرب في عصره مثل: علي السطي، وعبد لله الفخار، وعبد الرحمن المجدولي وأبي عبد الله القوري، وعبد الرحمن الثعالبي، وإبراهيم التازي، وأحمد ابن سعيد بن الحباك، والرصاع، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكري، وأبو مهدي عيسى المواسي. كما أخذ عن بعض علماء المشرق مثل: النور السنهوردي، والحافظ الدميري، والحافظ السخاوي، والقطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، والولي شهاب الدين الأقشيطي. وأهم مؤلفاته تنحصر في العبادات والتصوف كـ: شرح مختصر خليل، وشرح الوغليسية، وشرح القرطبية، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح المراصد في التصوف لأحمد بن عقبة، وكتاب القواعد في التصوف، وكتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، وكتاب النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، وكتاب النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، وغيرها من المؤلفات التي تربو عن 55 تأليفاً.

[1] وردت أهم ترجمة له في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص ص: 387 ــ 392. وفيها أشار الدكتور سعد الله إلى أن الوزان يحتل مكانة مرموقة بين علماء قسنطينة في القرن العاشر من الهجرة. وقد كرس نفسه للتدريس والتأليف؛ ضارباً عرض الحائط الوظائف التي عرضت عليه. وتخرج على يديه كثير من العلماء؛ مثل: ابن الفكون الجد، وعبد الرحمن الأخضري، ويحيى بن عمر الزواوي، ويحيى بن سليمان الأوراسي. أما أهم

أما تلاميذه؛ فأتوه من جهات كثيرة؛ **كوادي ريغ، وقسنطينة ونواحيها، وتفلفال، وبلاد الزاب،** وغرها؛ وعرف منهم حتى الآن : الشيخ **أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي**؛ وهو الذي شرح كتاب أستاذه **الأخضري ((السراج في علم الفلك))**.

وشرع **الأخضري** ـ منذ صباه ـ في تحقيق ميوله العلمية؛ إذ ظهرت عليه نزعة قوية دفعته نحو العلوم العقلية؛ التي تتطلب قوة العقل، وسلامة الذوق، وطول النفس، والقدرة على الصبر. وإلى جانب ذلك؛ كان يعتني ـ أيضاً ـ بعملية التربية والتعليم؛ حيث أوقف نفسه في سبيل نشرهما نظرياً وتطبيقياً؛ إذ كان يؤلف الكتب المدرسية؛ ممثلة في المواد المراد تعليمها. فوجد أن خير وسيلة لتقريب المواد التعليمية إلى أذهان تلاميذه، وتيسير حفظ الضروري منها؛ هو أن يَنْظُم المواد العلمية المرغوب فيها، أو يلخص بعض المتون الأخرى نثراً؛ مثل: المتن الخاص بالعبادات. ولم يقتصر **الأخضري** على تأليف المتون فحسب؛ بل

مؤلفاته فهي: "البضاعة المزجاة"، و"الرد على الشابية المرابط عَرَفه القيرواني"، و"فتاوي في الفقه والكلام"، "حاشية على شرح القصيدة الصغرى للسنوسي"، و "تعليق على قول خليل (وخصصت نية الحالف)". وجاء في الترجمة أنه توفي في سنة 965هـ/1557م، أو في 960هـ/1552م. أما السنة التي ولد فيها فغير معروفة.

[1] رسالة العقد الجوهري في التعريف بالشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخضري؛ وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 507.

أنجز شروحاً لها بنفسه؛ لأنه كان يدرك صعوبة تلقي تلك العلوم مختصرة دون توسع أو شرح. ومع كل ذلك؛ فقد كان يقوم بتدريس مؤلفاته وشرحها بنفسه أمام طلبته في **ببنطيوس**؛ حيث يوجد ضريحه اليوم.

ويبدو أنه كان ينظم تلك المواد العلمية تلبية لرغبة طلابه الذين يلازمون حلاقاته العلمية؛ وقد ذكر هذا في بداية منظومة **"الجوهر المكنون"**؛ إذ قال أنه نظمها استجابة لرغبة بعض الطلاب؛ وفيها يقول:

وَقَدْ دَعَا بَعْضٌ مِنَ الطُّلاَبِ
لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنَقَّحٍ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ التَّلْخِيصِ
جَوَاهِراً بَدِيعَةِ التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتُ الجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ
سَمَّيْتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلاَثَةِ الفُنُونِ

وكان يراعي ـــ في تعليم طلبته ـــ واقع الحال؛ حيث يوظف ما يَنْظِمُه لهم من مواد علمية؛ بحيث تتماشى مع الغرض الأساسي في التعليم. وبهذا يعتبر **الأخضري** من المعلمين **"البيداغوجيين"** في زمنه. وبما أن الهدف الأساسي المقصود في تعليم الطلبة عنده؛ هو: حفظ القرآن وتمكينهم من امتلاك العلوم الدينية، والتقيد بالمنهج الصوفي؛ بنشر السلوك الأخلاقي الإسلامي، وبث حب العبادة في نفوس الطلبة، وتدربهم على الالتزام بالذكر؛ فإنه كان يعرض عليهم ـــ في منظوماته المختلفة ـــ بعض الأمثلة من المحيط الذي يستهدفه؛ فهو ـــ مثلاً ـــ عندما نظم **"الجوهر المكنون"** في البلاغة؛ تعمد تقديم الأمثلة والشواهد من صميم المواد الدينية؛ بل الصوفية بالتحديد؛ فها هو ذا يقول؛ في **"باب الإسناد الخبري"**:

كَقَوْلِنَا لِعَالِمٍ ذِي غَفْلَةٍ:

"الذِّكْرُ مُفْتَاحٌ لِبَابِ الحَضْرَةِ"

وفي باب المسند إليه يقول:

كـ **"حَبَّذَا طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّهْ**

تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ العَلِيَّهْ"

ويقـــول في البـــاب نفســـه أيضـــاً:

وَفَصْلُـــهُ يُفِيـــدُ قَصْـــرَ المُسْنَـــدِ

عَلَيْهِ كَـــ**"الصُّوفِيِّ وَهْوَ الْمُهْتَدِي"**

وفي بـــاب المسنـــد يقـــول:

وَأَفْـــرَدُوهُ لانْعِـــدَامِ التَّقْوِيَـــــهْ

وَسَبَبٍ كَـــ**"الزُّهْدُ رَأسُ التَّزْكِيَـــهْ"**

ثـــم يقـــول في البـــاب نفســـه:

وَجُمْلَـــةٌ لِسَبَـــــب أوْ تَقْوِيَـــهْ

كَـــ**"الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَهْ"**

ثـــم يضيـــف:

تَنْبِيـــهٍ أوْ تَفَـــــاؤُلٍ تَشَـــوُّفِ

كَـــ**"فَازَ بِالحَضْـــرَةِ ذُو تَصَـــرُّفِ"**

وفي بـــاب الإيجـــاز والإطنـــاب والمســـاواة يقـــول:

كـــ**"عن مجالـــس الفسوق بعـــدا**

ولا تصاحـــب فاسقـــا فتـــردى"

وفي باب "الحقيقة والمجاز" يقول:

كِلاَهُمَا شَرْعِيٌّ أوْ عُرفِيُّ

نَحْوُ "**ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّوفِيُّ**"

ويقول في "فصل الاستعارة" أيضاً:

نَحْوُ "**ارْتَقَى إلَى سَمَاءِ القُدْسِ**

فَفَاقَ مَنْ خَلْفَ أرْضِ الْحِسِّ"

ثم يقول في فصل "في الحقيقيه والعقلية":

كَـ"**أشْرَقَتْ بَصَائِرُ الصُّوفِيَّهْ**

بِشَمْسِ نُورِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ"

وهذه الأمثلة وغيرها ــ كلها ــ تدل على حسن تصرف في اختيار الشواهد والأمثلة خلال عملية التدريس؛ فبما أن طلبة **الأخضري** مختصون أساساً في العلوم الدينية. وبما أن أستاذهم يعتبر من أقطاب الصوفية ومن أإمتها الكبار؛ فإن أمثلة الأستاذ تكون فعالة ومفيدة عندما يتم اختيارها من ذلك المحيط؛ وهذا هو ما حصل..

وقد اتضح من خلال ما تم الإطلاع عليه من منظومات **الأخضري**: في التصوف والسيرة، وفي

الفرائض والحساب، وفي البلاغة والمنطق وغيره؛ أن هذا العلامة متمكن في العلوم التي عالجها بواسطة النَّظْم؛ كما تبين أنه متفوق في نظم المطولات؛ إذ يتميز بقدرة كبيرة في هذا الفن؛ الذي يتطلب مكانة عظيمة في علوم اللغة والعروض وسليقة طلقة في ركوب أوزان البحور الشعرية. فمن قَصُرَ نظره في علم ما لا يمكنه النظم فيه أبداً؛ لأن النظم في علم من العلوم يتطلب استيعاباً شاملاً وفهماً كلياً ودقيقاً. لذا **فالأخضري** يتميز بالقدرة الفائقة، وبالنظرة الكلية الشاملة؛ التي تسمح له بالتنقل من فكرة إلى أخرى؛ لكي يساير الأوزان الشعرية ويراعي القياس اللغوي، ويواكب القواعد والمفاهيم التي يتظمنها العلم المراد نظمه.

وعلى الرغم من اعتكاف **الأخضري** وانشغاله بالدراسة والعبادة والتأمل في خلوته **ببنطيوس**، وفي بعض الجبال القريبة من قريته؛ إلاَّ أنه لم يسعَ نحو تقمص دور الأولياء؛ المنقطعين كلياً عن الناس في خَلوات الذكر والخمول؛ ولم يدَّعِ يوماً أنه من المرابطين المنعوتين بالكرامات، أصحاب الخوارق والمعجزات،[1] ولم يزج بنفسه بين من يدعي

[1] يفرق المتكلمون بين الكرامات والمعجزات، ويشرح الباقلاني ذلك في كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات؛ حيث يرى أن

الدروشة المغالية في نشر الخرافات والبدع؛ من الذين يسبحون في الأوهام والميول السلبية؛ بل على الرغم من أنه صوفي التوجه، زاهد في الدنيا، ورع وصادق في تدينه؛ إلاَّ أنه كان يتميز بعقل رياضي، منطقي، واقعي؛ وكان متمسكاً بالكتاب والسنة، لا يعطي بالاً للغيبيات السرابية، ولا يسمح بالغلو في الأوهام. وهذا ما أكده في منظومته المسماة **"بالقدسية"**؛[1] إذ يقول:

وَاعْلَمْ بِأنَّ الوَلِيَّ الرَّبَانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ
وَالفَرْقُ بَيْنَ الإفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بِالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ
وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

المعجزات والكرامات تتساوى في أنها تتناقض مع العادات؛ بينما وجه الخلاف يكون في أن المعجزات يختص بها الأنبياء، وهم يعلنونها ويصرحون بها؛ متحدين خصومهم بها. بينما تسند الكرامات للأولياء؛ فلا يصرحون بها ولا يدعون فضلها، ويكتمونها عن الناس؛ خوفاً من الفتنة وتبدل الحال.

[1] تسميته لمنظومته "بالقدسية" تؤكد ميوله الصوفية؛ كما تظهر تأثره بالإمام الغزالي؛ الذي ألف "العقيدة القدسية"؛ وقد شرحها شيخ أبيه أحمد الزروق الفاسي؛ الذي صرح عبد الرحمن الأخضري بكل وضوح أنه يتبع نهجه؛ حين نصح القراء في منظومته "القدسية" بقوله:

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةَ بِالبِدَعِ وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أَصْلُ المُدَّعِي
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُوق عَجَائِبٌ فَاتِقَةُ الرُّتُوقِ

ومع هذا فقد نسب إليه بعض العامة خوارق وكرامات عجيبة؛ مثل انطواء الأرض بين **أكجال** (أين مات)، وبلدته **بنطيوس** (التي دفن فيها)؛ لكي يسهل على أهله ومحبيه دفنه بمسقط رأسه في اليوم الذي مات فيه، وحكاية سارق العنزة؛ الذي طلب منه القسم في ضريح **عبد الرحمن الأخضري**؛ فأقسم كذباً؛ فسمع صوت العنزة داخل أحشائه؛ فانكشف أمره. كما أن اشتهاره بين الناس كخصم للدجالين وأدعياء الخوارق والمعجزات؛ أسقط العامة في الخطأ نفسه الذي حذر منه **الأخضري**؛ إذ يزعم بعضهم أنه تصدى لأحد الأدعياء من المشعوذين؛ الذي كان يوهم الناس بأنه قادر على إطعامهم الرُّطَب في غير وقته؛ فأبطل **الأخضري** شعوذته؛ عندما حول ذلك الرطب إلى روث بهائم.

بالإضافة إلى ذلك؛ ثمة من يقول أن **عبد الرحمن الأخضري** يكون قد تلقى ورد الطريقة **الشاذلية والزروقية** من الشيخ **محمد بن علي الخروبي**؛[1]

[1] هو محمد بن علي الخروبي؛ أصله ـ في قول ـ من طرابلس الغرب ـ وفي قول آخر ـ من صفاقس؛ عاش في الجزائر وتوفي بها سنة 963هـ/ 1555م. ويقال أنه تربى في اسطنبول قبل مجيئه إلى الجزائر؛ وكان مقرباً من السلطات العثمانية. وهو من المتصوفة ذوي الاتجاه المشرقي؛ إذ تشبع بالفرق الصوفية المنتشرة في الدولة العثمانية؛ كالشاذلية والبكداشية والقادرية؛ وقد أهتم أكثر بالطريقة الشاذلية وعمل على نشرها والدعوة لها. ومن مؤلفاته بعض الأوراد والأذكار، وكتاب في التفسير، و"الأنس في التنبيه عن عيوب

وذلك عندما زار **بنطيوس**؛ وهو في طريقه لأداء فريضة الحج.[1] وحتى إن صح ذلك؛ **فالأخضري** لا ينأى بنفسه عن حلقات الذكر والدعاء في خلوته الخاصة؛ ما دامت في حدود الشرع. فهو يفرق جيداً بين فروض العبادة، وواجب التقوى؛ ضمن إطارها الشرعي المنسجم مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا لا يعني تبنيه ورضاه بكل ما يجري لدى أهل الصوفية ممن يقفز على حدود التقوى والاستقامة؛ إلى أوهام الكشف ورفع الحجاب؛ بالغلو في طقوس الغيب المبهمة؛ أو حلقات الذكر الجنونية. وعليه؛ فلا يستبعد تلقيه أوراد **الشاذلية والزروقية**؛ ما دامت في حدود الشرع. وقد أشار **الأخضري** بنفسه إلى ذلك مراراً في منظوماته **"كالقدسية"** وغيرها. من ذلك المنظومات التي اعترض فيها على حلقات الذكر التي تتم بالرقص والغناء؛ حيث يقول:

مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أنْ لاَ يَسْقُطَ
بَعْضُ حُرُوفِ الاسْمِ أوْ يُفْرَطَ

النفس". و"رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، و"شرح صلاة ابن مشيش"، و"مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس"، "كفاية المريد وحلية العبيد" في التصوف.

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فِي الْبعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَـهْ
عَمْـداً فَتِلْـكَ بِدْعَـةٌ شَنِيعَـهْ
وَالرَّقْصُ وَالصُّـرَاخُ وَالتَّصْفِيـقُ
عَمْـداً بِذِكْـرِ اللَّـهِ لاَ يَلِيـقُ
وَإِنَّمَـا الْمطْلُـوبُ فِي الأذْكَـارِ
الذِّكْـرُ بِالْخُشُـوعِ وَالْوَقَـارِ

وفي قصيـدة أخـرى يقـول:

لاَ نُطْـقَ لِذِكْـرِ اللَّـهِ لَهُـمْ
إلاَّ بِاللَّـهْـوِ وَبالْهَـزَلِ

ثـم ينبـه النـاس إلى ضـرورة التحـري، وعـدم تصديـق كـل مـن هـب ودب؛ مـن المُدَّعيـن للعلـم، والمنتسبيـن زوراً للصوفيـة؛ ثـم يدعوهـم إلى قيـاس مـا يرونـه ويسمعونـه بمقيـاس الشـرع؛ فـإن توافـق معـه؛ فلا بـأس؛ وإن خالـف الشـرع؛ فهـو حتمـاً مـن البـدع الـتي تستوجـب الرفـض التـام. وفي هـذا يقـول في **"القدسيـة"**:

وَقَالَ بَعْـضُ السَّـادَةِ الصُّوفِيَّـهْ
مَقَالَـةً صَادِقَـةٍ جَلِيَّـهْ
إِذَا رَأَيْـتَ رَجُـلاً يَطِيـرُ
أَوْ فَـوْقَ مَاءِ البَحْـرِ قَدْ يَسِيـرُ

وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِج وَبِدْعِي
فَارْفُضْهُ إِنَّمَا الفَتَى دَجَّالُ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالكَمَالُ

ـ *النبي خالد بن سنان:*

والأمر الذي يبقى غامضاً، وغير مفهوم، وعار عن أي مسوغ أو تعليل؛ هو تأكيد بعض الباحثين والرحالة على أن **الأخضري** هو الذي كشف وجود قبر **النبي خالد بن سنان** في المدينة التي تحمل اسمه الآن. على أن أولئك الباحثين لم يذكروا الدليل الذي اعتمد عليه **الأخضري** في البرهنة على صحة انتقالِ **النبي خالد بن سنان العبسي** إلى **الجزائر**، ووفاتِه بها.

وكل ما قيل؛ أنه أظهر سر القبر بواسطة "**الكشف وعلم التربيع**".[1] وإذا تأملنا هذه العبارة؛ سنجد أن "**الكشف**" مصطلح صوفي؛ يَدَّعي أصحابه القدرة على كشف ما يخفيه الغيب. وقد تناول كثير من العلماء هذا الموضوع بين مؤيد ومكذب.

[1] قال الحسين الورثلاني: ((سيدي عبد الرحمن الأخضري نفعنا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر أنواره؛ رضي الله عنه؛ وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع)). نزهة الأنظار، ص: 5.

وخصص **ابن خلدون** لموضوع التصوف كتاباً كاملاً سماه: **"شفاء السائل لتهذيب المسائل"**؛ كما خصص له حيزاً كبيراً في مقدمته ضمن: **"فصل في كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة، وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنة والمبتدعة في الاعتقادات"**؛ حيث أوضح فيه الفرق بين المتصوفة المتمسكين بالسنة؛ وبين أهل الغلو منهم؛ أدعياء الكشف المطلق ومبدأ الحلول.[1]

أما ما يسمى **"بعلم التربيع"** فهو ليس علماً على وجه الحقيقة؛ وإنما هو فن غريب؛ يَدَّعي أصحابه معرفة الغيب بواسطته. ويدخل في عداد فنون التنجيم والكهانة؛ الشاملة: **لأحكام النجوم، وأسرار الحروف أي السيميا وخط الرمل** وغيره من الفنون التي لا تستند إلى برهان، ولا يسعى أصحابها إلى إيجاد دليل يستوعبه العقل؛ وإنما يزعمون أنهم يتعاملون مع **الوجدانيات والروحانيات**.[2] وقد وضع **ابن خلدون** في

---

[1] المقدمة، ج: 3، ص ص: 1184 ــ 1214. ومما قاله في هذا الباب: ((ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك؛ فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة... وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب؛ ومعناه رأس العارفين؛ يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله؛ ثم يُورِّثُ مقامه لآخر من أهل العرفان)). ص ص: 1207 ــ 1208.

[2] وقد شرح ابن خلدون هذه الفنون في عدة فصول من مقدمته؛ ثم قال: ((وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها؛ وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر... فحدث لذلك علم أسرار الحروف؛ وهو من تفاريع علم السيميا... وتعددت فيه تآليف البوني وابن

مقدمته فصلاً مطولاً شرح فيه ما يعرف بعلم **أسرار الحروف وزايرجية استخراج أجوبة المسائل لأبي العباس أحمد السبتي.**[1]

المهم؛ أن هذه الفنون كلها؛ لم يثبت ـ حتى الآن ـ اهتمام **الأخضري** بها، أو انشغاله بالكتابة فيها، أو احتمال تحدثه بها في الحلقات التي يعلم فيها تلاميذه. بل صدر عنه ما ينفي ذلك. فها هو يقول في **منظمة السراج في الفلك:**

وَبَعْـدُ فاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ الفَلَكِ
عِلْمٌ عَزِيزٌ مِنْ أجَلِّ مَسْلَكِ
وَمَا بِهِ تَطَرُّقٌ لِلْغَيْبِ
فَذَلِكَ الحَرَامُ دُونَ رَيْبِ

إذن؛ **فالأخضري** يحرم الاشتغال بأمور الغيب. ومن هنا؛ لا يصح لنا أن نتهمه بتعاطي فنوناً تبحث في كشف الغيب، وأسرار أخفاها الله لحكمة سنها.

العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما... ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو؛ فمنه من جعله للمزاج الذي فيه، وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر)). ج: 4، ص: **1271**.

[1] وهو من المتصوفة؛ عاش في أواخر القرن السادس من الهجرة بمراكش؛ وعاصر ملك الموحدين يعقوب ابن المنصور.

وكل الذي عرفناه ـ بخصوص هذا الموضوع ـ هو ما ذكره **الحسين بن محمد الورثلاني**؛ صاحب الرحلة المسماة **"بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**؛ حين قال: **((وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع)).**[1] والكلام هنا عن **الأخضري**؛ الذي زعم **الورثلاني** أنه اكتشف قبر **النبي خالد**؛ بواسطة **"علم التربيع"**. ولكنه لم يذكر ممن سمع هذا القول.. هل سمعه من علماء موثوق بهم.؟ أم من عامة الناس الذين تستهويهم الخرافات والأوهام..؟ علماً بأن **الورثلاني** نفسه يبدو ـ من خلال كتاباته ـ أنه ممن يعتقدون **بالوجدانيات والغيبيات**؛ ولا يعطي بالاً كبيراً **لأحكام المنطق، والعلوم العقلية.** وعليه؛ فالقول باستعمال **الكشف والتربيع** في معرفة قبر **النبي خالد بن سنان** مشكوك فيه، ولا يتفق مع الحركة العلمية **لعبد الرحمن الأخضري**، أو ما عرف عن منهجه العلمي؛ الذي يميل إلى أحكام المنطق، ويعتمد على البراهين الرياضية.

[1] نزهة الأنظار، ص: 5.

وكل ما في الأمر؛ أن أهم حجة استند إليها أصحاب الرأي في إظهار **الأخضري** لقبر **النبي خالد**؛ هي القصيدة الطويلة التي نسبت إليه؛ تلك القصيدة التي تحث الناس وتدعوهم لزيارة قبر **النبي خالد** في المدينة المعروفة باسمه؛ وهي:[1]

سِرْ يَا خَلِيلِي إِلَى رَسْمٍ شُغِفْتُ بِهِ
طُوبَى لِزَائِرِ ذَاكَ الرَّسْمِ وَالطَّلَلِ

جَلَّتْ شَوَاهِدُهُ عَزَّتْ دَوَائِرُهُ
مَا خَابَ زَائِرُهُ فِي الصُّبْحِ وَالأَصَلِ

يلقَى الجَواهِر من يَغشَى مَناكِبه
يُعطي الكَرامة منْ يَأتيه ذا وَجَلِ

القلبُ مضَى بهذا الرّمْس مُعتكفٌ
والشيخ مِنّى خلال النَّاس لم يزل

فلسْتُ أملك من صَبرٍ ولا جَلَد
فاحْملْ سلامي لهذا الرّسم والطّلل

وقُلْ لَه قد ثَوَى عبدٌ يحُبّكُمُ
هذي تحِيّةٌ مَوْصوفة المثَل

إنْ قلتَ أين أروم الرَّسْم والطَّللِ
أقولُ إليكَ بالأخْبار إنْ تَسَلِ

---

[1] تحتوي القصيدة التي بين يدي على **40** بيتاً؛ بينما ذكر الدكتور سعد الله أنه يملك نسخة منها ضمن مخطوط "العقد الجوهري" لأبي محمد أحمد بن داود؛ بـ **42** بيتاً.

هذا مقامٌ عليه النَّاسُ قــدْ غَفلــوا

إذا حَلَّ بين بِلادِ السُّــوء فأمْتَثِــل

هذا مقامٌ رفيعُ الشَّــأنِ قــد شَهِــدتْ

به الدَّلائِلُ هذا الأمــرُ فيــه جَــلي

هذا مقــامٌ بلادُ الغَــرْبِ مَسْكَنُــه

شَرّ البقاعِ بهــا قــد حَــلّ في المِلَــلِ

هذا مقامٌ له خَطْــبٌ لــه عَجَــب

أخْفَتْهُ غُرْبَتُــه هذا المقــامُ عــلي

هذا مقامٌ بلادُ الغَــرْبِ حَــلَّ بهــا

وما لَهُ في بِلادِ الغَــرْبِ مِنْ مَثَــلِ

هَذا نَبِيٌ كَــرِيمٌ في الأنــامِ ثَــوَى

بينَ البَوادي أشَرَّ النّاس في النِّحَــلِ

يا رُبَّ غُصْنٍ بَديعِ الحُسْنِ مُنْتَهِــج

مُزَخْرفٍ ببقاعِ السُّــوءِ مُكْتَمِــلِ

إنَّ النُّبُوَّةَ قَدْ لاحَــتْ شَوَاهِدُهَــا

كَيفَ المَحَالَةُ وَالأنْــوَارُ لَمْ تَــزَلِ

فِي خَالِدِ بْنِ سِنــانِ البَدْرِ سَيِّدِنَــا

أخُصُّــهُ بِسَــلامٍ رائِــقٍ حَفِــلِ

لِلَّهِ مَا حَازَ مِنْ عِــزٍّ وَمِنْ شَــرَفٍ

نَالَ الرِّسَالَةَ يَا نَاهِيــكَ بِالرُّسُــلِ

أنْوَارُهُ سَطَعَتْ فَوْقَ الرُّبَى وَبَــدَتْ

عَلَى الفَيَافِي وَفَوْقَ السَّهْلِ وَالجَبَلِ

فاحْللْ بساحَتِه تُبْصِــرْ عَجائِبَــه

وكنْ أخــا أدَب إنّ المقــام عَــلي

أكــرِمْ بزائِــرِه تَحْــظَ بِحُرْمَتــه

ما حــل جرمه من قُلِّــد بالرُّســل[1]

حاشــا الإله يرد المستغيــث بــه

خَــصّ النَّبئيــن بالإكرام والجَلــل

حــاش النُّبُــوّة أيَخِيــبُ زائِرُهــا

إنَّ النُّبُــوَّةَ بابُ الجــود والفضــل

إنّ النَّبيِّينَ ربُّ العَــرْشِ فَضَّلَهُــم

فهمْ مُلوك الــوَرَى يومَ المعاد قُــلِ

إنّ النَّبيئينَ يومَ الفَصْلِ قد جَلســوا

على منابر فوقَ البســط والحلــل

إنّ النُّبــوءَةَ لا تَخْــفَى عَجائِبهــا

أمرُها كَضِيــاءِ الشَّمْسِ في المَثَــل

هذا المقامُ لدا المَــوْلَى لــه عِظَــمٌ

فيه النُّبــوَّءة ذات القُدسِ والنِّحَــل

وإنّمــا ضاعَــهُ قَــوْمٌ بــه ثبتــوا

والقربُ يحتقر الإجــلال بالمهــل

أبا البقاء لقدْ جَلَّــتْ مَحاسِنُهُــم

والعبدُ يَخْشَى حِبــال الوِزْرِ من ثِقَــلِ

[1] هكــذا نســخ بشكــل غيــر الشطــر غيــر موزون ولا مفهــوم.

وكيف يخْشَى لظًى من يستغيث بكـــم

إذا كم أنال إله العـــرش بالرّســـل

يا سيدي إن هذا العبـــد معتصـــم

بحبلكمْ وإنَّني أشْكو مـــن الزّلـــل

عسَى عبيدكـــم يحْـــظَى بقربكـــمُ

ويهتـــدي لطريـــق الخيـــر والسُّبُـــل

وأنْتَ يا سَيّدي من جاءَ زائِركُـــمْ

يَنْجـــو من الهَمِّ والأهْـــوالِ والوَجَـــلِ

إن النَّبِيئيـــنَ عنـــد اللَّـــهِ فـــي عِظَـــمٍ

مَنِ اسْتَغاثَ بِهِمْ يَنْجو مِنَ الوَحَـــلِ

وها أنا ذا كثيـــر الـــوِزْرِ مُسْتَنِـــدٌ

لِجاهِكُمْ فعَسَى مَـــوْلايَ يَغْفِـــرُ لِي

علَيكمْ صلواتُ اللَّـــــه يَتْبَعُـــهـــا

أزْكَى تَحِيَّته في الصُّبْحِ والأصَـــلِ

لا سيما خَيْر من جَلتْ مَحاسِنـــه

محمـــدٌ سيـــد الأمِـــلاك والرُّســـل

صلَّى عليهِ إلَهُ العَرش ما طَلَعَـــتْ

شَمْسٌ وما غَرُبَتْ ثُمَّ السَّلام يَـــلي

والآلِ والصُّحْبِ والصِّدِّيـــقِ ثم أب

حَفْصٍ ومُحْيِ الدجا[1] ثُمَّ الإمـــامِ عَلي

[1] هكـــذا.

ما غَرَّدَ الطَّيْرُ في أفْنانِهِ أسَفاً
وما أقامَ بكاء الصَّبّ في الطَّلَل
وما أقام بكاء الوجْد مُضْطَربا
والحمدُ لله طولَ الدَّهر والدُّوَلِ

وهذه القصيدة صيغت في خمس وأربعين بيتاً؛ تمجد وتعظم **النبي خالد بن سنان**؛ وتبرز فضل زيارة قبر هذا النبي الذي ضيعه أهله؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم أهمله **أهل المغرب**؛ الذين يحتقرون العلماء؛ حسب ما نسب **للأخضري**. والقصيدة ـ حتى وإن صحت **نسبتها للأخضري** ـ فلا تكفي أن تكون دليلاً يثبت وجود قبر هذا **النبي** في المدينة التي تحمل اسمه الآن؛ لأن المصادر التاريخية تذكر: أن **النبي خالد بن سنان بن غيث العبسي** دفن في **شبه الجزيرة العربية**؛ بين قومه **بني عبس**؛ ضمن أحقاف رملية. بل ثمة رواية ـ نقلاً عن **ابن عباس** رضي الله عنه ـ تفيد بأن ابنة **النبي خالد بن سنان** أتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهي عجوز ـ وأسلمت

عـــلى يديـــه.[1] فكيـــف ـــ إذن ـــ انتقـــل قبـــر هـــذا النـــــبي إلى **الجزائـــر..؟!**

والغريـــب؛ أن **الورثـــلاني** يقـــول أن **النـــبي خالـــــد بــــن سنـــان** بعـــث إلى قـــوم **في "جبـــل الـــــرس"**؛ معتقـــــداً أنـــــه **"جبـــل أوراس"**؛ تبعـــاً لمـــا استنجـــه **الخفــــاجي**[2] في رسالـــــة **"الشفـــاء"**.[3] بينمـــا تؤكـــد مصـــادر كثيـــرة أن **"الـــرس"** اســـم أطلـــق عـــلى عـــدد مـــن الأماكـــن في **شبـــه جزيـــرة العـــرب**؛ منهـــا مـــا جـــاء في القـــرآن الكريـــم عـــن أصحـــاب الـــــرّس: **((وَعَـــاداً وَثَمُـــوداً وَأَصْحَـــابَ الـــرَّسِّ وَقُرُونـــاً بَيْـــنَ ذَلِـــــكَ كَثِيـــراً))**.[4] ثـــم **((كَذَّبَـــتْ قَبْلَهُـــمْ قَـــوْمُ نُـــوحٍ وَأَصْحَـــــابُ الـــرَّسِّ وَثَمُـــودُ))**.[5] و**"الـــرّس"** كمـــا جـــاء في التفاسيـــر: كـــل مـــا حفـــر مثـــل البئـــر والقبـــر. والآيـــــة تقـــول أن قومـــاً كانـــوا يقيمـــون عنـــد بئـــر تعـــرف **"بالـــرّس"**؛ دمرهـــم اللـــه.

وبالإضافـــة إلى ذلـــك فقـــد ورد في بعـــــض المصـــــادر أن **"الـــرّس"** أحـــد أوديـــة نجـــد؛ وفي هـــذا يقـــول **بـــــدر ابــــن مالـــك بـــن زهيـــر ـــ سيـــد بـــني عبـــس ـــ** يـــــرثي أبـــــاه؛ الـــذي قتلـــه أولاد **بـــدر الفـــزاري**؛ في ثـــأر لهـــــم ـــ **وبنــــو**

---

[1] مـــروج الذهـــب، ج: 1، ص: 67. ج:2، ص: 226. والبـــدء والتاريـــخ، ج: 3، ص ص: 134 ـــ 135.

[2] وهـــو شهـــاب الديـــن أحمـــد بـــن محمـــد الخفـــاجي المصـــري (1069هـــ/1658م)؛ صاحـــب رسالـــة شفـــاء العليـــل فيمـــا في كـــلام العـــرب مـــن الدخيـــل.

[3] نزهـــة الأنظـــار، ص ص: 5. 87 ـــ 88.

[4] ســـورة الفرقـــان، آيـــة: 38.

[5] ســـورة ق، آيـــة: 12.

عبس كما ترى؛ هم قوم **النبي خالد ابن سنان ــ** فقال:[1]

أَحَلَّ بِهِ أَمْسِ جُنَيْدِبُ نَذْرِهِ
فَأَيُّ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَفَانِ
إِذَا سَجَعَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ
أَوِ **الرَّسِّ**، تَبْكِي فَارِسَ الْكَتَفَانِ

ويقول زهير بن أبي سلمى في معلقته أيضاً:[2]

بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ
فَهُنَّ وَوَادِي **الرَّسِّ** كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

إذن؛ فالمكان المسمى **"بالرَّس"** يوجد في **شبه الجزيرة العربية**؛ ــ سواء أكان بئراً أم وادياً أم جبلاً ــ ولا علاقة له بجبل **"الأوراس"**. ومن المضحك أن نتخيل ذلك بدون دليل. ولا يوجد ما يسوغ رأي **الورثلاني** وغيره في هذا الباب. أما القبر المنسوب **للنبي خالد بن سنان**؛ فإنه إذا كان قد عُرِف ونسب ــ منذ زمن بعيد ــ لرجل يسمى **خالد**، وتواترت الأخبار بذلك؛ فلا يعني هذا أن **خالداً** صاحب القبر ــ هو بالضرورة ــ **النبي خالد بن**

---

[1] معجم البلدان، ج: 1، ص: 205. كلمة الإصاد.

[2] شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص: 10.

سنان؛ إذ قد يكون صاحب ذلك القبر **خالداً** آخر.. وربما كان هو **خالد بن يزيد العبسي**[1] الذي تبنته **الكاهنة**، وآخت بينه وبين ابنيها. **فخالد** هذا كان متواجداً في منطقة **الأوراس وبسكرة**؛ فما الذي يمنع أن يكون قد استشهد حيث يتواجد القبر المذكور الآن..؟

ـ *وفاة الأخضري:*

وجملة القول؛ فقد انتهت حياة **عبد الرحمن الأخضري** بينما كان يقضي فصل الصيف ـ كعادة أهل الصحراء في التّل ـ إذ توفي رحمه الله في سنة 953هـ/1546م؛ **بكجال** بجهات **سطيف**. فنقل جثمانه إلى مسقط رأسه **بنطيوس**؛ أين يتواجد الآن ضريحه؛ الذي بقي طوال السنين التالية لوفاته مزاراً للعلماء والرحالة من **بلاد المغرب** كافة.

وقد زعم بعضهم أن **الأخضري** لم يتزوج، ولم يخلف أولاداً. وهذا ما اعتقدته ـ بدوري في البداية ـ كما قال به الدكتور **سعد الله**[2]؛ ولكن تبين لي ـ

[1] سماه بعضهم خالد بن يزيد القيسي، وبعضهم الآخر يزيد بن خالد العبسي أو القيسي. فإن صحت تسميته بخالد بن يزيد العبسي؛ ألا يبعث هذا إلى الرغبة في المقارنة بينه وبين خالد المدفون في المدينة المسماة بسيدي خالد في ولاية بسكرة. راجع أخبار خالد ابن يزيد العبسي في: رياض النفوس للمالكي، ج: 1، ص: 54.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فيما بعد ــ بالدليل؛ أنه تزوج؛ وله خَلَفٌ ــ من صلبه ــ بقيت سلسلتهم إلى الآن. وتجلى لي ذلك من خلال وثيقة مستخرجة من المحكمة الشرعية **بطولقة**؛ كتبت بتاريخ 21 فبراير 1915م الموافق ليوم من محرم الحرام سنة 1334هـ. تفصل هذه الوثيقة الشرعية في مياه السقي لفائدة أبناء **الأخضري**؛ فجاء ما نصه: ((**الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن صغير...... واتفقوا واصطلحوا على هذا......** [فلان بن فلان، وفلان بن فلان]..... **وأولاد سيدي عبد الرحمن بن صغير**))[1].

كما ذكر المستشرق الفرنسي **لوسياني** .Luciani. J.D؛ (1851 – 1932)؛ في كتاب السلم المرونق في المنطق ــ الذي قام بترجمته إلى الفرنسية بعنوان ;LE SOULLAM TRAITÉ DE LOGIQUE ــ قال فيه: أن ثمة وثائق صادرة عن **الباي التركي بقسنطينة**. وإحدى تلك الوثائق مؤرخة في محرم سنة 1060هجرية [1650م]؛ تقضي بالتقدير والتبجيل والاحترام لثلاثة من أحفاد **عبد الرحمن الأخضري**؛ هم الإخوة: **رحمون، وعبد المالك، ومحمد**؛ أبناء **عامر بن علي بوستة ابن المقدس سيدي عبد الرحمن الأخضري**. وقد اطلع **لوسياني**

[1] رقم هذه الوثيقة المستخرجة من محكمة طولقة هو: **1915/124**.

.Luciani. J.D؛ عــلى عــدد مــن تلــك الوثائــق الصــادرة عــن الإدارة **التركيــة بقسنطينــة** بخصــوص أحفــــاد **الأخضــــري** وزاويتهــم؛ تحمــل التواريــخ التاليـــة: 1078 ـ 1103 ـ 1132 ـ 1147 ـ 1149 ـ 1246؛ وهــذه الأخيــرة تحمــل توقيـــع **بـــاي قسنطينــة الحـــاج أحمـــد بـــاي**. إذن؛ **فلعبـــد الرحمـــن الأخضــري** أحفــاد؛ وقبــل الأحفــاد؛ ابـــن اسمـــه **عـــلي بوستـــة**. مــن هنــا يتبــن بــأن للأخضــري ابــن اسمــه **عـــلي بوستـــة**.

أمــا اعتقــاد بعضهــم بعــدم زواجــه؛ نظــــراً لكونــــه مــات في العقــد الثالــث مــن عمــره؛ فهــذا ليــس بدليــــل قاطــع؛ خاصــة إذا علــم أن الشبــاب في الزمــن الــذي عــاش فيــه **الأخضــري**؛ كانــوا يتزوجــون صغــــاراً؛ وبالخصـــوص أبنــاء العائــلات المتمسكــة بالتعاليـــم الدينيـــة. والحريصـــة عــلى تقاليــد السلــف.

*****

مؤلفات الأخضري

ذاك ما أمكن ذكره بخصوص حياة **عبد الرحمن الأخضري**. وبقي الآن؛ الحديث عن بعض مؤلفاته؛ التي تيسرت وتم الإطلاع عليها. إذ أن معظم كتبه غير متوفرة الآن؛ إما لكونها مفقودة، وإما أن تكون في حوزة من تعذر الاتصال بهم. ومجمل القول؛ فإن مؤلفات **الأخضري** قد يصل عددها حوالي عشرين تأليفاً؛ بل ثمة من يرى أنه أنجز زهاء الثلاثين عملاً؛ منها ما هو معروف، وما هو مفقود.

ومنهجه في التأليف يغلب عليه الطابع المدرسي؛ بسبب اهتمامه بالتربية والتعليم. حيث كان يعمل على ترويض ذاكرة المتعلمين؛ إذ ينجز لهم أولاً المتن الخاص بالمادة المراد تعليمها ــ بغرض تلخيص الموضوع؛ ضمن قواعد محددة؛ لكي لا يجهد ذاكرة المتلقي ــ ثم يسعى ــ بعد ذلك ــ إلى إعداد الشرح اللازم؛ لتوضيح ما يقصده في المتن.

لذلك نجد أن **الأخضري** عمل على إنجاز شروح وافية لمعظم منظوماته في شتى العلوم. وهذه الطريقة التعليمية ــ حتى وإن كانت تقليدية ــ فقد أفادت عدداً كبيراً من طلبة العلم. ولولاها لتفاقم أمر الجهل بين الناس؛ في زمن كانت الدولة فيه لا تهتم بتعليم أبنائها. وعلى هذا؛ أصبحت معظم كتب **الأخضري** تدرس في أهم المعاهد **بالمغرب والمشرق: كالأزهر والزيتونة والقرويين**؛ بالإضافة إلى المدارس والزوايا **بتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وبسكرة** وغيرها من البلدان الإسلامية في **آسيا...**

وبعد استكمال الحديث حول حياة **الأخضري**، ومستوى تفاعله مع عصره، ومدى قيمة أفكاره وأعماله؛ التي انحصرت في عملية التربية والتعليم، وفي تأليف الرسائل والكتب نظماً ونثراً، إلى جانب القيام الواجبات الدينية؛ التي كان حريصاً على أدائها؛ في إطارها الشرعي؛ الملتزم بالكتاب والسنة؛ عندها؛ نصل الآن إلى موضوع مؤلفاته العديدة؛ على أننا سنلمح ــ بإيجاز ــ لبعضها؛ بينما نتوسع ــ بعض الشيء ــ في الكلام عما توفر منها لدينا؛ ولكن في حدود يسمح بها مجال هذه الدراسة. وعلى هذا فأهم كتب **الأخضري** هي:

أولاً ــ رسالة في علم الحساب:

نظمها في مائة وسبع عشرة بيتاً. ولم تكن مادة الحساب ــ على ما يبدو ــ هي الغاية التي يرغب فيها **الأخضري**؛ حين وضع هذه الرسالة؛ بل كان الحساب وسيلة لفهم وتطبيق مادة **"الفرائض"** و**"قسمة التركات"**. لذا فقد خصص القسم الأول من كتابه **"الدرة البيضاء"** لتعليم الحساب. وقد صاغ **"رسالة الحساب"** بأسلوب بسيط وواضح؛ وضع فيها القواعد الأولية الهامة للحساب. وحظيت هذه المنظومة باهتمام المشرفين على المعاهد التعليمية في **المغرب والمشرق**. وطبعت عدة طبعات؛ منها طبعة **القاهرة** سنة 1369 هـ/ 1949م؛ ضمن **"مجموع مهمات المتون"**. ولَدَى كاتب هذه السطور نسخة منها. سيتم شرح بعض فصولها؛ بغرض توضيح طرق تدريس الحساب في عصر **الأخضري**. وهذه المنظومة تبدأ بـ:

ــ ***الباب الأول:*** الذي يشرح فيه **الأخضري** ماهية **"حروف الغبارى".**[1] ثم يحدد مراتب الأعداد في أربع مراتب؛ هي: **الآحاد والعشرات والمئات والآلاف.** وبعدها تتبدل الأعداد؛ حيث تصبح الآلاف كالآحاد. وفي ذلك يقول:

حُرُوفُهُ مَعْلُومَةٌ مَشْهُورَهْ
مِنْ وَاحِدٍ لِتسْعَةٍ مَذْكُورَهْ
وَجَعَلُوا صِفْراً عَلاَمَةَ الخَلاَ
وَهْوَ مُدَوَّرٌ كَحَلْقَةٍ جَلاَ

ومن خلال البيت الثاني؛ الذي يصف فيه الناظم الصفر على أنه **"مدور كحلقة"**؛ يتبين لنا أن الأرقام المتبعة في **الجزائر** ــ أيام **الأخضري** ــ هي **"الأرقام العربية"** المعمول بها الآن؛ وليست **"الأرقام الهندية"** المعتمدة في **المشرق العربي**؛ التي يكون الصفر فيها عبارة عن نقطة.

[1] حروف الغبارى أو الحروف الغبارية: هي الأعداد من واحد إلى تسعة؛ حسب الطريقة المتبعة في بلدان المغرب. وهي المعروفة بالأعداد العربية.

وبعد الحديث عن **حروف الغبارى**؛ ينتقل **الأخضري** مباشرة ــ مبدياً قدرة كبيرة على النظم ــ إلى وصف عملية الجمع بالشكل المبسط نفسه؛ فيقول في:

ــ ***الباب الثاني:*** المخصص للجمع:

وَالجَمْعُ ضَمٌّ عَدَدٍ لِعَدَدِ
لِكَيْ تَعُدَّهُ بِلَفْظٍ مُفْرَدِ
فَتُجْمَعُ الآحَادُ لِلآحَادِ
وَهَكَذَا البَاقِي عَلَى التَّمَادِي

وعملية الجمع ــ كما يقول **الأخضري** هنا ــ هي عبارة عن ضم عدد معين لعدد آخر؛ بحيث يُنْطَقُ ــ بعد ذلك ــ بصيغة المفرد؛ كأن تقول: **إثنان** زائد **ثلاثة** يساوي **خمسة**؛ فتأتي النتيجة مفردة أي **خمسة**؛ بعد أن قدمت في البداية في شكل عددين هما: **إثنان وثلاثة.** ثم يسترسل ــ بعدئذ ــ في وصف الكيفية التي تمت بها عملية الجمع؛ وذلك بإضافة كل رتبة إلى مثيلتها: (الآحاد للآحاد والعشرات للعشرات والمئات للمئات والآلاف للآلاف)؛ بحيث توضع نتيجة كل رتبة ــ إن كانت دون التسعة ــ تحت أختها؛ وما كان فوق التسعة يضاف للرتبة الموالية؛ كأن يضاف

الفائض عن الآحاد إلى العشرات، والفائض عن العشرات يضاف إلى المئات؛ وهكذا حتى تنتهي المراتب المقصودة بالجمع. ويلخص **الأخضري** هذا بقوله:

ضِفْ كُلَّ رُتْبَةٍ إِلَى الْمَوْضُوعِ
مِنْ تَحْتِهَا وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْمُوعِ
فَإِنْ يَكُنْ تِسْعاً فَأَدْنَى فَلْتَضَعْ
جُمْلَتَهُ فَوْقَ الَّذِي مِنْهُ اجْتَمَعْ
وَمَا يَكُونُ زَائِداً عَلَيْهَا
فَانْزِلْ بِهِ تَحْتَ الَّذِي تَلِيهَا
وَاجْمَعْهَا مَعْ أَعْدَادِهَا بِالضَّبْطِ
فَخَارِجٌ مَا كَانَ فَوْقَ الخَطِّ

هذا في الأعداد من: واحد إلى تسعة؛ أما في حال جمع عدد منها إلى صفر؛ فالنتيجة لا تتغير عن قيمة العدد المذكور، أما إذا جُمِع صفران إلى بعضهما؛ فالنتيجة تكون صفراً من الصفرين. وهكذا دواليك في كل الحالات.

وَإِنْ جَمَعْتَ عَدَداً لِصِفْرِ
فَاطْلَعْ إذاً بِعَدَدٍ لِتَدْرِي

فَإنْ جَمَعْتَ هَاهُنَا صِفْرَيْنِ
فَاطْلَعْ بِوَاحِدٍ مِنَ الإثْنَيْنِ
وَإنْ تَكَرَّرَ الَّذِي قَدْ نَزَلاَ
بِهِ لِكَوْنِ الْجَمْعِ قَدْ تَسَلْسَلاَ
فَاجْمَعْهُ مَعْ أعْدَادِ مَا بِهِ عَرَى
منْ دُونِ تَغْيِيرٍ لَهُ كَذَا جَرَى

ويتبين لنا من خلال ما أنجزه **الأخضري** في هذه المنظومة وغيرها من المتون؛ أنه يضع قواعد جاهزة للحفظ؛ قصد استيعاب العلم المراد تعليمه؛ وهذا لا يتناقض مع الطرق **البيداغوجية** المعمول بها حديثاً؛ إذ يخصص في الكتب المدرسية الحالية فقرة أو فقرات لكل درس؛ يطلب من التلاميذ حفظها؛ وتسمى هذه الفقرة **"بالقاعدة"**. وهذا ما كان يرمي إليه **الأخضري** من إعداد المتن؛ خاصة المنظوم منه؛ الذي يسهل حفظه؛ خلافاً للفقرات المنثورة المعتمدة حالياً. على أنه كان يسعى ــ فيما بعد ــ لإعداد شروح وتفاسير لتلك القواعد المسماة بالمتون؛ حتى يتمكن الطلبة من التوسع وهضم الدروس وفهمها من جميع جوانبها.

وكما هو الحال بالنسبة لموضوع الجمع فقد خصص أيضاً للطرح باباً في منظومته.

ــ ***الباب الثالث:*** وبدأه بــ:

الطَّرْحُ إسْقَاطُ قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرْ
وَهْوَ عَلَى سِتَّةِ أقْسَامٍ يَصِيرْ
فَإنْ طَرَحْتَ القَدْرَ مِن كَثِيرِ
فَالطَّرْحُ فِيهِ وَاضِحُ التَّقْدِيرِ

إذن؛ فالطرح عبارة عن إسقاط العدد القليل من العدد الكثير. ويتم ذلك بإتباع ست طرق:

ــ **الطريقة الأولى:** هي العادية، البسيطة؛ التي يتم فيها طرح القدر القليل من القدر الكثير؛ مثل:

$$\begin{array}{r} 444 \\ \underline{-\ 222} \\ =222 \end{array}$$

ــ **أما الطريقة الثانية والثالثة:** فتتطلب استعارة عدد من الرتبة الموالية ليضاف إلى المرتبة الناقصة؛ يقول فيها:

وَالْحَمْلُ فِي قِسْمَيْنِ إنْ صِفْرٌ عَــلاَ
أوْ كَانَ الأعْــلَى أدْنَ مِمَّا سَفَــلاَ
فَاحْمِــلْ عَلَيْهِمَا بِعَشْــرٍ وَافِيَــهْ
وَاطْرَح وَأدْخِلْ وَاحِداً فِي الثَّانِيَــهْ

مثــال هــذا يكــون عــلى شكليــن: إمـــا أن يكـــون القــدر الــذي يطــرح منــه صفــراً بينمــا القــدر المطـــروح مــن واحــد إلى تسعــة، أو يكــون القــدر المطـــروح منـــه مــن واحــد إلى تسعــة ولكنــه أكثــر مــن المطــروح منـــه؛ عندئــذ تستوجــب العمليــة الحمـــل إلى المرتبـــة المواليـــة؛ فنحمــل عشــر، ثــم نطــرح ذلــك العــدد المجــاور بعـــد أن ندخــل الواحــد في الأولى. ويتــم ذلــك كمــا يــلي:

$$
\begin{array}{r}
440 \\
\underline{-\ 222} \\
=2\ 1\ 8
\end{array}
$$

وهنــا لا يصــح القــول: 2 مــن صفــر؛ بــل نستعيــر 1 مــن العــدد 4 المجــاور، ونضيفــه للصفــر؛ فيصبـــح العـــدد المطلــوب 10؛ بينمــا ينقـــص مـــن العـــدد 4 واحـــد؛ فيضــحى 3 . إذن نطــرح 2 ــ 10 = 8 . ثـــم ننتقـــل إلى مرتبــة العشــرات؛ فنطــرح 2 مــن 3؛ بعـــد أن أصبحـــت هكــذا؛ بسبــب الواحــد الــذي استعيــر منهـــا؛ فتكـــون

النتيجة = 1. ثم نطرح ـ في النهاية ـ مرتبة المئات: 4 ـ 2 = 2. فتغدو النتيجة النهائية: 218.

ـ **أما الطريقة الرابعة والخامسة والسادسة:** فيقول فيها:

وَالصِّفْرُ كَافٍ إِنْ طَرَحْتَ العَدَدَا
مِنْ مِثْلِهِ كَالصِّفْرِ مِنْ صِفْرٍ بَدَا
وَإِنْ يَكُ الصِّفْرُ الَّذِي مِنْ أسْفَلاَ
فَاقْنَعْ إِذاً بعَدَدٍ قَدِ اعْتَلَى
وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَقْسَامِ
فِيمَا عَدَا الآخِرِ ذِي الإِتْمَامِ
لأَنَّهُ حَتْماً يَكُونُ أَكْثَرَا
مِنَ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ قَدْ شُهِرَا

وبيانها أن تكون في حال طرح صفر 0 من 0 مثله؛ فتكون النتيجة 0 . أو طرح 0 من أعداد تتراوح من: 1 إلى 9 ؛ فالنتيجة تكون حسب مقدار العدد المطروح منه. مثل: 6 ـ 0 = 6. والأخرى تتم عند طرح أي عدد من 1 إلى 9 من صفر. وهنا يتعذر الطرح.

وقد اشتملت هذه المنظومة أيضاً على باب خاص بعملية الضرب.

ـ ***الباب الرابع:*** استهله الناظم بـ:

إِعْلَمْ بِأنَّ الضَّرْبَ تَضْعِيفُ العَدَدْ
بِقَدْرِ مَا فِي آخَرٍ منَ العَدَدْ
فَاجْعَلْهُمَا سَطْرَيْنِ كُلٌّ مَرْتَبَةْ
مَقْرُونَةٌ بِأخْتِهَا مُرَتَّبَةْ
فَكُلُّ رُتْبَةٍ لأعْلَى تُنْسَبُ
فِي رُتْبَةِ الآخَرِ طُرًّا تُضْرَبُ

الضرب يختلف عن الجمع والطرح؛ في أنه تضعيف للعدد بقدر العدد المضروب فيه. وإذا كان الضرب يتفق معهما في ترتيب المراتب؛ بحيث توضع الآحاد تحت الآحاد والعشرات تحت العشرات وغيره؛ فإنه لا يكتفي مثلهما بضرب مرتبة الآحاد مع الآحاد مثلاً؛ بل يمكن لعدد في مرتبة الآحاد أن يُضْرب بعدد آخر في مرتبة العشرات وهكذا دواليك.

وإذا تمت عملية الترتيب؛ تبدأ عملية الضرب بـ:

وَاحْسِبْ مِنَ المَضْرُوبِ لِلْمَضْرُوبِ فِيهْ
وَالتَّرْكُ لاَ مِنْ وَاحِدٍ تَكُــنْ نَبِيــهْ
وَلْتَجْعَــلِ الخَارِجَ فَوْقَ الأسْطُــرِ
بِقَــدْرِ ذَلِــكَ الْحِسَــابِ الأشْهَــرِ
وَيُجْمَــعُ الخَــارِجُ ثُــمَّ يُجْعَــلُ
مِــنْ فَوْقِــهِ وَبَعْــدَ ذَاكَ يُفْعَــلُ

والعمليــة تتــم بضــرب المضــروب في المضــروب فيــه ضمــن خانــة الآحــاد علــى حــد ســواء؛ ثــم تضــرب الآحــاد بالعشــرات وبعدهــا المئــات إلــخ.. وبعــد انتهــاء ضــرب خانــة الآحــاد بالخانــات الأخــرى تنتقــل العمليــة نفسهــا انطلاقــاً مــن خانــة العشــرات إلى غيرهــا؛ وهكــذا بالتنــاوب. وتوضــع النتيجــة مرتبــة بعــد مرتبــة علــى التــوالي؛ وإذا فــاض عــدد يوضــع فــوق الخانــة المواليــة ثــم يجمــع مــع أعدادهــا؛ مثــل:

$$\begin{array}{r} 44 \\ \times\ 44 \\ \hline 1\ 7\ 6 \\ 1\ 7\ 6\ \ \\ \hline =1\ 8\ 3\ 6 \end{array}$$

وذلــك بضــرب $4 \times 4 = 16$ ؛ فنثبــت 6 في الموضــع المخصــص للنتيجــة؛ ونرفــع الواحــد؛ الــذي يمثــل العشــرات فــوق العــدد 4 الــتي تحتــل خانــة العشــرات أيضــاً؛ ثــم

نضيف ذلك الواحد إلى 16 وهي النتيجة الثانية؛ فتصبح 17 . هذه هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية فتتطلب ضرب الأربعة الأخرى في خانة العشرات السفلى بخانة الآحاد العليا وتثبت 6 أيضاً ثم يرفع الواحد كذلك فوق خانة العشرات مثل الأولى، ويجمع مع نتيجة العشرات؛ فتكون النتيجة هي 176 أيضاً فترتب بترك خانة يمين الأعداد؛ ثم تجمع المراتب كلها لتحصل النتيجة النهائية وهي: 1836.

ثم يضيف **الأخضري** قائلاً:

وَإِنْ ضَرَبْتَ وَاحِداً فِي وَاحِدِ
فَوَاحِدٌ يَكُونُ دُونَ زَائِدِ
وَإِنْ ضَرَبْتَ ذَاكَ فِي الأَعْدَادِ
فَقَدْرُ مَا فِيهَا مِنَ الآحَادِ
فَاقْنَعْ بِصِفْرٍ انْ ضَرَبْتَ الصِّفْرَ فِي
نَظِيرِهِ أَوْ عَدَدٍ فَلْتَقْتَفِي

وستكون النتيجة ـ حين تضرب واحداً في واحد ـ هي واحد دون زيادة؛ أما إذا ضربت واحداً في عدد ما؛ فالناتج يكون بقدر ذاك العدد؛ كأن تضرب: 1 × 4 ؛ ستكون النتيجة حتماً 4. ومن جهة أخرى فإذا ضربت الصفر في الصفر؛ فالنتيجة هي صفر بالطبع.

وكذلـــك هـــو الحـــال إذا ضربـــت الصفـــر بعـــدد مـــا؛ فـــــلا بـــد أن تكـــون النتيجـــة صفـــــراً؛ كــــــأن تضـــــرب 4×0 فالنتيجـــة $= 0$.

أمـــا بـــاب القسمـــــــة فقـــــد قسمـــــه **الأخضـــــري** إلى فصليـــن:

<u>***ـــ البـــاب الخامـــس:***</u> يقـــول في أولهمـــا:

وَعَمَـــلُ القِسْمَـــةِ فِي الحِسَـــابِ
مِنْ أحْسَنِ الفُصُـــولِ وَالأبْـــوَابِ
فَلْتَجْعَـــلِ المَقْسُومَ فَـــوْقَ الآخَـــرِ
وَتَجْعَلِ الأمَـــامَ تَحْـــتَ الآخِـــرِ
وَلاَ يَجُـــوزُ أنْ يَكُـــونَ الأكْثَـــرُ
تَحْـــتَ الأقَـــلِّ مِنْـــهُ بَلْ يُقَهْقَـــرُ
ثُمَّ تَـــرُومُ عَـــدَداً يُضْـــرَبُ فِيـــهْ
مِنْ تَحْتِـــهِ تُفْـــنَى بِهِ الَّذِي عَلَيْـــهْ
وَمَا بَـــقِي فَضَعْـــهُ فَـــوْقَ ذَاكَـــا
وَقَهْقَـــرِ الأمَـــامَ مِـــنْ هُنَـــــاكَ
فَـــإنْ تَعَـــدَّى رُتْبَـــةً فَلْتَجْعَـــلاَ
صِفْـــراً قُبَالَـــةَ المُعَـــدَّى أسْفَـــلاَ
وَافْعَـــلْ كَمَا ذَكَرْتُهُ إلَى التَّمَـــامْ
فَخَـــارِجٌ مَا تَحْتَ ذَلِكَ الأمَـــامْ

وَمَا بَـــقِي مِنْ الكُسُـــورِ يُطْلَـــبُ

فَـــوْقَ الأمَـــامِ ثُمَّ مِنْـــهُ يُنْسَـــبُ

لفهـــم مـــا يـــرمي إليـــه **الأخضـــري** في موضـــوع القسمـــة هنـــا؛ لا بـــد مـــن التنبيـــه إلى أن عمليـــة القسمـــة ــ قديمـــاً ــ كانـــت تتبـــع بطـــرق تختلـــف عمـــا هـــو معـــروف الآن؛ وقـــد تعـــددت الطـــرق في هـــذا الموضـــوع؛ مـــن ذلـــك أنهـــم كانـــوا يجـــرون القسمـــة بعـــدة أساليـــب؛ منهـــا طريقـــة الشطـــب الـــتي تشبـــه الطـــرح.[1] لأن القسمـــة في حقيقتهـــا عبـــارة عـــن طـــرح متكـــرر؛ بغـــرض معرفـــة كـــم مـــن المـــرات الـــتي يوجـــد فيهـــا عـــدد في عـــدد آخـــر؛ عـــلى أن يتـــم ذلـــك بسرعـــة.

5 1 النتيجـــة

7 6/ 2/

5 9 0/ 0/ 4/ المقســـوم

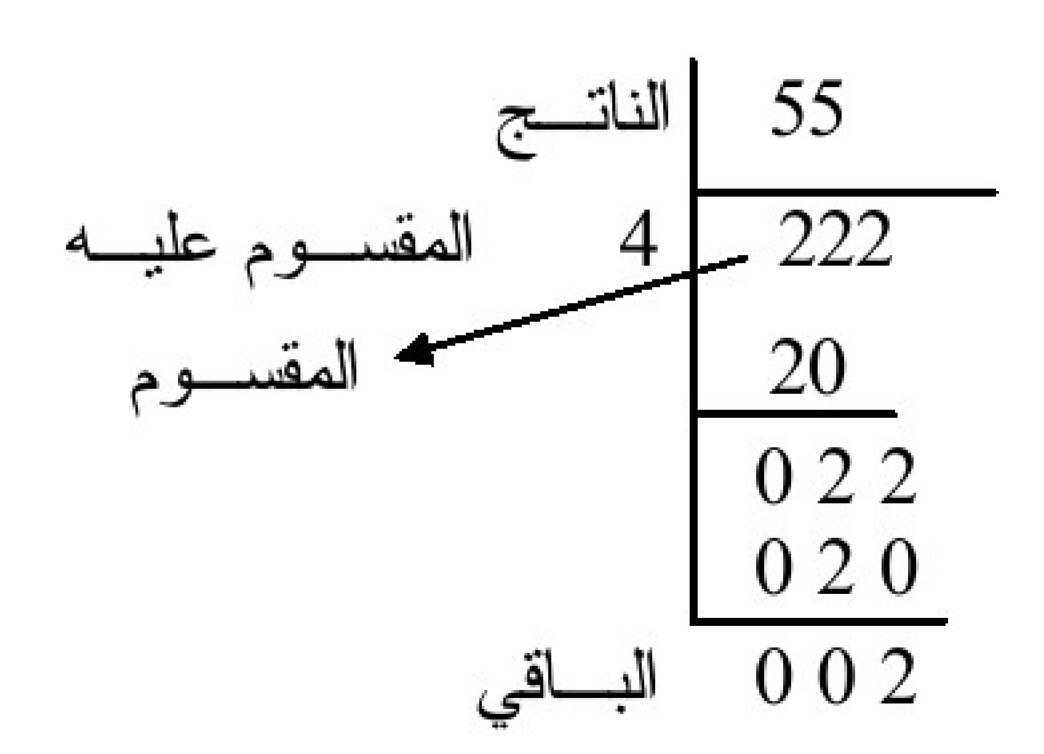
3/ 4/ 2/ المقســـوم عليـــه

وتتـــم هـــذه العمليـــة بوضـــع المقســـوم فـــوق المقســـوم عليـــه؛ وينطلـــق العمـــل مـــن بالرقـــم الأمـــامي أي مـــن يســـار الأعـــداد؛ فنقـــول 400 ÷ 243 = 1. ثـــم نقـــوم بضـــرب 243 × 1 = 243. وبعدهـــا نطـــرح الناتـــج بواسطـــة الشطـــب؛ وهـــو 243 مـــن 400 ؛ أي مـــن أمـــام المقســـوم أو

[1] أنظـر كتـاب علـم الحسـاب تطـوره وأهـدافـه وطـرق تدريسـه، ص ص: 126 ــ 138.

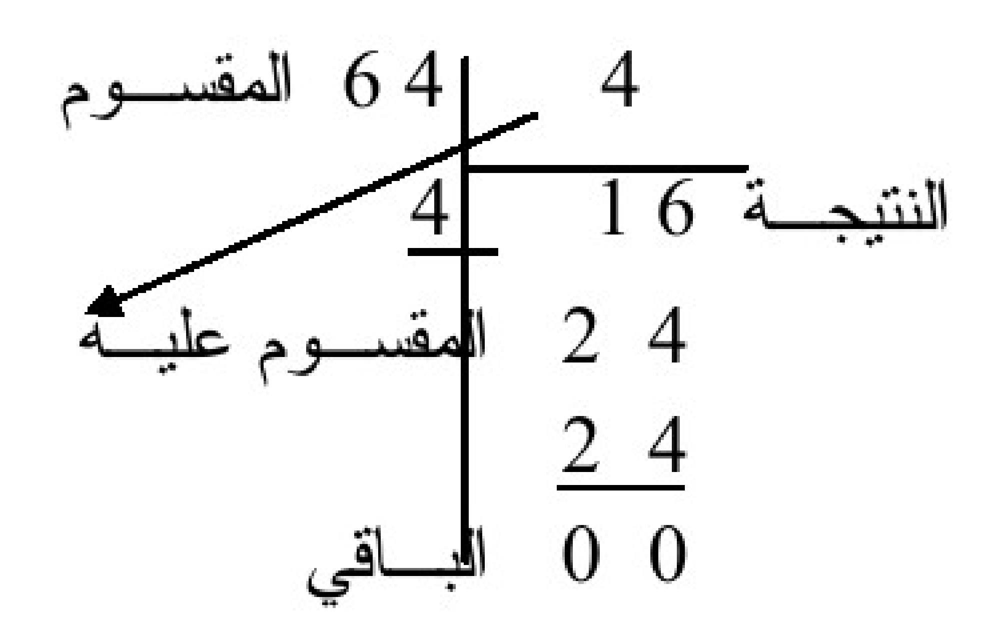
بالأحـــرى بـــدءاً باليســـار نحـــو اليميـــن؛ وذلـــــك بشطـــــب كـــل رقـــم يتـــم طرحـــه؛ عـــلى التـــوالي.

كمـــا كانـــوا ـــ أيضـــاً ـــ يجـــرون القسمـــــة بوضـــــع النتيجـــة في الأعـــلى؛ مثـــل:



ويبـــدو أن الطريقـــة الأخيـــــرة هـــي الـــــتي اعتمدهـــــا **الأخضـــري** في منظومتـــه؛ وهي لا تختلـــف عمـــا هـــو متبـــع في جـــل البلـــدان الآن؛ ســـوى في وضـــع النتيجـــــة في الأعــــلى؛ بينمـــا توضـــع عندنـــا تحـــت المقســـــوم عليـــــه. وتجـــــري: بالبـــدء مـــن أمـــام العـــدد المقســـوم؛ أي مـــن جهـــة اليســـار؛ فنبـــدأ برقـــم 22؛ فنقسمـــه عـــــلى 4؛ فنتكـــــون النتيجـــــة الأوليـــة: 5؛ فنضـــرب 5 × 4= 20؛ فنطـــرح 20 مـــن 22= 02؛ عندهـــا ننـــزل رقـــــم 2 البـــاقي في العـــــدد الإجمـــــالي للمقســـوم؛ بعـــد أن أجلنـــاه في المـــرة الأولى؛ فيصبـــح العـــــدد المـــراد قسمتـــه هـــو 22؛ فنقسمـــه مـــرة أخـــرى عـــــلى 4 ؛ فيســـاوي 5 أيضـــاً؛ فنطـــرح ـــ كالمـــــرة الأولى ـــ فيبـــــقى: 002 ؛ وهـــو الرقـــم الـــذي لا يقبـــــل القسمـــــة عـــــلى 4.

وكما ترى فالناتج يوضع في الأعلى أيام **الأخضري.** وهذا يختلف عن الطريقية الحالية التي تضع الناتج تحت المقسوم عليه؛ مثل:



أما الفصل الثاني فيقول فيه:

وَإِنْ تَشَأْ فَتَأْخُذُ الوَفْقَيْنِ
وَاعْمَلْ عَلَيْهِمَا بِغَيْرِ مَيْنِ
أَوْ حُلَّ مَقْسُوماً عَلَيْهِ وَاقْسِمَا
عَلَى أَئِمَّةٍ لَهُ لِتَعْلَمَا
أَوْ تَقْسِمَ المَقْسُومَ بِالتَّفْضِيلِ
وَتَجْمَعَ الخَارِجَ بِالتَّعْدِيلِ

وكما هو واضح من الأبيات أعلاه؛ فكل اهتمام **الأخضري** من عملية الحساب كان منصباً في الغرض الأساسي من شرحه لمادة الحساب؛ وهي الكيفية التي يقرب بها فكرة تقسيم التركات؛ وهذا ما جعله يستعمل بعض المصطلحات المعمول بها في

الفرائض وتقسيم التركات؛ مثل: **الوفق والتفضيل والتعديل والتسمية**. لذا فعملية استخراج القاسم المشترك الأعظم هنا ضرورية؛ كما أن تقسيم الأعداد أقساماً متساوية؛ يستدعي أحياناً اللجوء لعملية الاختزال من أجل الحصول على النتيجة النهائية للقسمة.

ثم يواصل **الأخضري** نظمه الذي يبين فيه عمليات الكسور وكيفية إجراء الاختبار؛ من أجل تصحيح العمليات الأربعة في الحساب. وكل هذا يمكن متابعته من خلال المقاطع الآتية:

الباب السادس: في التسمية

تَسْمِيَةٌ نِسْبَتُكَ القَلِيلاَ
مِنَ الكَثِيرِ فَاعْرِفِ التَّمْثِيلاَ
فَألْقِهِ أئِمَّةً لِتَقْسِمَا
مِنْ بَعْدِ أنْ تُحِلَّهُ فَلْتَعْلَمَا
وَالبَدْءُ فِي تَنْزِيلِهَا بِالأكْبَرِ
وَالبَدْءُ فِي قِسْمَتِهَا بِالأصْغَرِ
وَمَا بَقِي مِنَ الكُسُورِ يُرْسَمُ
فَوْقَ الأمَامِ ثُمَّ مِنْهُ يُعْلَمُ

وَاقْسِمْ عَلَى الَّذِي يَلِيهِ مَا خَـــرَجْ
وَافْعَـــلْ كَمَا ذَكَرْتُـــهُ فَلاَ حَـــرَجْ
فَكُـــلُّ مَا عَلَى الأئِمَـــةِ تُصِـــبْ
هُوَ المُسَمَّى مِثْلُ كَسْـــرٍ يَنْتَسِـــبْ
وَإنْ تَشَـــأ فَانْظُـــرْ إلَى الأوْفَـــاقِ
وَاعْمَـــلْ عَلَيْهَـــا عِنْـــدَ الاتِفَـــاقِ

فصـــل: في حـــل الأعـــداد

قَـــدْ ذَكَـــرُوا لِحَلِّـــهِ مُقَدِّمَـــهْ
لاَزِمَـــةً لِكُـــلِّ مَـــنْ تَعَلَّمَـــهْ
النِّصْفُ وَالعُشْرُ مَعَ الخُمْـــسِ لَمَـــا
الصِّفْـــرُ فِي أوَّلِـــهِ تَقَدَّمَـــا
وَإنْ يَكُـــنْ مُفْتَتَحـــاً بِالْخَمْسَـــهْ
فَـــذَاكَ ذُو خَمْـــسٍ تَفَهَّـــمْ اسَّـــهْ
وَاعْلَـــمْ بِأنَّ جُمْلَـــةَ الأعْـــدَادِ
مَقْسُومَـــةٌ لِلـــزَّوْجِ وَالإفْـــرَادِ
وَلْيُطْرَحِ الزَّوْجُ بِطَـــرْحِ التِّسْعَـــةِ
مَعَ الثَّمَـــانِ ثُمَّ طَـــرْحِ السَّبْعَـــةِ
فَـــإنْ طَرَحْتَـــهُ بِتِسْـــعٍ فَالسُّدُسْ
لَـــهُ وَتِسْـــعٌ مَعَ ثُلْـــثٍ فَاقْتَبِـــسْ

وَحَيْثُ سِــتٌّ أوْ ثَلاَثٌ عَبَــرَا
فَالسُّدْسُ وَالثُّلْــثُ لَهُ قَــدَ شُهِــرَا
وَإنْ بَقِي ثَلاَثَــةٌ فَالسُّدْسُ لَــهْ
وَالثُّــلْثُ أيْضاً فَادْرِ تِلْكَ المَسْألَــهْ
وَاطْرَحْهُ إنْ بَــقِيَ غَيْــرُ ذَلِــكَ
طَــرْحَ الثَّمَــانِ تَتْبَــعِ المَسَالِــكَ
فَالثُّمْــنُ وَالرُّبْــعُ لَهُ إنِ انْطَــرَحْ
وَإنْ بَــقِي رُبْــعٌ فَرُبْــعٌ اتَّضَــحْ
وَإنْ بَقِي مَا عَدَا مَا قَــدْ شُــرِحْ
فَاطْرَحْهُ طَرْحَ سَبْعَــةٍ إنِ انْطَــرَحْ
فَذَاكَ ذُو سُبْــعٍ وَإنْ لَمْ يَنْطَــرِحْ
فَلَيْسَ إلاَّ النِّصْــفُ فَرْداً يَتَّضِــحْ
وَفْدُهَــا بِطَرْحِ تِسْــعٍ يُطْــرَحُ
وَطَــرْحُ سَبْعَـــةٍ بِــذَاكَ يُوضَــحُ
فَــإنْ طَرَحْتَــهُ بِتِسْعٍ فَالتُّسُــعْ
لَــهُ وَثُلْـــثٌ فَتَفَهَّــمْ وَاتَّبِـــعْ
وَإنْ بَــقِي ثَلاَثَـــةٌ أوْ سِتَّــةٌ
فَــذَاكَ ذُو ثُلْــثٍ فَحَسْــبُ يَثْبُــتُ
وَإنْ بَــقِي غَيْــرُ مَا قَــدْ ذُكِــرَا
فَاطْرَحْــهُ طَــرْحَ سَبْعَـــةٍ وَاعْتَبِــرَا
فَإنْ طَرَحْتَــهُ بِـــذَاكَ الطَّــرْحِ
فَــذَاكَ ذُو سُبْــعٍ تَفَهَّــمْ شَــرْحِي

وَإِنْ يَكُنْ لَمْ يَنْطَرِحْ فَهْوَ الأَصَّــــمْ

فَسَـــمِّ مِنْ أَجْزَائِـــهِ مَا قَدْ عُلِـــمْ

البـــاب السابــع: في الاختبـــار

الاخْتِبَـــارُ آلَـــةٌ قَـــدْ عُلِمَـــا

يُفِيـــدُ فِي جَمِيـــعِ مَـــا تَقَدَّمَـــا

فَاخْتِبَـــارُ الجَمْـــعِ ذُو وَجْهَيْـــنِ

إِمَّـــا بِطَـــرْحِ أَحَـــدِ السَّطْرَيْـــنِ

مِنْ خَارِجٍ فَاعْلَـــمْ وَيَبْقَى الآخَـــرُ

فَوَاضِـــحٌ بَيَانُــــــهُ وَظَاهِـــرُ

أَوْ تَطْرَحُ الخَارِجَ وَالبَاقِي الجَوَابْ

فَجِيماً اجْعَلْ فَوْقَـــهُ بِلاَ ارْتِيَـــابْ

ثُمَّ اطْرَحِ السَّطْرَيْنِ وَاجْمَعْ مَا بَقِي

وَاطْرَحْهُ يَبْقَى كَالْجَوَابِ السَّابِـــقِ

وَاخْتَبِرِ الطَّرْحَ بِجَمْـــعِ الطَّرَفَيْـــنْ

لِكَيْ يَكُونَ وَسَطـــاً بِغَيْـــرِ مَيْـــنْ

كَـــذَا بِطَـــرْحِ مَا بَقِي مِنْ أَوْسَطِ

يَبْـــقَى كَمِثْـــلِ وَسَطٍ بِلاَ شَطَـــطِ

أَوْ تَطْرَحِ البَاقِي فَبَاقِيـــهِ الجَـــوَابْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ الآخَرَيْنِ بِاحْتِسَـــابْ

وَاطْرَحْ بَقِيَّ أسْفَـــلٍ مِمَّـــا بَـــقِي

مِـــنْ أوْسَـــطٍ وَبَعْـــدَ ذَاكَ وَفِّـــقِ

فَإنْ يَكُـــنْ أقَـــلَّ مِنْـــهُ فَاحْمِـــلاَ

عَلَيْهِ مِثْلَ مَا بِـــهِ الطَّـــرْحُ جَـــلاَ

وَالضَّرْبُ فِي اخْتِبَـــارِهِ وَجْهَـــانِ

فَاحْفَظْهُمَـــا تَصِـــلْ إلَى البَيَـــانِ

فَاخْتَبِـــرُوا بِقِسْـــمِ خَارِجٍ عَـــلَى

سَطْرٍ مِنَ السَّطْرَيْنِ فَاعْلَمْ مُسْجَلاَ

كَذَا بِطَـــرْحِ كُلِّ سَطْـــرٍ مِنْهُمَـــا

بِوَاحِـــدٍ مِنَ الطُّـــرُوحِ فَاعْلَمَـــا

فَمَا بَقِي فِي وَاحِـــدٍ فَاضْرِبْـــهُ فِي

مَـــا قَـــدْ بَـــقِي لآخَـــرٍ لِتَقْتَـــفِي

فَمَا بَدَا فَاطْرَحْـــهُ مِثْلَ مَا أُلِـــفْ

فَمَا بَقِي فَهْـــوَ الجَوَابُ قَدْ عُـــرِفْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ خَـــارِجَ الحِسَـــابِ

يَبْـــقَى كَمِثْـــلِ ذَلِـــكَ الجَـــوَابِ

وَإنْ تُرِدْ كَيْفَ اخْتِبَـــارُ القِسْمَـــةِ

فَاعْمَـــلْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ ذَا هِمَّـــةِ

فَتَضْـــرِبُ الخَـــارِجَ فِي الأمَـــامِ

فَيَخْـــرُجُ المَقْسُـــومُ بِالتَّمَـــامِ

أوْ تَطْرَحُ المَقْسُومَ وَالبَاقِي المَـــرَامْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ خَارِجـــاً مَعَ الأمَـــامْ

وَاضْرِبْ بَقِيَّ وَاحِدٍ فِيمَـا بَـقِي

لِوَاحِـدٍ وَاطْرَحْـهُ مِثْلَ السَّابِـقِ

فَـإِنْ يَكُـنْ مَا بَقِي كَالجَـوَاب

فَهْـوَ صَحِيحٌ دُونَ مَـا ارْتِيَـابِ

وَالسَّبْـعُ حَيْثُمَـا كُسُـورٌ تَقَـعُ

فَخَـارِجُ البَاقِيَتَيْـنِ تُجْمَـعُ

وَإِنْ تَسَـلْ عَنِ اخْبَـارِ التَّسْمِيَهْ

فَافْعَـلْ كَمَا أَقُولُـه بِالتَّسْوِيَـهْ

فَابْـدَأْ بِضَـرْبِ أَوَّلِ المُسَـمَّى

فَمَا يَـلِي مَا تَحْـتَ ذَا المُسَـمَّى

وَاجْمَعْـهُ لِلَّذِي عَلَيْـهِ وَافْعَـلاَ

فِي خَـارِجٍ كَمَـا فَعَلْـتَ أَوَّلاَ

فَإِنْ يَـكُ المَجْمُوعُ كَالْمَنْسُـوبِ

فَهْـوَ صَحِيحُ الْعَمَـلِ المَطْلُـوبِ

هَذَا اخْتِبَـارُ التَّسْمِيَـةَ المَعْهُـودَهْ

وَاخْتَبِـرِ الأَئِمَّـةَ المَوْجُـودَهْ

بِضَـرْبِ مَا قَدَّمْتَـهُ فِيمَـا أَتَى

مِنْ بَعْـدِهِ عَلَى الـوَلاَءِ يَا فَـتَى

وَخَارِجـاً فِيمَـا قَـدِ اسْتَقَـرَّا

مِـنْ بَعْـدِ إِلَى هَلُـمَّ جَـرَّا

فَيَخْـرُجُ المَنْسُوبُ مِنْـهُ بِالتَّمَـامْ

وَاحْفَظْ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتُ وَالسَّلاَمْ

بـــاب الكســـور، ويشتمـــل عـــلى فصليـــن:

الفصـــل الأول في أقسامهـــا

الكَسْـــرُ مِنْهُ مُفْـــرَدٌ وَمُخْتَلِـــفْ
مُبَعَّـــضٌ مُنْتَسِـــبٌ كَـــذَا عُـــرِفْ
فَذُو اخْتِـــلاَفٍ مِثْلُ ثُلْثٍ وَرُبُـــعْ
وَذُو انْتِسَابٍ مِثْـــلُ خُمْسٍ وَسُبُـــعْ
خَمْسٍ وَذُو التَّبْعِيضِ فَهْوَ يَنْتَسِبْ
بالعَكْـــسِ مِنْ كَسْرٍ أمَامَهُ نُسِـــبْ
وَبَسْطُ ذِي الإفْرَادِ وَافِقَ الأمَـــامْ
وَبَسْطُ ذِي التَّبْعِيضِ فَافْهَمِ الكَـــلاَمْ
بِضَـــرْبِ مَـــا عَلَى الأمَـــامِ الأوَّلِ
فِي كُـــلِّ مَـــا يَلِيـــهِ فَلْيُكَمَّـــلِ
وَذُو انْتِسَابٍ كَاخْتِبَـــارِ النِّسْبَـــةِ
وَقَـــدْ مَضَى تَقْدِيـــرُهُ بِالْجُمْلَـــةِ
وَالْمُخْتَلِفْ بِضَرْبِ بَسْطِ مَا قُصِـــدْ
فِي كُلِّ مَا مِنْ تَحْتِ غَيْرِهِ عُهِـــدْ
وَضَـــرْبُ بَسْطِ ذَاكَ فِي أمَـــامِ ذَا
وَيُحْمَلُ الْمَجْمُوعُ فَافْعَـــلْ هَكَـــذَا
وَإنْ يَكُنْ هُنَـــا صَحِيـــحٌ يُـــدْرَى
كَأنَّـــهُ بَسْـــطُ الْكُسُـــورِ شُهِـــرَا

الفصـــل الثـــاني
في أعمـــــال الكســـــور

وَإِنْ تُرِدْ ضَرْبَ الكُسُورِ فَاضْرِبَـــا

البَسْـــطَ فِي البَسْطِ وَكُنْ مُرَتِّبَـــا

فَقَـــدِّمِ الكَبِيـــرَ فِي الأَئِمَّـــةِ

يَبْـــدُو لَكَ المَطْلُوبُ بَعْدَ القِسْمَـــةِ

وَوَصْـــفُ قِسْمَـــةِ الكُسُورِ هَكَذَا

بِضَـــرْبِ بَسْطِ ذَاكَ فِي أَمَـــامِ ذَا

وَالعَكْسُ وَاقْسِمْ خَارِجَ المَقْسُـــومِ

عَنْ خَـــارِجِ الأَمَـــامِ كَالمَعْـــلُومِ

وَهَكَـــذَا تَسْمِيَـــةُ الكُسُـــورِ

وَيُقْسَـــمُ الأَدْنَى عَـــلَى الكَثِيـــرِ

وَمِثْـــلُ ذَاكَ الجَمْعُ لَكِنْ تُجْمَـــعُ

وَالخَارِجَـــاتُ بَعْـــدَهُ تُـــوَزَّعُ

وَالطَّرْحُ يُطْـــرَحُ الأَقَـــلُّ مِنْهُمَـــا

مِـــنَ الكَثِيـــرِ فِيـــهِ ثُمَّ تَقْسِمَـــا

وَاخْتَبِرِ الطَّرْحَ بِطَـــرْحِ بَسْطِ مَـــا

بَـــدَا وَسَطْرَيْـــهِ كَمَـــا تَقَدَّمَـــا

وَخَارِجاً فَابْسُطْهُ كَالْمَقْسُومِ فِي
جَمْعٍ وَقِسْمَةٍ وَنِسْبَةٍ تَفِي
يُطْرَحُ بَسْطُ مَا بَقِي وَمَا ظَهَرْ
مِنْ ذَيْنِكَ الشَّطْرَيْنِ طَرْحاً يُخْتَبَرْ

*****

ثانياً ــ الدرة البيضاء:

في الحساب والفرائض؛ وقد نظمها **الأخضري** في خمسمائة بيت؛ مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أولها يدرس موضوع الحساب؛ وقد شرحناه؛ والثاني فقه الفرائض والتركات، أما الثالث فيهتم بالجانب العملي في قسمة التركات. ويبدو أن هذا التأليف قد سرق مخطوطه ــ في بداية الأمر ــ من **الأخضري** ثم وجده؛ فقام بشرح القسم الثاني بنفسه، ثم شرح بعض الفصول من القسم الثالث. وربما يكون **عبد اللطيف المسبح المرداسي** قد تولى شرح **"الدرة البيضاء"**؛ حسبما قال **عبد الكريم الفكون**.[1]

المهم أن كتاب **"الدرة البيضاء"** قد نشر عدة مرات؛ منها طبعة **القاهرة** سنة 1309هـ/1891م وطبعة مشروحة سنة 1325هـ/1907م. كما قام

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 92.

الشيخ **محمد الصادق الشطي** بشرح القسم المتعلق بالفقه من **"الدرة البيضاء"** ونشره في **تونس** سنة 1355هـ/1936م؛ وقد تقرر تدريس هذا الشرح في **جامع الزيتونة**. وفي هذا السياق سنتكلم في بعض العينات من القسم الثاني **"للدرة البيضاء"**. ويوجد لدى كاتب هذه الدراسة نسخة منها. ومن شرحها الصادر بالقاهرة سنة 1325هـ/1907م.

1 ـ كيفية التصرف بأموال الميت:

1

تَرْتِيبُ مَا يُبْدَى بِهِ فِي الْمَالِ
تَدْرِيهِ مِنْ **"تَدُومُ"** فِي مَقَالِ

كل ما يهم في هذا البيت هي كلمة **"تدوم"**؛ أوردها **الأخضري** في سياق نظمه؛ لتحفظ بغرض التذكر؛ وهي **أربعة حروف** توضح **المراتب** التي يصرف فيها مال الميت شرعاً؛ وهي **أربع مراتب**؛ نتذكر كل واحدة؛ كلما نطقنا حرفاً بعد حرف. لذلك فهو يقول: أن الترتيب المطلوب عند البدء في التصرف بأموال الميت؛ هو أن نبدأ بحرف **"التاء"**

مـن كلمـة **"تـدوم"** والتـاء ـ هنـا ـ ترمـز **لتجهيـز الميـت.** أمـا **"الـدال"** فترمـز **للديـن** الـذي عليـه، و**"الـواو"** تشيـر **للوصيـة** الـتي يكـون الميـت قـد أوصـى بهـا، و**"الميـم"** ترمـز **للميـراث** الـذي لا يصـح؛ إلا بعـد إتمـام مـا سبـق ذكـره بالترتيـب الـذي وضـع في كلمـة **"تـدوم"**. ثـم يشـرع في تعـداد الوارثيـن بالفـرض فيقـول:

2

الْوَارِثُـونَ فِي الرِّجَـالِ عَشَـرَهْ
مِنْ جِهَـةِ الشَّـرْعِ أَتَتْ مُقَـرَّرَهْ

أبٌ وَجَـدٌ لأبٍ إنِ انْفَصَـلْ
بِذَكَـرٍ وَابْنٌ وَمَـنْ مِنْهُ انْسَفَـلْ

زَوْجٌ أخٌ وَابْـنُ أخٍ إنْ لَم يَكُـنْ
لِـلأمِ مَوْلَى نِعْمَـةٍ أيْضاً فَمِـنْ

وَالعَـمُّ لاَ لِـلأُمِّ وَابْنُـهُ كَـذَا
وَغَيْـرِ مَنْ ذَكَرْتُـهُ قَـدْ نُبِـذَا

أوضـح **الأخضـري** ـ هنـا ـ أن أصحـاب الحـق في الإرث مـن **الرجـال عشـرة أصنـاف**؛ طبقـاً لمـا نـص عليـه الشـرع؛ هـم: **1 ـ الأب. 2 ـ والجـد مـن جهـة الأب**؛ بشـرط ألا يشـوب التسلسـل انقطـاع أو انفصـال

بسبب أنثى تربك تسلسل الآباء. **3 ــ والابن. 4 ــ وابن الابن**؛ وليس ابن البنت؛ أي الذي من أبيه انبثق. **5 ــ والزوج 6 ــ والأخ**؛ سواء كان من الأب أم من الأم. **7 ــ وابن الأخ**؛ على أن يكون ابن أخ شقيق من جهة الأب وليس الأم. **8 ــ مولى النعمة**؛ سواء كان مولى عتق أو مولى الولاء؛ لأنه قَمِنْ أي جدير. **9 ــ والعم**؛ على أن يكون عماً شقيقاً، أو لأب وليس عماً لأم. **10 ــ وابن العم** كذلك؛ وينطبق عليه ما ينطبق على أبيه.

3

وَسَبْعٌ النِّسَاءُ وَهْيَ الْبِنْتُ
وَبِنْتُ الإِبْنِ زَوْجَةٌ وَأُخْتُ
أُمٌّ وَمَوْلاَةٌ وَجَدَّتَانِ
فَمَا عَلاَ بِالْمِثْلِ تُدْلَيَانِ
وَهُنَّ أُمَّهَاتُ الأُمِ وَالأَبِ
وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدٍّ قَدْ أُبِي

أما النساء فالوارثات منهن **سبعة أصناف**؛ هي: **1 ــ البنت** التي خرجت من صلب الميت. **2 ــ وبنت الابن**؛ ويدخل في هذا الاعتبار بنت ابن الابن أيضاً.

3 ــ **والزوجة**. 4 ــ **والأخت**؛ سواء كانت شقيقة أو من أب أو أم. 5 ــ **والأم**. 6 ــ **ومولاة النعمة**؛ ويقصد بها المعتقة. 7 ــ **والجدة**؛ أي أم الأب وأمهاتها، أو أم الأم وأمهاتها. أما قوله: **وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدٍ قَدْ أُبِي**؛ يعني أن ما قاله زيد بن ثابت رضي الله عنه بخصوص ميراث أم الجدة رفضه جمهور العلماء.

2 ــ موانع الإرث:

4

مَوَانِعُ الْمِيرَاثِ سَبْعٌ وَهْيَ فِي
"عِشْ لَكَ رِزْقٌ" حُصِرَتْ فَلْتَقْتَفِي
وَقَاتِلُ الْعَمْدِ بِإِطْلَاقٍ سَقَطْ
وَيَرِثُ الْمُخْطِئُ فِي الْمَالِ فَقَطْ

أما الأسباب التي تمنع من الإرث؛ فهي **سبعة موانع**؛ حصرها **الأخضري** في **سبعة حروف**؛ ترمز للحالات المانعة؛ وقد جمعت في كلمات ثلاثة هي: **"عش لك رزق"**. 1 ــ **فالعين** ترمز **"لعدم الاستهلال"**؛ أي استهلال الطفل عند مولده بالصراخ؛ لأن ذلك يعني أنه ولد حياً؛ ومرجع ذلك إلى ما رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إذا استهلَّ الصبيُّ وُرِّث وصلى عليه)).[1] 2 ـ وحرف **الشين** يرمز **"للشك"**؛ تبعاً لقوله صلى الله عليه وسلم: **((لا ميراث بشك))**؛ مثل الشك في النسب، أو الشك في كون زوجة الميت حامل، أو الشك فيمن سبقته الموت من المتوارثين؛ في حالات الغرق أو الهدم؛ وعلى هذا فقد قال الإمام مالك: **((لا ينبغي أن يرث أحدٌ أحداً بالشك، ولا يرث أحدٌ أحداً إلاَّ باليقين من العلم والشهداء)).**[2] 3 ـ وحرف **اللام** يرمز **"للعان"**؛ ويحدث في حال عدم اعتراف الزوج بمولود من زوجته بعد أن اتهمها بخيانته مع رجل آخر؛ فيتلاعنان أمام القاضي؛ فيقول كل منهما: **"علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين"**؛ ففي هذه الحال لا يرث المولود من الرجل المشكوك في أبوته؛ بينما يرث من أمه.[3] 4 ـ وحرف **الكاف** يرمز **"للكافر"**؛ الذي لا يرث؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)).**[4] 5 ـ وحرف **الراء** يرمز **"لِلرِّق"**؛

---

[1] وعن أبي هريرة: ((إذا استهلَّ المولودُ وُرِّثَ)). معالم السنن، ج: 4، ص: 104. السراجية للجرجاني، ص: 322.

[2] موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: 353.

[3] قال أبو داود؛ بعد الأسانيد: ((جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراث ابن الملاعنة لأمه ولورثتها من ببعدها)). معالم السن، ج: 4، ص: 100.

[4] صحيح البخاري، ج: 8، ص: 10. وموطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 351. وسنن الترميذي، ج: 3، ص: 287.

وبيانه أن من بقي على رقه، أو قال له سيده أنت حر بعد موتي، أو اشترى حريته من سيده بمال؛ فكل هذه الأصناف لا يرث أصحابها. 6 ـ وحرف **الزاي** يرمز **"للزنا"**؛ ومفاده أن المولود عن طريق الزنا لا يتوارث مع أبيه؛ بينما يتوارث مع أمه. 7 ـ وحرف **القاف** يرمز **"للقتل"**؛ إذ لا ميراث للقاتل؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((القاتل لا يرث))**.[1] وقد اعتبر أتباع مالك أن المقصود بالقاتل ـ هنا ـ هو القاتل بإطلاق؛ أي القتل عمداً. وفي البيت الأخير **للأخضري** ـ وهو مالكي ـ يقول أن القاتل عمداً لا يرث، أما القاتل بالخطأ فيرث في المال.

5

وَيَمْنَعُ الإرْثَ نكَاحٌ فِي الْمَرَضْ
وَلَيْسَ يَمْنَعُ الطَّلاَقُ إنْ عَرَضْ
وَالْمَوْتُ فِي النِّكَاحِ بِالتَّفْوِيضِ لاَ
يَمْنَعُ إرْثاً وَالصَّدَاقُ حُظِلاَ
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَارُثِ البِنَا
إذِ الْوَفَاةُ كَالدُّخُولِ عِنْدَنَا

[1] سنن الترميذي، ج: 3، ص: 288.

وَحَيْثُ فِي فَسْخِ النِّكَاحِ خُيِّرَا
فَالإِرْثُ قَبْلَ فَسْخِهِ لَنْ يُحْضَرَا

وَيَمْنَعُ الإِرْثَ نِكَاحٌ مُجْمَعُ
عَنْ فَسْخِهِ وَالْعَكْسُ لَيْسَ يُمْنَعُ

وَحَيْثُمَا طَلَّقَهَا فِي الصِّحَّةِ
رَجْعِيَّةً تَوَارَثَا فِي الْعِدَّةِ

ولما كان **الأخضري** قد حدد في البيتين السابقين **الموانع الحقيقية** للميراث؛ فقد وجد أنه من الأفضل إضافة **موانع أخرى تابعة** للأولى، وتدخل في باب النكاح وصحته؛ فالنكاح ــ مثلاً ــ فيه مسائل تتعلق بالميراث؛ لذا فقد أشار **لنكاح المريض** في صدر البيت الأول؛ فقرر أن الإرث فيه باطل. والمقصود هنا **المرض المميت**؛ الذي لا أمل في الشفاء منه؛ ولا يطول بصاحبه حتى يقضي عليه.[1] أما الطلاق لمن كان مريضاً؛ فلا يمنع الإرث إن مات الزوج؛ حتى وإن انتهت عدة المرأة. وهذا ما أشار إليه الناظم في عجز البيت. وقد وُضِعَ فَصْلٌ في موطأ الإمام مالك

[1] هذه مسألة اختلف فيها العلماء؛ ومن بينهم علماء المالكية أنفسهم؛ إذ وردت لهم أقوال متباينة في هذا الموضوع؛ ومرد خلافهم راجع إلى اختلاف أحوال المرضى؛ إذ فيهم من كان مريضاً؛ وطال به المرض إلى ثلاث سنوات؛ لذا فقد أجاز بعض العلماء الإرث للمرأة في حال كهذه. أنظر كتاب المعيار المعرب، ج: 3، ص ص: **149 ــ 152**.

يجيز ميراث المطلقة في حال مرض الزوج.[1] أما البيت الثاني فيتناول **الأخضري** فيه موضوع موت الشخص **المتزوج بالتفويض**؛ أي **بدون تسمية الصداق**؛ فإذا مات أحد الزوجين ــ في هذه الحال ــ يمكن لأحدهما أن يرث الآخر؛ ولكن الصداق يمنع وهو ما عبر عنه بكلمة **"حظل"** أي منع. ثم يصرح في البيت الثالث أن الإرث **لا يشترط فيه البناء**؛ لأن الوفاة في مذهبه كالدخول تماماً. وما يقصده **الأخضري** من البيت الرابع هو: إذا ترك أحد الزوجين للآخر الخيار في الطلاق أو الإبقاء على عقد الزوجية؛ ومات أحدهما قبل الفصل في الاختيار؛ سلباً أم إيجاباً؛ فإن الميراث يبقى ثابتاً، ولا يسقط؛[2] ما دام فسخ عقد الزوجية لم يحدث؛ وقد استعمل كلمة **"يحظر"** تبعاً لقوله سبحانه وتعالى: **((وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً))**.[3] وفي البيت الخامس يقول **الأخضري**: أن **النكاح المتفق على فسخه بالإجماع** ــ كنكاح الزوجة الخامسة ــ يُمْنَعُ الإرث فيه؛ إذ هو باطل بالإجماع؛ على العكس

[1] وقال مالك ابن أنس: ((أنه سمع ابن شهاب يقول: " إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً وهو مريض فإنها ترثه". قال مالك: وإن طلقها وهو مريض قبل أن يدخل بها؛ فلها نصف الصداق، ولها الميراث، ولا عدة عليها؛ وإن دخل بها ثم طلقها فلها المهر كله والميراث؛ البكر والثيب في هذا عندنا سواء)). الموطأ؛ برواية الليثي، ص: 391.

[2] ورد في كتاب المعيار ما يبيح ذلك، ج: 3 ، ص: 135.

[3] سورة الإسراء، من الآية 20.

من النكاح المختلف في أمره بين العلماء؛ **كنكاح الشغار** مثلا؛[1] فإنه لا يسقط الإرث. أما البيت الخامس فينبه الناظم من خلاله: إلى أن المرأة؛ عندما يطلقها زوجها ــ في حال الصحة السليمة ــ طلاقاً رجعياً؛ ثم توفي واحد منهما؛ فلا يسقط عنهما حق الميراث؛ ما دامت العدة لم تنته؛ فإذا انتهت مدة العدة لا يرثان.؛ وهو ما أراده بقوله: **(توارثا في العدة)**.

6

إذَا أتَتْ أمُّ الْفَتَى بِوَلَدِ
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْتَبْعَدِ
إنْ وَضَعَتْهُ قَبْلَ سِتٍّ أشْهُرِ
يَرِثْ وَحَيْثُ لاَ فَمَنْعُهُ حَرِي

إذا مات أحدهم دون أن يترك ولداً يحجب إخوة للأم؛ وفي وقت مماته تكون أمه متزوجة برجل آخر؛ فتلد ولداً بعد موت ابنها المذكور. ففي هذه الحال؛ أجمع العلماء على أن المولود الجديد إن ولد

[1] ورد في صحيح البخاري((أن رسول الله r نهى عن الشغار. والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته؛ ليس بينهما صداق)). ج: 6، ص: 128. ((وقال أصحاب الرأي وسفيان الثوري: "النكاح جائز؛ ولكل واحدة منهما مهر مثلها؛ وهي معنى النهي؛ في هذا عندهم؛ أن يستحل الفرج بغير مهر)). معالم السنن، ج: 3، ص: 192.

قبل ستة أشهر من وفاة أخيه يرث؛ وهذا ما قصده **الأخضري** بقوله: **((إن وضعته قبل ست يرث...))**. أما إذا تجاوزت المدة ستة أشهر فلا يرث؛ لأنه غير حري؛ أي جدير بالإرث؛ إذ **"لا ميراث بشك"**.[1] ولكي يصح الإرث لابد من دليل قاطع؛ سواء بمصادقة من الوارث قبل وفاته؛ بإقراره المسبق أنها كانت حاملاً، أو بشهادة موثقة.

3 ـ السهام:[2]

1

الثُّلْثُ وَالثُّلْثَانِ نِصْفٌ وَسُدُسْ
وَالرُّبْعُ وَالثُّمْنُ فُرُوضٌ فَاقْتَبِسْ

يشير هذا البيت إلى ما يرثه أصحاب الفرض؛[3] وهذا يختلف عما يورث بالعصبة.[4] وقد حدد سهام الفروض في **ستة أجزاء** هي: **الثلث والثلثان والنصف**

---

[1] قال الإمام ملك: ((لا ينبغي أن يرث أحد أحداً بالشَّكِّ، ولا يرث أحد أحداً إلاَّ باليقين من العلم والشهداء)). موطأ الإمام ملك؛ رواية الليثي، ص: 353.

[2] مفرد السهام: سهم؛ وهو الحظ والنصيب.

[3] الفرض جمعه فروض: وهي السهام المقدرة شرعاً للورثة. والفرض هو التقدير والقطع والبيان؛ يقول سبحانه وتعالى: ((وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ))؛ أي فنصف ما قدرتم. سورة البقرة، من الآية 237.

[4] العصبة: هم قرابة الرجل لأبيه؛ واختص بها ـ في الغالب ـ الذكور من قرابة الرجل.

والسدس والربع والثمن. ويقصد بكلمة **"اقتبس"** ـــ في عجز البيت ـ إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن والاقتباس منه. فكل هذه السهام مقدرة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإجماع. وهذه السهام كلها يختص بها اثنا عشر نوعاً من أصحاب الفروض وهم:

ـ من الذكور أربعة: الزوج، والأب، والجد الصحيح، والأخ لأم.

ـ ومن الإناث ثمانية وهن: الزوجة، والأم، والجدة الصحيحة، والبنت، والبنت لأبن، والأخت الشقيقة، والأخت لأب، والأخت لأم.

2
من يرث النصف

نِصْفٌ لِزَوْجٍ عِنْدَ فَقْدِ الاِبْنِ
وَلاِبْنَةِ الصُّلْبِ وَبِنْتِ الإِبْنِ
أُخْتٌ شَقِيقَةٌ وَأُخْتٌ لأَبِ
فِي فَقْدِهَا لاَ غَيْرُهُمْ بِهِ حَبِي[1]

[1] يقصد بِحَبِي: أعطي.

أصحـــاب **النصـــف** ــ كمـــا عدهـــم **الأخضـــري** ــ **خمســـــة** وهـــم:

1 ــ الـــزوج؛ عـــلى أن لا يكـــون للمـــوروث فـــرع يحـــق لـــه الإرث؛ ســـواء كـــان ذكـــراً أم أنـــثى؛ مثـــل: الابـــن، وابـــــن الابـــن، وبنـــت الابـــن، والبنـــت.

2 ــ وبنـــت الصلـــب؛ ولـــكي تحـــظى بنـــــت الصلـــــب بالنصـــف لا بـــد أن تكـــون وحيـــدة.

3 ــ وبنـــت الابـــــن؛ حـــــتى وإن تدرجـــــت في الانحـــــدار التسلســـلي إلى بنـــت ابـــن الابـــن؛ بشـــرط انفرادهـــــا عـــــن بنـــت الصلـــب ووحدانيتهـــا.

4 ــ والأخـــت الشقيقـــة؛ فيشتـــــرط فيهـــــا كـــي تحـــــوز النصـــف؛ أن تكـــون وحيـــدة، وأن تنفـــرد عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

5 ــ والأخـــت لأب؛ فـــلا بـــد أن تنفـــرد عـــــن الشقيقـــــة والبنـــت وبنـــت لابـــن، أن تكـــون وحيـــدة.

3
مـــن يـــرث الربـــع

وَالرُّبْعُ سَهْمُ الزَّوْجِ إِنْ كَانَ الْوَلَدْ
وَمَـــعَ فَقْدِهِـــمْ لِزَوْجَـــةٍ وَرَدْ

أصحـــاب **الربـــع** همـــا: الـــزوج والزوجـــة.

1 ــ فالــزوج: يــرث الربــع إذا كــان للميــت فــرع آخــــر يحــق لــه الإرث؛ ســواء كــان ذكــراً أم أنــثى؛ أم كــان منــه أو مــن أب آخــر؛ أو ابــن زنـــا؛ لأنـــه يلحـــق بأمـــه ويرثهــا.مثــل: الابــن، وابــن الابـــن، والبنـــت، وبنـــت الابــن.

2 ــ الزوجــة: أو الزوجــات: تــرث الربــع إذا لـــم يكـــن للميــت فــرع آخــر؛ ســواء كــان ذكــراً أم أنــثى؛ خـــرج منهـــا أو مـــن غيرهـــا؛ حـــتى وإن انحـــدر تسلسليـــاً مثـــل: الابــن، وابــن الابــن، والبنــت، وبنــت الابــن. وقــد عبـــر **الأخضـــري** في نظمـــه عـــن الشـــرط في أحقيـــة الزوجـــة للربــع، بفقــد الفــروع المذكــورة؛ حيــث قـــال: **"ومــــع فقدهـــم"**؛ عندهـــا يـــرد الربـــع للزوجـــة.

4

مـــن يـــرث الثمـــن

وَالثُّمْـــنُ سَهْمُهَـــا إِذَا مَـــا وُجِـــدَا

وأصحـــاب **الثمـــن** هي الزوجـــة، أو الزوجـــات في حـــــال التعـــدد؛ عـــلى أن يشتـــرك معهـــا أو معهـــن فـــروع أخـــــرى لهـــا حـــق في الإرث؛ ســـواء كانـــوا ذكـــوراً أم إناثـــاً؛ منهـــا أم

مـــن غيرهـــا؛ مثـــل: الابـــن، وابـــن الابـــن، والبنـــت وبنـــــت الابـــن.

5

مـــن يـــرث الثلثيـــن

وَالثُّلُثَـــانِ لاِبْنَتَيْـــنِ وَرَدَا
وَابْنَـــتَيْ إِبْـــنٍ وَلأَخْتَيْـــنِ وَرَدْ

أمـــا أصحـــاب **الثلثيـــن**؛ فهـــم ــ كمـــا جـــاء في البيـــــت ــ **أربعـــة**؛ وهـــم:

1 ــ البنتـــان فأكثـــر.

2 ــ بنتـــا الابـــن فأكثـــر: حـــتى وإن سلفـــــن؛ أي انحـــــدر التسلســـل إلى بنـــات ابـــــن الابـــــن؛ ويشتـــــرط في ذلـــــك انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

3 ــ الأختـــان الشقيقتـــــان فأكثـــــر: ؛ ويشتـــــرط أيضـــــاً انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

4 ــ الأختـــان لأب فأكثـــر: ويشتـــرط كذلـــــك انفرادهـــــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن والشقيقـــة.

6

مـــن يـــرث الثلـــث

وَالثُّلْـــثُ لِلأُمِّ لَـــدَى فَقْـــدِ الْوَلَـــدْ

وَالأَخَوَيْـــنِ وَلأُخْـــــــوَةٍ لأُمْ
وَالْجَدُّ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ قَدْ عُلِـــمْ

وأصحـــاب **الثلـــث** ــ كمـــا يقـــول **الأخضـــري** ــ **ثلاثـــــة**؛ هـــم:

1 ــ الأم: عـــلى أن لا يكـــون ثمـــة فــــــرع آخـــــر وارث. وفي قولـــه تعـــالى: **((فَـــإِنْ لَـــمْ يَكُـــنْ لَـــهُ وَلَـــدٌ وَوَرِثَـــهُ أَبَـــــوَاهُ؛ فَلأُمِّـــهِ الثُّلُـــثُ)).**[1]

2 ــ الأخويـــن والإخـــوة: إخـــوة لأم؛ ويشتـــــرط أن يكـــــون عددهـــم مـــن اثنيـــن فأكثـــر؛ ســـواء كانـــوا ذكـــوراً أم إناثـــاً؛ فهـــم شركـــاء في الثلـــث. وقـــال مالـــك في هـــــذا: **(("فـــــإن كانـــوا أكثـــر مـــن ذلـــك** [أي مـــن اثنيـــن]؛ **فهـــم شركـــاء في الثلـــث"؛ يقتسمونـــه بينهـــم بالسويـــــة؛ للذكـــــر مثـــــل حـــظ الأنثييـــن)).**[2] ويشتـــرط في ذلـــك كلـــه؛ عـــدم وجـــــود الفـــرع الأصـــلي الـــوارث. وفي هـــذا يقـــول سبحانـــه وتعـــالى: **((فَـــإِنْ كَانُـــوا أَكْثَـــرَ مِـــنْ ذَلِـــــكَ فَهُـــــمْ شُرَكَـــــاءُ فِـــي الثُّلُـــثِ)).**[3]

3 ــ الجـــد: ويحـــدث هـــذا في بعـــض الحـــــالات؛ مثـــــل أن يكـــون معـــه إخـــوة ذكـــوراً مـــن ثلاثـــة فأكثـــر. وقـــد أقـــر

[1] ســـورة النســـاء، مـــن الآيـــة: 11.
[2] موطـــأ الإمـــام مالـــك، روايـــة الليـــثي، ص: 341.
[3] ســـورة النســـاء، مـــن الآيـــة:12.

مالك بن أنس هذا: **((عن مالك؛ أنه بلغه عن سليمان بن يسار؛ أنه قال: "فرض عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت للجد مع الإخوة الثلث"))**.[1]

7
من يرث السدس

سُدْسٌ لِجَدٍ أَوْ أَبٍ لَدَى الْوَلَدْ
وَوَاحِدِ الإِخْوَةِ لِلأُمِّ وَرَدْ
وَالأُمِّ مَعْ إِخْوَةٍ أَوْ أَبْنَاءِ
وَهْوَ لِلْجَدَّةِ أَيْضاً جَائِي
وَلاِبْنَتِ إِبْنٍ مَعَ بِنْتِ الصُّلْبِ
وَمَعْ شَقِيقَةٍ لِذَاتِ الأَبِ

حددت هذه الأبيات أصحاب **السدس** ضمن **سبعة ورثة**؛ هم:

1 ــ الجد: على أن يكون للميت فرع آخر يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ حتى وإن انحدر في التسلسل إلى الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن

2 ــ الأب: يجري عليه ما يجري على الجد.

---
[1] **موطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 344.**

3 ــ الأخ للأم: لا بد ــ هنا ــ أن يكون الأخ للأم واحداً؛ سواء كان ذكراً أم أنثى.

4 ــ والأم: لا بد أن يكون ــ في هذه الحال ــ معها فرع آخر يرث الميت؛ وحتى وإن كان واحداً؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ كالابن، وابن الابن، والبنت وبنت الابن؛ أو مجموعة من الإخوة يتجاوز عددهم الاثنين؛ ذكوراً أم إناثاً.

5 ــ الجدة: سواء كانت أم الأب وأمهاتها، أو أم الأم وأمهاتها؛ على أن لا تكون منفصلة بولد في كل الحالات؛ فترث السدس. أما إذا ما انفصلت بذكر فلا ترث.

6 ــ وبنت الابن: لا بد أن تكون مع بنت الصلب الواحدة.

7 ــ والأخت للأب: يشترط في وراثتها السدس؛ أن تكون مع شقيقة.

ونظرا لضيق المجال؛ نكتفي بهذا القدر من الشرح؛ على أن نكمل كتابة المنظومة كما هي؛ لأن الغرض من شرح هذه الأبيات في الفرائض؛ هو تقديم صورة نموذجية توضح للقارئ؛ الطريقة المتبعة في الفرائض من جهة؛ ومن جهة أخرى يتعرف على

مكانة **الأخضري** العلمية، ومنهجه في عرض المواد التعليمية على الراغبين في العلم.

وَأعْطِ فَضْلَةً لِبَيْتِ المَالِ
فِي فَقْدِ عَاصِبٍ بِكُلِّ حَالِ

وَمَنْ يَرِثْ بِالجِهَتَيْنِ حَصَّلاَ
سِهَامَهُ وَمَا بَقِي إنْ فَضَلاَ

وَالعَوْلُ فِي تَزَاحِمِ السِّهَامِ
وَخَابَ عَاصِبٌ لَدَى الإتْمَامِ

الحَجْبُ إسْقَاطٌ وَنَقْصٌ فَاقْتَدِي
وَهَا أنَا بِحَجْبِ نَقْصٍ أبْتَدِي

فَيُصْرَفُ الزَّوْجُ لِرُبْعٍ بِالْوَلَدْ
وَزَوْجَةٌ لِثُمْنِهَا بِهِ تُرَدْ

وَالأمُّ بِالإخْوَةِ وَالأوْلاَدِ
لِسُدُسٍ عَنْ ثُلْثِهَا المُعْتَادِ

كَرَدِّ بِنْتِ الإبْنِ بِنْتُ الصُّلْبِ
كَذَا شَقِيقَةٌ لِذَاتِ الأبِّ

وَالأخَوَاتُ عَاصِبَانٌ لِلْبَنَاتْ
وَإخْوَةٌ يُعَصِّبُونَ الأخَوَاتْ

إلاَّ ذَوِي الأمِّ

وَالإبْـــــــــــنُ رَدَّا

لِلسُّـــدْسِ وَإبْنُـــهُ أبـــاً وَجَـــدَّا

وَبِنْتُ الإبْنِ فَاسْتَمِـــعْ يَا سَائِـــلْ

يُعْصِبُهَـــا ابْنُ عَمِّهَـــا الْمُعَـــادِلْ

مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَابْنُ عَـــمٍّ أسْفَـــلُ

إنْ لَمْ تَكُـــنْ فِي الثُّلُثَيْـــنِ تَدْخُـــلُ

ذُكُـــورُ صُلْبٍ حَجبُهُمْ قَدْ عَمَّـــا

مَـــنْ تَحْتَهُـــمْ وَإخْـــوَةً وَعَمَّـــا

ثُـــمَّ أبٌ أبَـــاهُ قَـــدْ أبَانَـــا

وَأمَّـــهُ وَالْعَـــمَّ وَالإخْوَانَـــــا

وَالأمُّ أيْضـــاً تَحْجُـــبُ الجَـــدَّاتِ

جَـــدٌ لِمَـــنْ عَـــلاَهُ ذُو بَنَـــاتِ

وَإخْـــوَةً لِـــلأمِّ وَالأعْمَامَـــا

كَذَا بَـــنِي الإخْـــوَةِ قَدْ أضَامَـــا

وَالجَدَّتَـــانِ اقْتَسَمَـــا إنْ وُجِـــدَا

فِي رُتْبَـــةٍ أوْ ذَاتُ الأمِّ أبْعَـــدَا

وَإنْ تَـــكُ الَّـــتِي لِـــلأمِّ أقْرَبَـــا

فَتَحْجُبُ الأخْرَى بِحُكْـــمٍ وَجَبَـــا

لأنَّهَـــا الَّتِي بِهَا النَّـــصُ صَـــدَرْ

وَوَرَّثَ الأخْرَى أبُو حَفْصٍ عُمَـــرْ

وَالبِنْتُ ثُمَّ بِنْــتُ الإبْنِ تَحْجُــبُ

الأخَ لِــلأمِّ فَلَيْــسَ يَقْــرُبُ

وَتَحْجُــبُ البِنْتَــانِ بِنْتَ الإبْــنِ

مَا لَمْ يَكُــنْ أخٌ لَهَــا فَيُــدْنِي

أوْ ابْنَ عَــمٍّ إنْ يَكُــنْ مُسَاوِيــاً

فِي رُتْبَــةٍ أوْ نَــازِلاً لاَ عَالِيــاً

وَيَحْجُبُ الشَّقِيــقُ ذَا أبٍ وَعَــمْ

وَمَــا لَــهُ حَجْــبٌ عَلَى أخٍ لأمْ

وَهَكَــذَا أبْنَاؤُهُــمْ لِــلأبَــدِ

كُــلٌّ قَرِيــبٍ حَاجِــبٌ لِلأبْعَــدِ

عَــمٌّ شَقِيقٌ حَاجِــبٌ لِــذِي أبِ

وَهَكَــذَا أبْنَاؤُهُــمْ فِي الرُّتَــبِ

وَابْــنُ الشَّقِيــقِ صَــدَّهُ أخٌ لأبْ

وَالبِنْــتُ مَعْ شَقِيقَــةٍ أخْتــاً لأبْ

وَيَحْجُبُ الْعَــمَّ بَنُــو الإخْــوَانِ

وَالأخْــتَ لِــلأبِ الشَّقِيقَتَــانِ

إلاَّ إذَا تَكُــونُ مَــعْ أخِيهَــــا

فَإنَّــهُ حِينَئِــذٍ يُدْنِيهَــــا

مَنْ لَمْ يَرِثْ لَمْ يَحْجُبْ إلاَّ الإخْوَةَ

فَنَقْصُهُــم لِــلأمِّ وَالْجَــــدِّ أتَى

وَكُلُّ مَنْ يَلْـقَى بِظَهْـرٍ أقْعَـدَا

أوْلَى مِنَ الَّـذِي بِظَهْـرٍ أبْعَـدَا

وَفِي اخْتِلاَفِ الطَّبَقَاتِ وَاسْتَـوَى

فِي الظَّهْرِ فَالأعْـلَى أحَقُّ بِالنَّـوَى

فَـإنْ تَسَـاوَوْا فَالشَّقِيـقُ أوْلَى

لأنَّـهُ بِالْقُرْبَتَيْـنِ أدْلَى

وَكُلُّ مَنْ يُدْلِي بِشَخْـصٍ يَسْقُـطُ

بِـهِ سِـوَى الإخْـوَةِ لِلأمِّ قَـطُ

وَذَكَـرٌ كَأنْثَيَيْـنِ فِي سِـوَى

الأخْـوَةِ لِـلأمِّ فَإنَّهُـمْ سَـوَا

وَمِثْلُهُـمْ فِي ذَلِـكَ الأشِقَّـا

فِي قِصَّـةِ الحِمَـارِ أيْضـاً حَقَّـا

مِـنْ ذَلِـكَ الْغَـرَّا فَرِيضَتَـانِ

زَوْجَـةٌ أوْ زَوْجٌ وَوَالِـدَانِ

لِـلأمِّ ثُلْـثُ فَضْلِ كُلِّ مَسْألَـهْ

عَلَى خِـلاَفِ مَا مَضَى مُفَصَّلَـهْ

كَـذَا الْحِمَارِيَّـةُ وَالْمُشْتَرَكَـهْ

يَدْعُونَهَـا بِاسْمَيْـنِ أهْلُ الْمَلَكَـهْ

أمٌّ أشِقَّـا إخْـوَةٌ لأمِّ

وَالـزَّوْجُ فَالسُّدْسُ نَصِيـبُ الأمِّ

وَالثُّلْــثُ لِلإخْــوَةِ لِــلأمِّ وَرَدْ
وَالنِّصْــفُ لِلزَّوْجِ فَإذْ تَمَّ العَــدَدْ
قَالَ الأشِقَّــاءُ عِنْدَمَا قَضَى عُمَــرْ
هَبْكُــمْ أَبَانَــا كَالْحِمَــارِ يُعْتَبَــرْ
لأنَّنَــا نَحْــنُ إذَا سَــــوَاءُ
مِــنْ جِهَــةِ الأمِّ فَمَــا القَضَــاءُ
فَقَسَــمَ الثُّلْــثَ عَلَى الجَمِيــعِ
لَكِــنْ عَلَى الــرُّؤُوسِ بِالتَّوْزِيــعِ
فَإنْ يَكُنْ جَــدٌّ فَزَيْــدٌ اعْتَبَــرْ
سُدْســاً لَهُ وَلِلأشِقَّــا مَا غَبَــرْ
وَمَالِــكٌ أعْطَــاهُ مَــا تَبَــقَّى
جَمِيعــاً إذْ يَقُــولُ لِلأشِقَّــا
مِنْ جِهَــةِ الأمِّ وَرِثْتُــمْ وَأَنَــا
أحْجُــبُ كُلَّ مَــنْ بِأمِّــهِ دَنَــا
فَــإنْ يَكُونُــوا لأبٍ فَتُنْسَــبُ
لِمَالِــكٍ وَكُلُّهُــمْ يُخَيَّــبُ
وَالجَــدُّ فِي انْفِــرَادِهِ فَعَاصِــبْ
إلاَّ إذَا كَــانَ هُنَــاكَ حَاجِــبْ
وَمَعْ ذَوِي السِّهَــامِ ذُو نَصِيــبِ
وَيَأخُــذُ البَــاقِيَ بِالتَّعْصِيــبِ

وَمَــعَ إخْــوَةٍ فَيُعْــطَى الأفْضَــلُ

مِنْ قَسْمٍ أوْ ثُلْــثٍ لَــهُ يُكَمَّــلُ

وَمَــعْ كِلَيْهِمَــا فَثُلْــثُ التَّــالِي

أوْ قَسْمُــهُ أوْ سُدْسُ كُــلِّ المَــالِ

وَالأخُ لِــلأبِ عَلَيْــهِ يُحْسَــبُ

وَلِلشَّقِيــقِ مَــا لِــذَاكَ يُنْسَــبُ

فَإنْ يَكُــنْ شَقِيقَتَــانِ أوْ شَقِيــقْ

فَمَا لِذِي أب إلَى الإرْثِ طَرِيــقْ

فَإنْ تَكُــنْ شَقِيقَــةٌ فَــإنْ تَلَــتْ

أخْــتٌ فَمِنْ نَيْلِ التُّرَاثِ حُظِلَــتْ

وَإنْ تَــلاَ أخٌ أوْ أخْتَــانِ فَمَــا

فَوْقُ فَالبَاقِي عَلَى النِّصْفِ أُحْكُمَــا

وَقَاسَمَتْــهُ الأخْــتُ فِي البَقِيَّــهْ

إلاَّ الَّــتِي تُــدْعَى بِالأكْدَرِيَّــــهْ

زَوْجٌ وَجَــدٌّ أمٌ أخْــتٌ لأب

فَالنِّصْفُ لِلزَّوْجِ وَجَــدٌّ قَدْ حُــبِي

بِالسُّــدْسِ وَالثُّلْثُ لِــلأمِّ كَمُــلاَ

ثُمَّ أعِــلْ لِلأخْــتِ نِصْفَ الْمَسْألاَ

وَاجْمَعْ سِهَامَ الْجَدِّ وَالأخْتِ مَعَــا

وَأعْطِــهِ ثُلْثَيْــنِ مِمَّــا اجْتَمَعَــا

أبٌ يَكُــونُ عَاصِبــاً إذَا انْفَــرَدْ

وَافْرُضْ لَهُ سُدْساً إذَا كَانَ الوَلَــدْ

وَمَــعْ ذَوِي السِّهَــامِ بِالْوَجْهَيْــنِ
الْفَــرْضِ وَالتَّعْصِيــبِ دُونَ مَيْــنِ
أَفْرُضْ لِخُنْثَى مُشْكِلٍ نِصْفَ الذَّكَرْ
وَنِصْفَ حَظِّ امْــرَأَةٍ بِــلاَ حَــذَرْ
وَحَيْثُمَــا الإشْكَالُ عَنْــهُ ذَهَبَــا
فَانْسُبْــهُ لِلَّــذِي عَلَيْــهِ غَلَبَــا
لِعَاصِــبٍ إِرْثُ الْــوَلاَءِ يَحْصُــلُ
وَلَيْــسَ فِيــهِ لِلإِنَــاثِ مَدْخَــلُ
إِلاَّ بِعِتْــقٍ أَوْ بِجَــرٍّ وَحَجَــبْ
مَنْ يَرِثُ الْوَلاَءَ عَاصِبُ النَّسَــبْ
وَهْوَ لأَدْنَى النَّــاسِ بِالَّــذْ أَعْتَقَــا
يَــوْمَ يَمُــوتُ مُعْتَــقٌ مُحَقَّقَــا
لِمُعْتِــقٍ ثُــمَّ ابْنِــهِ ثُــمَّ الأَبِ
ثُــمَّ الأَخِ الشَّقِيــقِ ثُمَّ ذِي الأَبِ
ثُــمَّ ابْنِ ذَاكَ فَابْــنِ ذَا فَالْجَــدِّ
فَالْعَــمِّ فَابْنِــهِ بِغَيْــرِ حَــدِّ
وَهَاهُنَــا انْتَــهَى بِنَــا الْمَقَــالُ
فِي الفِقْــهِ ثُمَّ بَعْــدَهُ الأَعْمَــالُ

*****

ثالثاً ــ متن الأخضري في العبادات:

وضع **الأخضري** هذا المختصر ــ نثراً ــ في فقه العبادات على مذهب الإمام **مالك بن أنس**. وقد طبع عدة مرات: منها طبعة **الجزائر**، وطبعة **مصر**؛ التي شرحها **عبد اللطيف بن المسبح المرداسي القسنطيني** (توفي سنة 980هـ/1572م.)، ثم طبعة أخرى صححها وراجعها الشيخ **حبيب الله الشنقيطي المالكي**؛ برعاية المكتبة المحمدية **بالقاهرة**، والمكتبة الأهلية بواد مدني **بالسودان**؛ وقد حظيت بالحصول على نسخة **ابن المسبح**، ونسخة **الشنقيطي**.

هذا؛ وقد قمت بإعداد بعض التعاليق والإحالات الضرورية؛ أضفتها في هوامش ما

أثبتــه ــ هنــا ــ مــن متــن **الأخضــري**؛ بغــرض الزيــادة في التوضيــع، وسهولــة الطــرح؛ فأرجــوا مــن اللــه أن تفيــد القــارئ الكريــــم؛ كمـــا ألتمــس العــذر عــن كــل تقصيــر ظهــر فيهــا.

المهــم؛ أن **الأخضـــري** بــــدأ مختصـــره في العبــادات هــذا ــ المعنــون بــ**"متــن الأخضــري في العبــادات عــلى مذهــب الإمــام مالــك بــن أنــس"** ــ بفقــرات استهلهــا في البدايــة بعنــــوان مصغــر؛ جــاء فيــه: **(أَوَّلُ مَــا يَجِــبُ عَــلَى الْمُكَلَّــفِ)**[1] ثــم ختمــه بــ**"بــاب السهــو"** الــذي توســع فيــه بعـــض الـــشيء.[2] ومـــن خــلال مــا جــاء في متــن العبــادات هــذا يتبيــن

---

[1] المكلــف بالــشيء: المولــع بــه. والمقصــود ــ هنــا ــ هــو الإنســان العاقــل البالــغ؛ بحيــث يستطيــع التمييــز والنظــر. وهــو المكلـــف بالصـــلاة والصـــوم والعبــادات كافــة، والمعنــي بتــرك المحرمــات كــ: الزنــا والسرقــة وأكــل السحــت وغيــره.

[2] السهــو: نسيــان الشــيء والغفلــة عنــه.

أن **الأخضري** لم يتمكن من إكماله. وآخر ما جاء في المتن هذا هو: **سهو الإمام.** وقد تضمن **متن الأخضري** عدة فصول صغيرة؛ هي:

1 ـ فصل في مبحث الإيمان:[1] استهله **الأخضري** بفقرات يحدد فيها الشروط الواجب توفرها في **المكلف**؛ لتصحيح إيمانه؛[2]

---

[1] في الإيمان: يقول تعالى: ((لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ؛ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنبِيِّينَ، وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزكَاةَ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ؛ أُولَئِكَ الذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ)). سورة البقرة، الآية: 177. وَالبِرُّ هنا يعني: الصدق والطاعة والإيمان والعبادة والتُّقَى. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس؛ فأتاه رجل فقال: "يا رسول الله؛ ما الإيمان".؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر...))؛ إلى آخر الحديث. صحيح مسلم، ج: 1، ص ص: 161 ـ 162.

[2] يصحح المكلف إيمانه بـ: السعي لمعرفة الله بصفاته؛ وهي: الوجود: الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)). سورة الزمر، الآية: 62. ويقول: ((أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)). سورة إبراهيم، من الآية: 10. إذن فلا يمكن أن يتوهم

وتتلخص في الأعمال والواجبات؛ التالية: فلكي يصحح إيمانه؛ يتوجب عليه إدراك ما يلزمه لإصلاح فرض عينه[1] من: **طهارة وصلاة وصيام...** كما يتوجب عليه صيانة

صاحب العقل الراجح أن هذا الكون المحكم الترتيب؛ قد وجد بدون صانع له، أو ضابط لحركته وسننه. ثم القدم: إذ لا بد من التيقن بأن الله قديم قدم الأزل؛ فهو أول كل شيء وقبل أي شيء؛ لأنه لو لم يكن قديماً لاحتاج إلى محدث؛ ومحدثه يحتاج إلى محدث؛ وهكذا إلى ما لا نهاية؛ ؛ حتى يصل الأمر إلى المحدث القديم وهو الأول والأقدم؛ خالق كل شيء في هذا العالم؛ وهو الله. ثم البقاء: فهو الأزلي والأبدي الواحد الأحد والظاهر والباطن؛ ((لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه)). أنظر في هذا كتاب إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 184. ثم معرفة رسله الصادقين والأمناء، المبلغين لأمر الله ونهيه؛ والإيمان بهم وبرسالتهم الصادقة؛ لأن حاجة البشرية للأنبياء مثل حاجتها للأطباء: ((ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة، ويعرف صدق النبي بالمعجزة)). إحياء علوم الدين، ج: 2، ص: 6.

[1] الفرض: فرض عين، وفرض كفاية. وفرض عين هو ما ذكره الأخضري من: طهارة وصلاة وصيام .. إلخ، أما فرض كفاية: ((فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا: كالطب ؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب ؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِجَ أَهْلُ البلدِ، وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين)). إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 28.

حدود الله،[1] والمحافظة عليها؛ بالالتزام بما يأمر به، والبعد عما ينهى عنه.[2] ثم يتكلم عن **"شروط التوبة"**[3] التي تستهل

---

[1] حدود الله: هي العقوبة التي يتوجب تنفيذها فيمن خالف أمر الله وأمر رسوله؛ وهي نوعان: عقوبة تنفذ في حق القاذف والزاني والسارق، وعقوبة تنفذ فيمن عصى وخالف ما أمر به الله من تحريم وتحليل. يقول سبحانه وتعالى: ((وَالناهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ؛ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ)). سورة التوبة، من الآية: **112**. ويقول: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذابٌ مُّهِينٌ)). سورة النساء، الآية: **14**.

[2] ما ينهى عنه الله سبحانه وتعالى هو: ((قُلْ تعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ؛ ألاَّ تشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً وَلاَ تقتلُوا أوْلاَدَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ؛ نحْنُ نرْزُقكُمْ وَإِيَّاهُمْ؛ وَلاَ تقرَبُوا الفوَاحِشَ مَا ظهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تقتلُوا النفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقِّ؛ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لعَلكُمْ تعْقِلُونَ. وَلاَ تقرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ حَتىَّ يَبْلُغَ أشُدَّهُ وَأوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بالقِسْطِ؛ لاَ نكَلِّفُ نفساً إلاَّ وُسْعَهَا؛ وَإذا قلتُمْ فاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لعَلكُمْ تذكَّرُونَ. وَأنَّ هَذا صِرَاطِي مُسْتقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ؛ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لعَلكُمْ تَتَّقُونَ)). سورة النساء، الآيات من: **151 إلى 153**.

[3] نقول: تاب الإنسان: أي رجع عن ذنبه وأناب إلى الطاعة. ويقول سبحانه وتعالى: ((وَتوبُوا إلى اللَّهِ جَمِيعاً أيُّها المُؤمِنُونَ لعَلكُمْ تفلِحُونَ)). سورة النور، من الآية: **31**. ثم يقول: ((فمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظلمِهِ وَأصْلَحَ فَإنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إنَّ اللَّهَ غفُورٌ رَّحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: **39**. وفي الحديث: ((قال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى عليه

بالندم على ما فات من خطايا، وإبداء النية في عدم العودة لارتكاب الذنوب، وترك المعصية[1] في الحين؛ لأن التوبة لا يجوز تأجيلها.[2] ثم يتكلم عن ضرورة

وسلم يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة)). صحيح البخاري، ج: 7، ص: **145**.

[1] نقول: عَصَاهُ عَصْياً وَعِصْيَاناً وَمَعْصِيَة فهُوَ عَاصٍ وَعَصِيٌّ؛ جَمْعُ عُصَاة: أي خالف أمره ولم يطعه. قال الله تعالى: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)). سورة النساء، الآية: **14**. ويقول: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قلوبِكُمْ وكَرَّهَ إليكُمُ الكُفْرَ وَالفسُوقَ وَالعِصْيَانَ؛ أولئكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)). سورة الحجرات، من الآية: 7. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((عَلى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطاعَة فِيمَا أحَبَّ وكَرِهَ إلاَّ أنْ يُؤمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإذا أمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ ولاَ طاعَة)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: **120**.

[2] قال تعالى: ((فمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأصْلَحَ فَإنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إنَّ اللَّهَ غفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: **39**. ويقول: ((إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً؛ فأولئكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ؛ وَكَانَ اللَّهُ غفُوراً رَّحِيماً. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالحاً فإنَّهُ يَتُوبُ إلى اللَّهِ مَتَاباً)). سورة الفرقان، الآيتين: **70 ــ 71**. وكتب الإمام الحافظ النووي: ((قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى؛ لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدهما أن يقلع عن المعصية [أي يكف عنها فوراً]، والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً؛ فإن [غاب] أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة؛ هذه الثلاثة؛ وأن يبرأ من

حفــظ اللســـان[1] [وهـــو صيانتـــه مـــن كـــل مـــا يشينـــه مـــن قـــول منكـــر] أو النطـــق **بفاحـــش،**[2]

حـق صاحبهـا؛ فـإن كانـت مـالاً أو نحـوه رد إليـه، وإن كانـت حـد قـذف ونحـوه مكنـه منـه أو طلـب عفـوه، وإن كانـت غيبـة استحلـه منهـا. ويجـب أن يتـوب مـن جميـع الذنـوب؛ فـإن تـاب مـن بعضهـا صحـت توبتـه عنـد أهـل الحـق مـن ذلـك الذنـب وبـقي عليـه البـاقي)). ريـاض الصالحيـن، ص: 6.

[1] يقـول سبحانـه وتعـالى: ((فَـلْـيَـتَّـقُـوا اللَّـهَ وَلْـيَـقُـولُـوا قَـولاً سديـداً)). سـورة النسـاء، مـن الآيـة: 9. ويقـول: ((مِـنَ الذيـنَ هَـادُوا يُحَرِّفُـونَ الكَلِـمَ عَـنْ مَوَاضِعِـهِ وَيقولُـونَ سَمِعْنَـا وَعَصَيْنَـا وَاسْمَـعْ غَيْـرَ مُسْمَـعٍ وَرَاعِنَـا لَـيَّـا بِأَلسِنَتِهِـمْ وَطَعْنـاً فِي الدِّيـن وَلَـوْ أَنهُـمْ قَالُـوا سَمِعْنَـا وَأَطَـعْـنَـا وَاسْمَـعْ وَانظُـرْنَـا لكَـانَ خَيْـراً لهُـمْ وَأَقْـوَمَ وَلكِـن لعَنَهُـمُ اللَّـهُ بكُفرهِـمْ فَـلاَ يُؤمِنُـونَ إلاَّ قَلِيـلاً)). سـورة النسـاء، الآيـة: 46. وفي الحديـث: ((عـن أبي هريـرة أنـه سمـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم يقـول: إنَّ العَبْـدَ لَيَتَكَلَّـمُ بالكَلِمَـةِ يَنْـزِلُ بهَـا فِي النَّـارِ أَبْعَـدَ مَـا بَيْـنَ المَشْـرِقِ وَالمَغْـرِبِ)). صحيـح مسلـم، ج: 18، ص: 117. وقـال عليـه السـلام أيضـاً: ((امْلِـكْ عَلَيْـكَ لِسَانَـكَ وَلْيَسَعْـكَ بَيْتُـكَ وَابْـكِ عَـلى خطِيئَتِـكَ)). سنـن الترميـذي، ج: 4، ص: 31. وهـو حديـث حسـن. وسـأل سفيـان بـن عبـد اللـه الثقـفي رسـول اللـه صـلى اللته عليـه وسلـم فقـال: ((يا رسـول اللـه؛ مـا أخـوف مـا تخـاف عـلي؟ فاخـذ بلسـان نفسـه ثـم قـال: "هـذا")). سنـن الترميـذي، ج: 4، ص: 32. حديـث حسـن صحيـح. يقـول الإمـام الغـزالي: ((حفـظ اللسـان عـن الهذيـان والكـذب والغيبـة والنميمـة والفحـش والجفـاء والخصومـة والمـراء، وإلزامـه السكـوت، وشغلـه بذكـر اللـه سبحانـه وتـلاوة القـرآن)). إحيـاء علـوم الديـن، ج: 3، ص: 39.

[2] الفاحـش: القبيـح مـن القـول والفعـل. وينـهى سبحانـه وتعـالى عـن الفواحـش: ((وَلا تقرَبُـوا الفوَاحِـشَ؛ مَـا ظهَـرَ مِنهَـا وَمَـا بَطَـنَ)). سـورة الأنعـام، مـن الآيـة: 151. وفي الحديـث: ((قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم: لاَ أَحَـدٌ أَغْيَـرَ مِـنَ اللَّـهِ؛ وَلِذلِـكَ حَـرَّمَ الفوَاحِـشَ مَـا ظهَـرَ مِنهَـا وَمَـا

ويجب عليه ــ كما يقول ــ حفظ لسانه من استسهال **أيمان الطلاق**[1] بغير مسوغ ضروري، ولابد أيضاً من الابتعاد عن إهانة الناس[2] قولاً وفعلاً، والامتناع عن

بطَنَ؛ وَلاَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللَّهِ)). صحيح مسلم، ج: 17، ص: 77. وعن أنس: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ)). سنن الترميذي، ج: 3، ص: 225. و((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَيْسَ المُؤمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ بِاللَّعَّانِ وَلاَ الفاحِشِ وَلاَ البَذِيِّ)). سنن الترميذي، ج: 3، ص: 236. حديث حسن. وعن عبد الله بن مسعود: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سِبَابُ المُسْلِمِ فسُوقٌ وَقِتَالُهُ فسُوقٌ)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 132.

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَلا تجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ؛ أَنْ تبَرُّوا وَتتقُوا وَتصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ؛ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). سورة البقرة، الآية: 224. ((وَلاَ تطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ)). سورة القلم، الآية 10. وفي الحديث عن أبي هريرة: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ثلاثَةٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلهُنَّ جِدٌّ: النكَاحُ وَالطَّلاقُ وَالرَّجْعَةُ)). سنن الترميذي، ج: 2، ص: 328.

[2] أهان الناس: استخف بهم واحتقرهم. وفي قوله تعالى: ((وَلاَ تلمِزُوا أنفسَكُمْ وَلاَ تنابَزُوا بِالألقَابِ؛ بِئْسَ الاسْمُ الفسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ؛ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأولئكَ هُمُ الظالمُونَ)). سورة الحجرات، من الأية: 11. وفي قوله: ((لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَنْ ظلِمَ؛ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)). سورة النساء، الآية 148.

ترويعهم وتخويفهم بدون حق شرعي.[1] كما يجب على المكلف أيضاً أن يغظ الطرف ويحفظ بصره من المشاهد المُحَرَّمَة.[2] ومطلوب أيضاً من المكلف أن يحفظ جوارحه كلها من الزيغ[3] والمعصية. وأن

---

[1] قال سبحانه وتعالى: ((وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظلمُوا أيَّ مُنقلبٍ يَنقلبُونَ)). سورة الشعراء، من الآية: 227. وفي الحديث: ((أن رسول الله صلى اللته عليته وسلم قال: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)). صحيح مسلم، ج: 16. وقال: ((المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 49.

[2] قال سبحانه وتعالى: ((قُلْ لِلمُؤمِنِينَ يَغضُوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفظُوا فرُوجَهُمْ؛ ذلِكَ أزكَى لهُمْ؛ إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. وفي الحديث؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله؛ فمن تركها خوفاً من الله أتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 38.

[3] زَاغَ زَيْغاً وَزَيَغاناً: اعْوَجَّ وَمَالَ، وَالزَّيْغُ: المَيْلُ عَنِ الحَقِّ وَالشَّكُّ فِيهِ. (القاموس). ويقول سبحانه وتعالى: ((هُوَ الذِي أنْزَلَ عَليْكَ الكِتَابَ؛ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ؛ هُنَّ أمُّ الكِتَابِ؛ وَأخَرُ مُتشَابهَاتٌ؛ فأمَّا الذينَ فِي قلوبهِمْ زَيْغ فيَتَّبعُونَ مَا تشَابَهَ مِنْهُ؛ ابْتِغاءَ الفِتنَةِ وَابْتِغاءَ تأويلِهِ؛ وَمَا يَعْلَمُ تأويلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ؛ يَقولُونَ آمَنَّا بِهِ؛ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا؛ وَمَا يَذكَرُ إلاَّ أولُوا الألبَابِ. رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قلوبَنَا بَعْدَ إذ هَدَيْتنَا، وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ)). سورة آل عمران، الآيتين: 7 ـ 8.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛[1] ثم يعدد **الأخضري** بعض الصفات المخالفة للخلق الإسلامي ومقتضى الشرع:

((ويحرم عليه الكذب[2] [أي يحرم الكذب على المكلف]، **والغيبة** [أي التعرض

---

[1] يقول تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ؛ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ؛ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ))، سورة آل عمران، الآية: 110 وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار؛ فتندلق أقتاب بطنه [أي أمعاؤه]؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى؛ فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: "يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟" فيقول: "بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه")). صحيح مسلم، ج: 18، ص: 118. وعن رسول الله صلى الله عليته وسلم أنه قال: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)). صحيح مسلم، ج: 2، ص: 22.

[2] يقول الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ؛ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ)). سورة النحل، الآية: 105. ويقول: ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)). سورة الحج، من الآية: 30. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)). سورة الصف، الآيتين: 2. 3. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة)). الأخلاق والواجبات، ص: 62.

للنـــاس بالطعـــن والإســـاءة في غيبتهـــم] **والنميمـــة**[1] [وهي الفعـــل المشيـــن الـــذي يقـــوم بـــــه مـــــن يتحـــرش بالآخريــــــن ليوقــــــع بينهــــــم الفتنـــــــة؛ بالخبـــث والكـــذب الناعـــم]، **والكِبْـــر والعُجْـــب**[2]

---

[1] في الغيبـــة يقـــول تعـــالى: ((يَا أَيُّهَـــا الذيـــنَ آمَنـــُوا اجْتَنِبُـــوا كَثِيـــراً مِـــنَ الظـــَّنِّ؛ إنَّ بَعْـــضَ الظـــَّنِّ إثْـــمٌ؛ وَلا تجَسَّسُـــوا وَلا يَغْتـــَبْ بَعْضُكُـــمْ بَعْضـــــاً؛ أَيُحِـــــبُّ أَحَدُكُـــــمْ أَنْ يَأكُـــلَ لَحْـــمَ أَخِيـــهِ مَيْتـــاً فَكَرِهْتُمُـــوهُ؛ وَاتقـــُوا اللـــَّهَ إنَّ اللـــَّهَ تـــوَّابٌ رَحِيـــمٌ)). ســـورة الحجـــرات، الآيـــة: 12. أمـــا النميمـــة لغـــة؛ فنقـــول فيهـــــا: نَـــمَّ نَمـــــاً ونَميمَـــــة ونميمـــاً بـــه ونـــم عليـــه: وَشَـــى: سَـــعَى بـــهِ لِيُوقِـــعَ فِتنـــَة أَوْ وحْشَـــة. (القامـــوس). ويقـــول سبحانـــه وتعـــالى: ((هَمَّـــازٍ مَشـــَّاءٍ بِنمِيـــم)). ســـورة القلـــم، الآيـــــة: 11. وقـــال رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم : ((لا يدخـــل الجنـــة نمـــام)). حديـــث متفـــق عليـــه، ريـــاض الصالحيـــن، ص: 228.

[2] يقـــول سبحانـــه وتعـــالى في الكبـــر: ((إنَّ اللـــَّهَ لاَ يُحِـــبُّ مَـــنْ كَـــانَ مُختـــَالاً فخـــُوراً)). ســـورة النســـاء، مـــن الآيـــة: 36. ويقـــول: ((لاَ جَـــرَمَ أَنَّ اللـــَّه يَعْلـــَمُ مَـــا يُسِـــرُّونَ وَمَـــا يُعْلِنـــُونَ؛ إنـــَّهُ لاَ يُحِـــبُّ المُسْتكْبِرِيـــنَ)). ســـورة النحـــل، الآيـــــة: 23. ويقـــول: ((وَلاَ تمْـــشِ فِي الأَرْضِ مَرَحـــاً؛ إنـــَّكَ لـــَنْ تخْـــرِقَ الأَرْضَ وَلـــَنْ تبْلـــُغَ الجِبَـــالَ طـــُولاً)). ســـورة الإســـراء، الآيـــة: 37. وفي الحديـــث: ((عـــن النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم قـــال: لا يدخـــل الجنـــة مـــن كـــان في قلبـــه مثقـــال ذرة مـــن الكبـــر)). ريـــاض الصالحيـــن، ص: 114. أمـــا العُجْـــبُ: فهـــو الزهـــو والكبـــر. وقـــال اللـــه سبحانـــه وتعـــالى في هـــذا: ((وَلاَ تصَعِّـــرْ خَـــدَّكَ للنـــَّاسِ وَلاَ تمْـــشِ فِـــي الأَرْضِ مَرَحـــاً؛ إنَّ اللـــَّهَ لاَ يُحِـــبُّ كُـــلَّ مُختـــَالٍ فخـــُورٍ)). ومعـــنى "لا تصعـــر خـــدك للنـــاس": هـــو النـــهي عـــن إمالـــة الوجـــه عـــن رؤيـــة النـــاس؛ مـــن فـــرط التكبـــر والتهـــاون بهـــم. ســـورة لقمـــان، الآيـــة: 18. ومـــن أمثلـــة العُجْـــب الـــتي ذكرهـــا اللـــــه فـــي كتابـــه العزيـــز؛ مثـــال ذلـــك الرجـــل الـــذي ملكـــه العجـــب؛ عندمـــا رأى جنتـــه محفوفـــة بالأشجـــار؛ ومزدانـــة بمياههـــا الجاريـــة؛ فقـــال لصاحبـــه: ((أَنـــَا أَكْثـــَرُ

[الكبر هو التجبر والعظمة والإثم العظيم؛ أما العُجْب فهو التكبر في زهو وتيه وتعاظم]، **والرياء والسَّمْعَة**[1] [الرِّياء والرِّءاء هو الفعل المقصود به إظهار صفات الخير

مِنْكَ مَالاً وَأعَزُّ نفراً. وَدَخلَ جَنتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لنفسِهِ؛ قَالَ: مَا أظُنُّ أنْ تبِيدَ هَذِهِ أبَداً. وَمَا أظُنُّ السَّاعَةَ قائمَةً؛ وَلئِنْ رُدِدْتُّ إلى رَبِّي لأجِدَنَّ خيْراً مِنهَا مُنقلباً. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أكَفَرْتَ بِالَّذِي خلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نطفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً؟. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي؛ وَلاَ أشْرِكُ بِرَبِّي أحَداً. وَلَوْلاَ إذ دَخلْتَ جَنتَكَ قلتَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ؛ إنْ تَرَنِ أنَا أقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً. فعَسَى رَبِّي أنْ يُؤتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنتِكَ وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ؛ فتصْبِحَ صَعِيداً زَلقاً. أوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً؛ فلَنْ تسْتطِيعَ لَهُ طلباً. وَأحِيط بِثمَرِهِ؛ فأصْبَحَ يُقلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى مَا أنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِهَا؛ وَيَقُولُ: يَاليْتَنِي لَمْ أشْرِكْ بِرَبِّي أحَداً)). سورة الكهف، الآيات من: **32** إلى **42**. وفي الحديث عن أبي هريرة: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: **114**.

[1] يقول سبحانه وتعالى في الرياء: ((يَا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأذى؛ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فمَثلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَليْهِ تُرَابٌ فأصَابَهُ وَابِلٌ فترَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)). سورة البقرة، الآية، **264**. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعُ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِ يُرَائِ اللَّهُ بِهِ)). أي من سَمَّعَ الناس بعمله بغرض الرياء؛ سَمَّعَ الله به وكشفه يوم القيامة. صحيح مسلم، ج: **18**، ص: **116**. وكل هذا يتفق مع ما سبق ذكره عن الرياء.

والصلاح لكي يراها الناس؛ بينما هي على خلاف الواقع]؛ أما **السَّمْعَة** [وَالسُّمْعَة: فهو التنويه بالعمل لِيُرَى وَيُسْمَع]، **والحسد والبغض** [فالحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين؛ أما البغض فهو نقيض الحب، وهو الشنآن والكراهية والمقت والعداء]، **ورؤية الفضل على الغير** [أي ظهور الحسد والبغض عند رؤية علامات الفضل على الآخرين] **والهمز واللمز**[1] [الهمز

---

[1] يقول سبحانه وتعالى في الحسد: ((قُلْ أعُوذ بِرَبِّ الفلَق. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غاسِق إذا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ)). سورة الفلق. وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس مني ذو حسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقوله عليه الصلاة والسلام: ((الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يغبط والمنافق يحسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 159. ويقول سبحانه وتعالى في البغض والشنئان: ((إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ)). سورة الكوثر، الآية: 3. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُونُوا قوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ؛ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلى ألاَّ تعْدِلُوا؛ اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ؛ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 8. وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تباغضوا ولا

واللمز لهما معنى واحد تقريباً؛ غير أن الهمز هو الفعل المؤذي في غياب المتأذى، أما اللمز فهو الفعل المؤذي في حضور المتضرر؛ ويكون في الغالب الهمز بالعين، أما اللمز فباللسان.] **والعبث والسخرية**[1] [العبث هو الأمر الذي لا فائدة فيه؛ أما السخرية فهي الاستهزاء بالآخر]، **والزِّنا**

تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا؛ وكونوا عباد الله إخواناً؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 234. ويقول الله تعالى: ((وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)). سورة الهمزة، الآية: 1. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)). الأخلاق والواجبات، ص: 163. ويقول: ((إن أبغضكم إلى الله المشاعون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثرات)). أي الباحثون عن عثرات وهفوات يوصمون بها الأبرياء. الأخلاق والواجبات، ص: 166.

[1] يقول الله تعالى: ((أتبْنُونَ بكُلِّ رِيعٍ آيَة تعْبَثُونَ. وَتتخذُونَ مَصَانِعَ لعَلكُمْ تخْلدُونَ)). سورة الشعراء، الآيتين: 128 ـ 129. ويقول: ((أفحَسِبْتُمْ أنمَا خلقناكُمْ عَبَثاً، وَأنكُمْ إليْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)). سورة المؤمنون، الآية 115. ويقول تعالى: ((يَا أيُّهَا الذينَ آمنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يكُونُوا خيْراً مِنهُمْ، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أنْ يكُنَّ خيْراً مِنهُنَّ، وَلاَ تلمِزُوا أنفسكُمْ، وَلاَ تنابَزُوا بالألقَابِ؛ بِئْسَ الاسْمُ الفسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ؛ وَمَنْ لمْ يَتُبْ فأولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ)). سورة الحجرات، الأية: 11.

[وهو إتيان المرأة من غير عقد شرعي] **والنظر إلى الأجنبية والتلذذ بكلامها،**[1] **وأكل أموال الناس بغير طيب نفس**[2] [أي بدون رضاهم في داخلهم] **والأكل بالشفاعة**

---

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تقرَبُوا الزِّنى؛ إنَّهُ كَانَ فاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)). سورة الإسراء، الآية: 32. يقول سبحانه وتعالى في ضرورة غض البصر: ((قُلْ للمُؤمِنِينَ يَغضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفظُوا فرُوجَهُمْ ذلِكَ أزكَى لهُمْ إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. ويقول: ((إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)). سورة الإسراء، من الآية: 36. ويقول: ((يَعْلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تخْفِي الصُّدُورُ)). سورة غافر، الآية: 19. ((إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ)). سورة الفجر، الآية: 14. وفي الحديث: ((عن النبي r قال: إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: "يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه". قالوا: "وما حق الطريق يا رسول الله؟" قال: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي ع، المنكر")). حديث متفق عليه. رياض الصالحين، ص: 242.

[2] يقول سبحانه وتعالى: ((إنَّ الذِينَ يَأكلُونَ أمْوَالَ اليَتَامَى ظلماً؛ إنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطونِهِمْ نَاراً؛ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)). سورة النساء، الآية: 10. ويقول: ((وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلاً لَمّاً. وَتحِبُّونَ المَالَ حُبّاً جَمّاً)). سورة الفجر، الآيتين: 19 ـ 20. ويقول: ((سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ أكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)). والسحت هنا هي الرشوة. سورة المائدة: من الآية: 42. ويقول: ((وَتَرَى كَثِيراً مِنهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإثْمِ وَالعُدْوَانِ وَأكْلِهِمُ السُّحْتَ؛ لبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 62.

أو بالدين[1] [أي أكل أموال الناس عن طريق الشَّفاعَةِ أو بسبب الدَّيْنِ]، **وتأخير الصلاة عن أوقاها**[2] **ولا يحل له صحبة**

[1] الشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذمام؛ وهي الانضمام إلى آخر بغرض نصرته؛ على أن يتم انضمام من هو أعلى مقاماً لنصرة من هو أدنى منه؛ فيقولون شفع فلان في فلان. وما يقصده الأخضري هنا هو أكل أموال الناس في مقابل الشفاعة لهم، أو بدين يؤخذ من الغير بالضغط عليهم أو بربى. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ، وَتُدْلُوا بهَا إلى الحُكَّامِ لتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). سورة البقرة، الآية: 188. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا؛ لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ لعَلَّكُمْ تفلِحُونَ)). سورة آل عمران، الآية: 130.

[2] قال سبحانه وتعالى: ((فَوَيْلٌ للمُصَلِّينَ. الذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ)). سورة الماعون، الآيتين: 4 ـ 5. ويقول: ((حَافِظُوا عَلى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَىَ وَقُومُوا للَّهِ قَانِتِينَ)). سورة البقرة، الآية: 238. ويقول: ((إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)). سورة النساء، من الآية: 103. ويقول: ((إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ؛ وَهُوَ خَادِعُهُمْ؛ وَإِذَا قَامُوا إلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىَ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)). سورة النساء، الآية: 142. ويقول: ((إِلاَّ المُصَلِّينَ. الذِينَ هُمْ عَلى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ)). سورة المعارج، الآيتين: 22 ـ 23. وفي الحديث: ((عن ابن مسعود t قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي الأعمال أفضل"؛ قال: "الصلاة على وقتها". قلت: "ثم أي"؛ قال: "بر الوالدين"؛ قلت: "ثم أي"؛ قال: "الجهاد في سبيل الله")). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 174.

فاسق ولا مجالسته لغير ضرورة[1] ولا يطلب رضا المخلوقين بسخط الخالق؛ قال الله تعالى: "والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"[2] وقال عليه الصلاة والسلام: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"،[3] ولا يحل له أن يفعل فعلا حتى

---

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ: أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بهَا وَيُسْتَهْزَأُ بهَا؛ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتىَّ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً)). سورة النساء، الآية: 140. ويقول: ((وَإِذَا رَأَيْتَ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتىَّ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظالِمِينَ)). سورة الأنعام، الآية: 68. وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم في مجالسة أهل الصلاح والإعراض عن أصحاب السوء: ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إمَّا أن يُحْذِيَكَ [أي يعطيك]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)). صحيح مسلم، ج: 16، ص: 178.

[2] الآية كاملة هكذا: ((يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لكُمْ لِيُرْضوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولِهِ أحَق أنْ يُرْضُوهُ إنْ كانُوا مُؤمِنِينَ)). سورة التوبة، الآية: 62.

[3] وجاء هذا الحديث أيضاً هكذا: ((لا طاعة في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف)). صحيح مسلم، ج: 12، ص: 227. ومعالم السنن، ج: 2، ص: 266. وورد أيضاً: ((عن النبي صلى اللع عليه وسلم قال: على المرء

يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدي بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم؛ الذين يَدُلُّونَ على طاعة الله ويحذرون من إتباع الشيطان، ولا يرض لنفسه ما رضيه المفلسون[1] الذين ضاعت أعمارهم في غير طاعة الله تعالى؛ فيا حسرتهم، ويا طول بكائهم يوم القيامة. نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لإتباع سنة نبينا وشفيعنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 120.

[1] المفلس هو كما قال رسول الله r لأصحابه: (("أتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟" قالُوا: "المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعٌ" فقَالَ: "إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أمَّتِي يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ؛ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذا وَقَذَفَ هَذا وَأكَلَ مَالَ هَذا وَسَفَكَ دَمَ هَذا وَضَرَبَ هَذا؛ فيُعْطَى هَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)). صحيح مسلم، ج: 16، ص ص: 135 ــ 136.

2 ــ فصل في الطهارة: ويبدأه **الأخضري** بتقسيم الطهارة إلى قسمين: طهارة حدث، وطهارة خبث؛ وإزالتهما لا تصح إلا بالماء الطاهر المطهر؛ ويصفه بقوله: **((وهو الذي لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته؛ بما يفارقه غالباً كالزيت والسمن والدسم كله والوذح[1] والصابون والوسخ ونحوه؛ ولا بأس بالتراب والحمأة والسبخة والآجر ونحوه)).**

ويتكلم بعد ذلك **الأخضري** في موضوع **النجاسة** وشروط إزالتها. ثم يدخل في موضوع **الوضوء** وفرائضه السبع، وسننه، وفضائله. وبعدها يشير إلى **نواقض**

[1] الوذح: هو كل ما علق في أصواف الغنم من بَعْرٍ وَبَولٍ.

الوضوء بأحداثها وأسبابها. ثم يحذر من القيام ببعض الأعمال دون وضوء؛ مثل **الصلاة والطواف ومس نسخ القرآن** إلا في حال التعليم. ثم يتطرق لموضوع **الغسل** بفرائضه وسننه وفضائله؛ ويقول بأنه مطلوب في ثلاث حالات: **الجنابة والحيض والنفاس.** وكذلك **التيمم** بفرائضه وسننه **ونواقضه** التي قال فيها: **((كالوضوء؛ ولا تصلى فريضتان بتيمم واحد؛ ومن تيمم لفريضة جاز له النوافل بعدها، ومس المصحف والطواف والتلاوة؛ إن نوى ذلك، واتصلت بالصلاة؛ ولم يخرج الوقت، وجاز بتيمم النافلة كل ما ذكر إلا الفريضة، ومن صلى العشاء بتيمم قام للشفع والوتر بعدها من غير تأخير.**

ومن تيمم من جنابة فلا بد من نيتها)).

3 ــ فصل في الحيض: وبعد أن صنف **الأخضري** النساء ــ في هذا الباب ــ إلى **مبتدأة ومعتادة وحامل**، وبعد تقديره للأيام التي تتعرض فيها النساء للحيض؛ يقول: **((ولا يحل للحائض صلاة ولا صوم ولا طواف ولا مس مصحف ولا دخول مسجد؛ وعليها قضاء الصوم دون الصلاة، وقراءتها جائزة، ولا يحل لزوجها فرجها ولا ما بين سرتها وركبتيها حتى تغتسل)).**

4 ــ فصل في النفاس: ويرى أنه شبيه بالحيض فيما يجري عليه؛ وقد تصل أيام المنع فيه إلى ستين يوماً تقريباً: **((فإن**

انقطع الدم قبلها ـ ولو في يوم الولادة اغتسلت وصلت؛ فإذا عاودها الدم؛ فإن كان بينهما خمسة عشر يوماً فأكثر؛ فأكثره كان الثاني حيضاً؛ وإلاَّ ضم إلى الأول؛ وكان من تمام النفاس)).

ثم ينتقل **الأخضري** ـ بعد ذلك ـ إلى مواضيع عديدة معنونة بالفصول التالية: **الأوقات، وشروط الصلاة، وفرائض الصلاة، وسنن الصلاة، وفضائل الصلاة،** وفي الأخير **باب السهو**؛ الذي يشمل حالات: **الوسوسة والشك والسهو، والضحك في الصلاة، والالتفات، والغلط في الصلاة، والنوم في الصلاة، وسجود السهو، وإذا زاد المصلي في الصلاة أو أنقص منها،**

والسهــو في صــلاة القضــاء، وأخيــراً سهــو الإمــام.

5 ـ (فصـل في الأوقـات): الوقـت المختـار للظهـر مـن زوال الشمـس إلى آخـر القامـة، والمختـار للعصـر مـن القامـة إلى الاصفـرار، وضروريهمـا إلى الغـروب، والمختـار للمغـرب قـدر مـا تصـلى فيـه بعـد شروطهـا، والمختـار للعشـاء مـن بغيـب الشفـق إلى ثلـث الليـل الأول، وضروريهمـا إلى طلـوع الفجـر، والمختـار للصبـح مـن الفجـر إلى الإسفـار الأعـلى، وضروريـه إلى طلـوع الشمـس، والقضـاء في الجميـع مـا وراء ذلـك، ومـن أخـر الصـلاة حـتى خـرج وقتهـا؛ فعليـه ذنـب عظيـم إلاّ أن يكـون ناسيـاً، أو نائمـاً؛ ولا تصـلى نافلـة بعـد صـلاة الصبـح إلى ارتفـاع الشمـس، وبعـد

صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وبعد طلوع الفجر؛ إلاّ الورد لنائم عنه، وعند جلوس إمام الجمعة على المنبر، وبعد الجمعة حتى يخرج من المسجد.

6 ــ **(فصل في شروط الصلاة):** وشروط الصلاة: **طهارة الحدث**، وطهارة الخبث من: **البدن، والثوب، والمكان، وستر العورة، واستقبال القبلة، وترك الكلام، وترك الأفعال الكثيرة**، وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، والمرأة كلها عورة؛ ما عدا الوجه والكفين؛ وتكره الصلاة في السراويل؛ إلاّ إذا كان فوقها شيء؛ ومن تنجس ثوبه ولم يجد ثوباً غيره، ولم يجد ماء يغسله به، أو لم يكن عنده ما يلبس حتى يغسله وخاف خروج الوقت

صلى بنجاسته؛ ولا يحل تأخير الصلاة لعدم الطهارة؛ ومن فعل ذلك فقد عصى ربه؛ ومن لم يجد ما يستر به عورته صلى عرياناً، ومن أخطأ القبلة أعاد في الوقت؛ وكل إعادة في الوقت فهي فضيلة، وكل ما تعاد منه الصلاة في الوقت فلا تعاد منه الفائتة والنافلة.

7 ـ (فصل): فرائض الصلاة: **نية الصلاة المعينة، وتكبيرة الإحرام، والقيام لها، والفاتحة، والقيام لها، والركوع، والرفع منه، والسجود على الجبهة، والرفع منه، والاعتدال، والطمأنينة، والترتيب بين فرائضها، السلام وجلوسه الذي يقارنه.**

ـ **(وشرط):** النية مقارنتها لتكبيرة الإحرام.

ـ **(وسننها): الإقامة، والسورة التي بعد الفاتحة، والقيام لها، والسر فيما يسر فيه، والجهر فيما يجهر فيه، وسمع الله لمن حمده**، وكل تكبيرة سنة؛ إلاّ الأولى، **والتشهدان، والجلوس لهما، وتقديم الفاتحة على السورة، والتسليمة الثانية والثالثة للمأموم، والجهر بالتسليمة الواجبة، والصلاة على رسول الله ﷺ، والسجود على الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، والسترة لغير المأموم**، وأقلها غلظ رمح، وطول ذراع طاهر ثابت غير مشوش.

ـ **(وفضائلها)**: رفع اليدين عند الإحرام حتى تقابلا الأذنين، وقول المأموم والفذّ: ربنا ولك الحمد، والتأمين بعد الفاتحة للفذ والمأموم، ولا يقولها الإمام، إلاّ في قراءة

السر، والتسبيح في الركوع، والدعاء في السجود، وتطويل القراءة في الصبح والظهر، تليها، وتقصيرها في العصر والمغرب، وتوسطها في العشاء؛ وتكون السورة الأولى قبل الثانية وأطول منها، والهيئة المعلومة في الركوع، والسجود، والجلوس، والقنوت سراً قبل الركوع، والدعاء بعد التشهد الثاني أطول من الأول، والتيامن بالسلام، وتحريك السبابة في التشهد؛ ويكره الإلتفات في الصلاة، وتغميض العينين، والبسملة، والتعوذ في الفريضة، ويجوزان في النفل؛ والوقوف على رجل واحدة؛ إلاّ أن يطول قيامه واقتران رجليه، وجعل درهم أو غيره في فمه، وكذلك كل ما يشوشه في جيبه، أو كمه، أو على ظهره، والتفكر في أمور

الدنيـــا، وكـــل مـــا يشغلـــه عــــن الخشـــــوع في الصـــلاة.

8 ــ (فصـــل): للصـــلاة نـــور عظيـــم تشـــــرق في قلـــوب المصليـــن؛ ولا ينالـــه إلا الخاشعـــون؛ فـــــإذا أتيـــت إلى الصـــلاة ففـــرغ قلبـــك مـــــن الدنيـــــا ومـــا فيهـــا، واشتغـــل بمراقبـــة مـــــولاك؛ الــــذي تصـــلي لوجهـــه، واعتقـــد أن الصــــلاة خشــــوع وتواضـــع للـــه سبحانـــــه؛ بالقيـــــام والركـــــوع، والسجـــود، وإجـــلال وتعظيـــم لـــــه؛ بالتكبيـــــر، والتسبيـــح، والذكـــر؛ فحافـــظ عـــلى صلاتـــــك؛ فإنهـــا أعظـــم العبـــادات؛ ولا تتـــــرك الشيطـــــان يلعـــب بقلبـــك، ويشغلـــك عـــن صلاتـــك؛ حـــتى يطمـــس قلبـــك، ويحرمـــك مـــن لــــذة أنــــوار الصـــلاة؛ فعليـــك بـــدوام الخشـــوع فيهـــا؛ فإنهـــــا

تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ بسبب الخشوع فيها؛ فاستعن بالله إنه خير مستعان.

9 ـ (فصل): للصلاة المفروضة سبعة أحوال مرتبة؛ تؤدى عليها أربعة؛ منها على الوجوب، وثلاثة على الاستحباب: أولها القيام بغير إسناد، ثم القيام بإسناد، ثم الجلوس بغير إسناد، ثم الجلوس بإسناد؛ فالترتيب بين هذه الأربعة؛ على الوجوب إذا قدر على حالة منها، وصلى بحالة دونها؛ بطلت صلاته؛ والثلاثة التي على الاستحباب هي: أن يصلي العاجز عن هذه الثلاثة المذكورة على جنبه الأيمن، ثم على الأيسر، ثم على ظهره؛ فإن خالف في الثلاثة؛ لم تبطل صلاته؛ والاستناد الذي تبطل به صلاة القادر على تركه؛ هو

الذي يسقط بسقوطه؛ وإن كان لا يسقط بسقوطه فهو مكروه؛ وأما النافلة فيجوز للقادر على القيام أن يصليها جالساً؛ وله نصف أجر القائم؛ ويجوز أن يدخلها جالساً؛ ويقوم بعد ذلك، أو يدخلها قائماً ويجلس بعد ذلك؛ إلاّ أن يدخلها بنية القيام فيها؛ فيمتنع جلوسه بعد ذلك.

10 ــ (فصل): يجب قضاء ما في الذمة من الصلوات؛ ولا يحل التفريط فيها؛ ومن صلى كل يوم خمسة أيام؛ فليس بمفرط؛ ويقضيها على نحو ما فاتته؛ إن كانت حضرية قضاها حضرية، وإن كانت سفرية قضاها سفرية؛ سواء كان حين القضاء في حضر أو في سفر؛ والترتيب بين الحاضرتين وبين يسير الفوائت مع الحاضرة

واجب مع الذكر؛ واليسير أربع صلوات فأدنى؛ ومن كانت عليه أربع صلوات فأقل؛ صلاها قبل الحاضرة؛ ولو خرج وقتها ويجوز القضاء في كل وقت؛ ولا يتنفل من عليه القضاء؛ ولا يصلي الضحى، ولا قيام رمضان، ولا يجوز له إلاّ الشفع، والوتر، والفجر، والعيدان، والخسوف، والاستسقاء؛ ويجوز لمن عليهم القضاء أن يصلوا جماعة إذا استوت صلاتهم؛ ومن نسي عدد ما عليه من القضاء صلى عدداً لا يبقى معه شك.

11 ـ (باب في السهو): وسجود السهو في الصلاة سنة.

ـ فلنقصان سجدتان قبل السلام، بعد تمام التشهدين، يزيد بعدهما تشهداً آخر.

ـــ وللزيادة سجدتان بعد السلام، يتشهد بعدهما، ويسلم تسليمة أخرى.

ـــ ومن نقص وزاد؛ سجد قبل السلام.

ـــ ومن نسي السجود القبلي حتى سلم؛ سجد إن كان قريباً؛ وإن طال أو خرج من المسجد؛ بطل السجود، وتبطل الصلاة معه إن كان على ثلاث سُنَنٍ أو أكثر من ذلك؛ وإلاّ فلا تبطل.

ـــ ومن نسي السجود البعدي سجده ولو بعد عام.

ـــ ومن نقص فريضة فلا يجزيه السجود عنها.

ـــ ومن نقص الفضائل؛ فلا سجود عليه.

ـــ ولا يكون القبلي إلا لترك سنتين فأكثر.

ـ وأما السنة الواحدة فلا سجود لها؛ إلاّ السر والجهر؛ فمن أسر في الجهر سجد قبل السلام، ومن جهر في السر سجد بعد السلام.

ـ ومن تكلم ساهياً سجد بعد السلام.

ـ ومن سلم من ركعتين ساهياً سجد بعد السلام.

ـ ومن زاد في الصلاة ركعة أو ركعتين سجد بعد السلام، ومن زاد في الصلاة مثلها بطلت.

ـ ومن شك في كمال صلاته أتى بما شك فيه؛ والشك في النقصان كتحققه؛ فمن شك في ركعة أو سجدة أتى بها وسجد بعد السلام.

ـ وإن شك في السلام سلم إن كان قريباً ولا سجود عليه، وإن طال بطلت صلاته.

ـ والموسوس يترك الوسوسة من قلبه، ولا يأتي بما شك فيه؛ ولكن يسجد بعد السلام؛ سواء شك في زيادة أو نقصان.

ـ ومن جهر في القنوت فلا سجود عليه؛ ولكنه يكره عمده.

ـ ومن زاد في السورة في الركعتين الأخيرتين فلا سجود عليه.

ـ ومن سمع ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو في الصلاة ـ فصلى عليه فلا شيء عليه؛ سواء كان ساهياً، أو عامداً، أو قائماً، أو جالساً.

ـ ومن قرأ سورتين فأكثر في ركعة واحدة، أو خرج من سورة إلى سورة، أو ركع قبل تمام السورة فلا شيء عليه في جمع ذلك.

ـ ومن أشار في صلاته بيده أو رأسه فلا شيء عليه.

ـ ومن كرر الفاتحة ساهياً سجد بعد السلام؛ وإن كان عامداً فالظاهر البطلان.

ـ ومن تذكر السورة بعد انحنائه إلى الركوع فلا يرجع إليها.

ـ ومن تذكر السر أو الجهر قبل الركوع أعاد القراءة؛ فإن كان ذلك في السورة وحدها أعادها ولا سجود عليه؛ وإن كان في الفاتحة أعادها وسجد بعد السلام، وإن فات بالركوع سجد؛ لترك الجهر قبل

السلام، ولترك السر بعد السلام؛ سواء كان من الفاتحة أو السورة وحدها.

ـ ومن ضحك في الصلاة بطلت؛ سواء كان ساهياً أو عامداً؛ ولا يضحك في صلاته إلاّ غافل متلاعب؛ والمؤمن إذا قام للصلاة أعرض بقلبه عن كل ما سوى الله سبحانه، وترك الدنيا وما فيها؛ حتى يحضر بقلبه جلال الله سبحانه وعظمته، ويرتعد قلبه، وترهب نفسه من هيبة الله جل جلاله؛ فهذه صلاة المتقين؛ ولا شيء عليه في التبسم.

ـ وبكاء الخاشع في الصلاة مغتفر.

ـ ومن أنصت لمتحدث قليلاً فلا شيء عليه.

ـ ومن قام من ركعتين ـ قبل الجلوس ـ فإن تذكر قبل أن يفارق الأرض بيديه وركبتيه؛ رجع إلى الجلوس ولا سجود عليه؛ وإن فارقها تمادى ولم يرجع وسجد قبل السلام؛ وإن رجع بعد المفارقة، وبعد القيام ساهياً، أو عامداً صحت صلاته وسجد بعد السلام.

ـ ومن نفخ في صلاته ساهياً سجد بعد السلام، وإن كان عامداً بطلت صلاته.

ـ ومن عطس في صلاته فلا يشتغل بالحمد، ولا يرد على من شمته، ولا يشمت عاطساً؛ فإن حمد الله فلا شيء عليه.

ـ ومن تثاءب في الصلاة سد فاه.

ـ ولا ينفث إلاّ في ثوبه من غير إخراج حروف.

ـ ومن شك في حدث أو نجاسة؛ فتفكر في صلاته قليلاً، ثم تيقن الطهارة فلا شيء عليه.

ـ ومن التفت في الصلاة ساهياً فلا شيء عليه؛ وإن تعمد فهو مكروه.

ـ وإن استدبر القبلة قطع الصلاة.

ـ ومن صلى بحرير أو ذهب، أو سرق في الصلاة، أو نظر محرماً؛ فهو عاص، وصلاته صحيحة.

ـ ومن غلط في القراءة بكلمة من غير القرآن سجد بعد السلام، وإن كانت من القرآن فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يتغير اللفظ، أو يفسد المعنى؛ فيسجد بعد السلام.

ـ ومن نعس في الصلاة فلا سجود عليه، وإن ثقل نومه أعاد الصلاة والوضوء.

ـ وأنين المريض مغتفر، والتنحنح للضرورة مغتفر، وللإفهام منكر؛ ولا تبطل الصلاة به.

ـ ومن ناداه أحد؛ فقال له: سبحان الله؛ كره وصحت صلاته.

ـ ومن وقف في القراءة ولم يفتح عليه أحد؛ ترك تلك الآية وقرأ ما بعدها؛ فإن تعذرت عليه ركع؛ ولا ينظر مصحفاً بين يديه؛ إلاّ أن يكون في الفاتحة؛ فلا بدّ من كمالها بمصحف، أو غيره؛ فإن ترك منها آية سجد قبل السلام، وإن كان أكثر بطلت صلاته، ومن فتح على غير إمامه بطلت صلاته؛ لا يفتح على إمامه إلاّ أن ينتظر الفتح، أو يفسد المعنى.

ـ ومن جال فكره قليلاً في أمور الدنيا نقص ثوابه ولم تبطل صلاته.

ـ ومن دفع الماشي بين يديه، أو سجد على شق جبهته، أو سجد على طية أو طيتين من عمامته؛ فلا شيء عليه.

ـ ولا شيء في غلبة القيء، والقلس في الصلاة.

ـ وسهو المأموم يحمله الإمام؛ إلاّ أن يكون من نقص الفريضة.

ـ وإذا سها المأموم، أو نعس، أو زوحم عن الركوع ـ وهو في غير الأولى ـ فإنْ طمع في إدراك الإمام قبل رفعه من السجدة الثانية؛ ركع ولحقه؛ وإن لم يطمع ترك الركوع وتبع إمامه، وقضى ركعة في موضعها بعد سلام إمامه.

ـ وإن سها عن السجود، أو زوحم، أو نعس حتى قام الإمام إلى ركعة أخرى سجد؛ إن طمع في إدراك الإمام قبل عقد الركوع؛ وإلاّ تركه وتبع الإمام، وقضى ركعة أخرى أيضاً؛ وحيث قضى الركعة فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يكون شاكاً في الركوع، أو السجود.

ـ ومن جاءته عقرب، أو حية فقتلها؛ فلا شيء عليه؛ إلاّ أن يطول فعله، أو يستدبر القبلة؛ فإنه يقطع.

ـ ومن شك: هل هو في الوتر، أو في ثانية الشفع؛ جعلها ثانية الشفع وسجد بعد السلام، ثم أوتر.

ـ ومن تكلم بين الشفع والوتر ساهياً؛ فلا شيء عليه، وإن كان عامداً؛ كره ولا شيء عليه.

ـ والمسبوق إن أدرك مع الإمام أقل من ركعة؛ فلا يسجد معه لا قبلياً ولا بعدياً؛ فإن سجد معه بطلت صلاته، وإن أدرك ركعة كاملة، أو أكثر سجد معه القبلي، وأخر البعدي حتى يتم صلاته؛ فيسجد بعد سلامه، فإن سجد مع الإمام عامداً؛ بطلت صلاته، وإن كان ساهياً سجد بعد السلام.

ـ وإن سها المسبوق بعد سلام الإمام؛ فهو كالمصلي وحده.

ـ وإذا ترتب على المسبوق بعدي من جهة إمامه، وقبلي من جهة نفسه؛ أجزأه القبلي.

ـ ومن نسي الركوع وتذكره في السجود؛ رجع قائماً، ويستحب له أن يعيد شيئاً من القراءة، ثم يركع ويسجد بعد السلام.

ـ ومن نسي سجدة واحدة وتذكرها بعد قيامه؛ رجع جالساً، وسجدها؛ إلاّ أن يكون قد جلس قبل القيام؛ فلا يعيد الجلوس.

ـ ومن نسي سجدتين؛ خر ساجداً؛ ولم يجلس، ويسجد في جميع ذلك بعد السلام.

ـ وإن تذكر السجود ـ بعد رفع رأسه من الركعة التي تليها ـ تمادى على صلاته، ولم يرجع، وألغى ركعة السهو، وزاد ركعة في موضعها بانياً، وسجد قبل السلام.

ـ إن كانت من الأوليين، وتذكر بعد عقد الثالثة، وبعد السلام؛ إن لم تكن من الأوليين، أو كانت منهما وتذكر قبل عقد الثالثة؛ لأن السورة والجلوس لم يفوتا.

ـ ومن سلم شاكاً في كمال صلاته؛ بطلت صلاته.

ـ والسهو في صلاة القضاء كالسهو في صلاة الأداء.

ـ والسهو في النافلة كالسهو في الفريضة؛ إلاّ في ست مسائل: **الفاتحة، والسورة، والسر، والجهر، وزيادة ركعة، ونسيان بعض الأركان إن طال.**

ـ فمن نسي الفاتحة في النافلة وتذكر بعد الركوع تمادى وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يلغي تلك الركعة، ويزيد أخرى، ويتمادى، ويكون سجوده ـ كما ذكرنا ـ في تارك السجود.

ـ ومن نسي السورة، أو الجهر، أو السر في النافلة وتذكر بعد الركوع؛ تمادى ولا سجود عليه؛ بخلاف الفريضة.

ـ ومن قام إلى ثالثة في النافلة؛ فإن تذكر قبل عقد الركوع؛ رجع وسجد بعد السلام، وإن عقد الثالثة تمادى وزاد الرابعة وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يرجع متى ما ذكر، ويسجد بعد السلام.

ـ ومن نسي ركناً من النافلة ـ كالركوع أو السجود ـ ولم يتذكر حتى سلم وطال فلا إعادة عليه؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يعيدها أبداً.

ـ ومن قطع النافلة عامداً، أو ترك منها ركعة، أو سجدة عامداً؛ أعادها أبداً.

ـ ومن تنهد في صلاته فلا شيء عليه؛ إلاّ أن ينطق بحروف.

ـ وإذا زاد الإمام سجدة ثالثة؛ فسبح به، ولا تسجد معه.

ـ وإذا قام الإمام إلى خامسة؛ تبعه من تيقن موجبها، أو شك فيه، وجلس من تيقن زيادتها؛ فإن جلس الأول وقام الثاني بطلت صلاته.

ـ وإذا سلم الإمام قبل كمال الصلاة سبح به من خلفه؛ فإن صدقه كمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره سأل عدلين، وجاز لهما الكلام في ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على يقينه وترك العدلين؛ إلاّ أن يكثر الناس خلفه، فيترك يقينه ويرجع إليهم.

*****

رابعاً ــ منظومة القدسية:

وهي أرجوزة طويلة؛ يقول بعضهم: أنها **"أرجوزة في طبيعة النفس"** نظمها **الأخضري** سنة 944هـ/1537م؛ وعدد أبياتها 357 بيتاً؛[1] بينما يرى آخرون[2] أن أبياتها 346 بيتاً؛ وتعتني **"بآداب السلوك"**. أما المنظومة التي أملك نسخة منها؛ فأبياتها 345 بيتاً لا غير؛ وقد تفضل صديقي وأخي الشاعر الكبير **أبو القاسم خمار** بإعطائي نسخة منها؛ فله مني جزيل الشكر والامتنان. كما أمدتني ابنتي **دبابش اعتدال** ــ بعد إكمال هذه الدراسة ــ بنسخة مخطوطة من شرحٍ لقدسية **الأخضري**؛ أنجز الشرح الشيخ **الحسين بن أحمد زروق بن مصباح**[3]؛ ولكن شرحه لم يكتمل إلى نهاية القصيدة.

وقد شاعت أرجوزة **القدسية** وذاع صيتها بين طلاب العلم والمتصوفة؛ حتى غدت تدرس في معظم المعاهد والزوايا آنئذ؛ ووصل الحد ببعضهم إلى حفظها واستظهارها عن ظهر قلب. وهذه الأرجوزة تعالج موضوع التصوف والوعظ والإرشاد الديني والأخلاقي.

---

[1] **يعتقد الدكتور سعد الله أنها هي نفسها المنظومة التي توجد في مكتبة ميونخ بألمانيا؛ ضمن مجموعة رقم: 929 ، وبالمتحف البريطاني. تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 509، التعليق: 74.**

[2] **تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 80.**

[3] **يبدو أنه هو الذي أشار إليه الحسين الورثلاني في رحلته؛ وعده ضمن علماء زواوة.**

وقد تناولت ــ كما يقال بالفعل ــ آداب السلوك.. سلوك أهل التصوف والمهتمين بشئون الدين؛ إذ تركز ــ خاصة ــ على نقد وفضح المتصوفة الزائفين، والمشعوذين الكاذبين، وأهل البدع الدجالين، المندسين في صفوف المتدينين. كما توجه النصح للمريدين وطلاب العلم لكي يلتزموا بالسلوك السوي في عبادتهم ومعاملتهم.

وقد حظيت هذه المنظومة بشهرة واسعة، ووجدت عناية خاصة من قبل بعض العلماء؛ إذ يبدو أنها طبعت في القاهرة سنة 1348هـ/1929م. كما اهتم بعضهم بشرحها؛ بغرض تقريب فكرتها وتبسيطها للقراء. ومن أهم الشروح التي ورد ذكرها ــ حتى الآن ــ **لمنظومة القدسية**؛ هو شرح **الحسين الورتلاني** صاحب الرحلة (1125/ 1713م ــ 1193هـ/1778م) الذي سماه **"الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"**. ثم قام ــ بعد ذلك ــ **الشيخ المولود بن محمد الزريبي الأزهري** المتوفي سنة 1343هـ/1925م؛ بإنجاز شرح **للقدسية**؛ ولكنه لم يطبع إلى الآن. وقال عنه **الشيخ الجيلالي** أنه **"شرح نفيس"**. كما ظهر أن **الزاوية العثمانية بطولقة** تملك شرحاً **للقدسية** لم يعرف من

قبل؛ قام به **الشيخ الحسين بن أحمد زروق بن مصباح** المذكور. كما أمدني الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ بنسخة من مخطوط **شرح قدسية الأخضري** كاملة؛ بشرح الشيخ **الحسين الورثلاني**؛ مسجلة على قرص مضغوط. وكلا الشرحين: شرح **ابن مصباح**، وشرح **الورثلاني** مصدرهما من **الزاوية العثمانية بطولقة**.

المهم؛ أن **منظومة القدسية للأخضري** وجدت اهتماماً ملحوظاً من قبل المشرفين على المعاهد العلمية بالبلدان المغربية على الخصوص؛ حيث تقرر تدريسها ضمن معظم المدارس والزوايا في **المغرب الأقصى والجزائر وتونس**. وقبل الحديث عن محتوى هذه الأرجوزة نحاول التعرف على عنوانها؛ ولماذا سميت بالمنظومة **"القدسية"**؟

الواضح ـ هنا ـ أن كلمات **"قدس وقداسة وقدسية وتقديس"**؛ تعني في مجملها: **الطهارة والنزاهة**؛ فنقول: **مطهر ومنزه**؛ ونعني به **التقديس الإلهي**. وهذه العبارات كلها استعملت كثيراً في كتابات وأقوال المنتسبين للصوفية. ويمكن التأكد من هذا بتتبع مؤلفاتهم؛ مثل: ما كتبه **الإمام الغزالي**؛ عندما عنون فصلاً في الجزء الأول من كتابه **إحياء علوم**

الدين؛ يعالج قواعد العقائد؛ بـ **"القدس"**. كما كتب **الشيخ الشعراني**[1] كتاباً سماه **لواقح الأنوار القدسية.** وألف السيد **عبد الله الميرغني**[2] كتاباً بعنوان **الأنفاس القدسية.** وهذا كبير شعراء المتصوفة في الأندلس وبلاد المغرب **"علي بن عبد الله الششتري"** كتب كتاباً سماه **"الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة"**[3] كما كتب الشيخ **علوان الحموي** كتاباً سماه **"النفحات القدسية في شرح أبيات للششتري"**[4] وقام **أحمد الزروق الفاسي** بتصنيف كتاب **يشرح العقيدة القدسية** للإمام الغزالي. **وأحمد الزروق** ــ كما هو معروف ــ من الصوفية المصلحين؛ وقد تأثر به **الأخضري**؛ الذي نوه به في **"منظومة القدسية"** ودعا القراء إلى إتباع نهجه وقراءة كتابه. كما أن **الزروق** يعد من بين أساتذة والد **الأخضري**؛ لذا فقد استشهد به في ختام منظومته بقوله:

---

[1] وهو أبو المواهب عبد الوهاب؛ فقيه وصوفي شهير؛ ولد بقلشندة وتوفي بالقاهرة سنة 973 هـ/1565م. من مؤلفاته أيضاً: "الجواهر والدرر الكبرى".

[2] وهو عبد الله المحجوب الميرغني؛ فقيه حنفي وصوفي؛ ولد بمكة المكرمة وتوفي بالطائف سنة 1193 هـ/1779م. من مؤلفاته أيضاً: "الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين"، و"المعجم الوجيز"، و"ديوان العقد المنظم على حروف المعجم"، و"الرسائل الميرغنية"، وغيره.

[3] ديوان الششتري، ص: 14.

[4] ما زال مخطوطاً بمكتبة السيد أحمد الصديق بطنجة، ديوان أبي الحسن الششتري، ص: 69.

وَمَـــنْ يُـــرِدْ مَعْرِفَـــةً بِالْبِـــدَعِ
وَمَا يُبْـــنَى عَلَيْهِ أَصْـــلُ الْمُـــدَّعِي
فَفِي كِتَـــابِ شَيْخِنَـــا الـــزَّرُّوقِ
عَجَائِـــبٌ فَائِقَـــةَ الرُّتُـــوقِي[1]

ونظـــراً لأهميـــة منظومــــة الأخضــــري المسمــــاة بــــ "القدسيـــة" ومـــا لهـــا مـــن فائـــدة، ورغبـــة منـــا في تقريـــب القـــارئ مـــن الصـــورة الواضحـــة لهـــذه الأرجـــوزة الصوفيـــة، الأخلاقيـــة؛ فقـــد تبيـــن مـــدى ضـــرورة شرحهـــا كاملـــة بمـــا تيســـر؛ مراعـــاة لضيـــق المجـــال؛ ومحدوديـــة الزمـــن. وعليـــه؛ نبتـــدئ بمـــا ابتـــدأ بـــه **الأخضـــري** في منظومتـــه؛ وهـــي الأبيـــات التاليـــة الـــتي استهـــل بهـــا الموضـــوع:

1 ـــ يَقُـــولُ رَاجِي رَحْمَـــةِ الْمُقْتَـــدِرِ
الْمُذْنِـــبُ الْعَبْـــدُ الذَّلِيـــلُ الأخْضَـــرِي
2 ـــ بِحَمْـــدِ رَبِّ الْعَالَمِيـــنَ أَبْتَـــدِي
ثُـــمَّ صَلاَتِـــهِ عَـــلَى مُحَمَّـــدِ

(1، 2) ـــ يستهـــل **الأخضـــري "منظومـــة القدسيـــة"** بالبيـــت الأول الـــذي يعلـــن فيـــه أنـــه طامـــع في رحمـــة **"المقتـــدر"**؛ وهـــو اللـــه سبحانـــه وتعـــالى؛ لأن **"المقتـــدر"** اســـم

[1] **الرتـــوق: المنعـــة والعـــز والشـــرف.**

من أسماء الله الحسنى.[1] وفي البيت الثاني يعلن بدء عمله بحمد رب العالمين ثم بالصلاة على رسوله **محمد** صلى الله عليه وسلم.

3 ــ يَا طَالِباً عَلَى كَمَالِ قُدْسِهِ[2]
وَقَاصِداً إِلَى عِلاَجِ نَفْسِهِ[3]

(3) ــ في هذا البيت يستعمل الناظم أسلوب النداء الموجه إلى من سعى في درب كمال طهارته ونزاهته، وعمل في سبيل تحقيق أسباب علاج نفسه. فيقول:

---

[1] المقصد الأسنى، ص: 127.

[2] نقول: كَمَلَ الشَّيْءُ كُمُولاً: تمت أجزاؤه أو صفاته... كَمُلَ الشَّيْءُ كَمَالاً: ثبتت فيه صفات الكمال. أكْمَلَ الشَّيْءَ: أتمه. وجاء في القرآن الكريم: ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)). سورة المائدة، من الآية: 3. ونقول: قَدُسَ قُدْساً: طَهُرَ. وقدس لله تقديساً: طهر نفسه له. وصلى له. وعظمه وكبره، وفي التنزيل العزيز: "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"، سورة البقرة، من الآية: 30. راجع كلمتي: "كمال وقدس" في المعاجم. والناظم يقصد بقوله: "كمال قدسه": تمام طهارته. وقد استعمل المتصوفة هاتين الكلمتين كثيراً ضمن مصطلحاتهم الصوفية والفلسفية على السواء. فكلمة الكمال مثلاً تعني ((الحال الكامل؛ ويطلق على ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته. فالذي يكمل به النوع في ذاته يسمى بالكمال الأول؛ لتقدمه على النوع. والذي يكمل به في صفاته يسمى بالكمال الثاني؛ وهو يشمل العوارض التي تلحق بالشيء بعد تقدمه كالعلم وسائر الفضائل. ومعنى ذلك أن الكمال الأول تتوقف عليه الذات؛ على حين أن الكمال الثاني يتوقف على الذات)). المعجم الفلسفي، ج: 2، ص: 243. وفي هذه الحال يكون الكمال الذي يطلبه الناظم هو الكمال الثاني؛ الذي يكمل به في صفاته.

[3] النفس هي الروح حسب أشهر الأقوال؛ ولكن بعض الفلاسفة يفرقون بينهما؛ إذ يرون "أن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية، وأن مفهومها أغنى من مفهوم الروح، وأن مجالها أوسع من مجال الشعور... أن الروح جسم والنفس غير جسم، وأن الروح يحوى في البدن وأن النفس لا يحويها البدن..." أنظر المعجم الفلسفي، ج: 2، ص ص: 481 ــ 483. أما ابن خلدون فيقول أن الله خلق الإنسان من جثمان وهيكل محسوس، ومن لطيفة ربانية عبر عنها الشرع بألفاظ مختلفة؛ مثل: الروح أحياناً، والنفس أحياناً أخرى، أو العقل تارة، والقلب تارة أخرى. وبهذا تكون هذه العبارات ترمي لمعنى واحد في الشرع. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 80.

يـا راغبـاً في الطهـارة التامـة والنقـاء مـن الشوائـب والأدران الدنيويـة، ويـا مـن فضـل الاتجـاه نحـو تطبيـب نفسـه المريضـة ومداواتها مـن الآفـات والمهالـك.

4 ـ اعْلَمْ بِأنَّ الْجَوْهَرَ الإنْسَانِي
هُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ الرُّوحَانِي[1]

5 ـ مَنْشَأُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ
وَمُودَعٌ فِي القَالَبِ الْجِسْمِيِّ

6 ـ لأَنَّهُ فِي الأصْلِ مِنْ جِنْسِ المَلَكْ
فَصَارَ مَرْكُوزاً فِي عَالَمِ الْحَلَكْ

(من 4 إلى 6) ـ يتشكل الإنسان من **"جثمان"** وهو هيكل ظاهر ومحسوس يسمى الجسد، ومن **"جوهر"**؛ وهو حقيقة الإنسان، ومصدر النفع فيه. والجوهر ـ هنا ـ هي الروح؛ تلك اللطيفة الربانية التي أودعها الله في الجسم؛ لحفظه وتحقيق منفعته. ومنشأ تلك اللطيفة ـ التي هي الروح ـ هو العالم العلوي؛ حيث وضعت بأمر إلهي في الجسم؛ الذي هو بمثابة القالب؛ ويختلف **"الجثمان"** عن **الجوهر** في كونه مجرد **عرض.** وهذه اللطيفة الربانية؛ أي **الروح** ـ التي أودعت في القالب الإنساني وهو **"الجثمان"** ـ

[1] الجوهر جمع لجوهرة؛ وهو حقيقة الشيء وذاته؛ إذ يستخرج منه ما يستنفع به. والجوهر لدى الفلاسفة كل ما قام بنفسه؛ ويقابله العرض الذي يقوم بغيره.

هي عبارة عن **جوهر نوراني** من جنس ملائكي؛ ركزت بأمر الله في عالم مظلم وهو الجثمان الأرضي الترابي.

7 ــ فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ نَفْسِيَّهْ
فِي الأَصْلِ فِي الدَّائِرَةِ القُدْسِيَّهْ

8 ــ دَائِرَةَ التَّطْهِيرِ وَالْكَمَالِ
وَعَاقَهَا عَنْ ذَاكَ الاتِّصَالِ

(7، 8) ــ يصف **الأخضري** منظومته بأوصاف فيها طهارة وقدسية؛ إذ يقول عنها أنها جوهرة نفسية؛ أي مستمدة من الجوهر النفسي الروحاني؛ وتستمد أصولها من دائرة قدسية وطاهرة. وتلك الدائرة هي دائرة التطهير والنزاهة والكمال؛ ولا يعيق تمامها وكمالها إلا الاتصال أو المواصلة؛ وهي المعرفة والمشاهدة.

9 ــ شَيْئَانِ مِنْهُمَا حِجَابٌ[1] ظَاهِر
وَبَاطِنٌ فِي النَّفْسِ أيّ سَاتِر

10 ــ فَالظَّاهِرُ الْعَوَائِدُ الْجِسْمِيَّهْ
وَالْبَاطِنُ الْعَلاَئِقُ النَّفْسِيَّهْ

[1] الحجاب جمع حجب: هو الساتر؛ نقول: حجب الشيء أي ستره. وقد استعمل المتصوفة هذه الكلمة للتعبير عن الحال التي يرفع فيها الحجاب عما هو غامض ومخفي في الوجود.

11 ـ مِنْ شَهْوَةٍ رِئَاسَةٍ وَدَعْوَى

وَنَزْغَةِ الشَّيْطَانِ وَهْيَ البَلْوَى

12 ـ فَأَوَّلٌ يُدْعَى حِجَاب الحِسِّ

وَالثَّانِي يُدْعَى بحِجَابِ النَّفْسِ

13 ـ فَمَنْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُكَبْكِبَا[1]

عَلَى هَوَاهَا لَمْ يَزَلْ مُحْتَجِبَا

(من 9 إلى 13) ـ يتكون الإنسان من **جوهر وعرض**؛ أي جسم ونفس أو روح. وهو مركب من غرائز بالفطرة، ومن سلوك مكتسب بالعادة والتعلم. وغرائزه ومكتسباته مخفية في عقله وباطنه؛ ولكن العوائد تظهر من خلال تصرفات الإنسان الحسية والنفسية؛ أي من خلال تحقيق رغباته وإشباع شهواته، وتلبية تطلعاته للرئاسة وانسياقه وراء كل دعوى تعزز مركزه الدنيوي. أما الغرائز فتنبثق من داخل الإنسان تلقائياً؛ وكلا الحالتين لهما حجاب خاص بهما؛ فالحجاب الأول الظاهر هو حجاب الحس، وله علاقة بالعوائد الجسمية. أما الحجاب الثاني الباطني؛ فمتعلق بالنفس ومسند إليها.

[1] **كَبْكَبَ الشَّيْءَ: قلبه بعضه على بعض، ورماه في الهُوَّةِ؛ يقول تعالى: ((فكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالغَاوُونَ)). سورة الشعراء، الآية: 94.**

لذا فمن يرمي بذاته في هوة شهوات النفس وهواها؛ سيبقى محجوباً؛ ولا يطمع في رفع حجاب المعرفة عن عينيه. فكلما ابتعدت الروح عن الحس الظاهر باتجاه الباطن لحق بأحوال الحس ضعف ووهن؛ وبالمقابل تقوى أحوال الروح، وتتغلب على الذات وما يحيط بها.

14 ــ إِذْ تُحْجَبُ المِرْآةُ بِالصَّدَاءِ[1]
عَلَى انْطِبَاعِ صُوَرِ الأَشْيَاءِ

15 ــ وَمَنْ أَجَادَ الصَّقْلَ بِالْمُجَاهَدَهْ
رَقَى مَقَامَ الكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَهْ[2]

16 ــ وَصَارَ فِي طَيِّ النُّفُوسِ بَادِيَا
جَمِيعُ مَا كَانَ لَهَا مُحَاذِيَا

17 ــ وَظَهَرَتْ خَوَارِقُ العَادَاتِ[3]
عَلَيْهِ مِنْ صَقَالَةِ الْمِرْآةِ

---

[1] الصدأ: طبقة من الأكسيد تعلوا الحديد وغيره من المعادن، وقد استعمل الناظم كلمة: صداء للضرورة.

[2] نقول: صقله صقلاً: جَلاَه. ونقول: صقل السيف والمرآة: أزال ما عليهما من شوائب ولمعهما. أما المجاهدة فمعناها هنا الرياضة التي يتبعها المتصوفة بواسطة الذكر والتعبد والصيام في خلوتهم. أما الكشف عندهم فهو رفع حجاب القلب؛ ويقول فيه الجرجاني: ((الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 105. أما المشاهدة فهي المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار ملكوته وجلاء الحقيقة بدون شك. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 42، 108.

[3] خوارق العادات: كل ما خرج عن طبيعة العادات.

18 ــ وَعَادَتِ الْحَقِيقَةُ النَّفْسِيَّهْ
لأَصْلِهَا فِي الْحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ[1]
19 ــ وَطُهِّرَ القَلْبُ مِنَ الأدْغَالِ[2]
إذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الكَمَالِ

(من 14 إلى 19) ــ يستعمل المتصوفة مثال المرآة هذا للتعبير عما يكتنف النفس من أغشية وشوائب تمنع عنها النظارة والوضوح. ويصور الناظم ــ هنا ــ الوضع بقوله: أن المرآة عندما تعلوها غشاوة من الصدأ أو الغبار؛ لا تنطبع صورة من يقف أمامها. وإذا أزيل ما علق عليها؛ تبدو الصورة المنعكسة على المرآة جلية واضحة. وكلما ازداد صقل المرآة، وتكاثف تلميعها؛ ازدادت الصورة المنعكسة عليها جلاء ووضوحاً.

وهذا هو بالضبط ما قد يحدث للنفس البشرية؛ إذ تصقل ــ هي الأخرى ــ بواسطة العبادة والمجاهدة والترويض على الطاعة والأعمال الصالحة؛ حتى تتطهر

---

[1] يستعمل المتصوفة مصطلح الحضرة للتدليل على عدة معاني؛ من ذلك: جلال الحضرة، والحضرة العمائية، والحضرة الهبائية والحضرة الربوبية. يمكن التوسع في معرفة ذلك بالإطلاع على كتاب: شفاء السائل لتهذيب المسائل؛ لابن خلدون، ص ص: 40. 46. 51 ــ 52. وكتاب أصول مفردات التصوف الإسلامي؛ لماسينيون، ص ص: 23. 25. وكتاب الأربعين مرتبة؛ للشيخ عبد الكريم الجبلي، ص ص: 8. 10 . 18. 25. 71. 85. وكتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص: 106.

[2] الدَّغَلُ: هو الفساد؛ والذي يدغل في شيء: هو الذي يفسد فيه.

وتصفو وترقى للمقام السامي؛ أين يتمكن السالك في طريق الكشف من تحقيق ما تصبو إليه نفسه؛ من كشف الحجاب، وظهور الحقيقة المطلقة بين عينيه، ومشاهدة ما حجب عن غيره من الناس في دنياهم الفانية.

وبذلك يظهر ما تنطوي عليه النفس البشرية، ويتبدد ما يحيط بها من ركام وغموض؛ فتنجلي حقيقة ما يصبو إليه السالك في طريق التصوف. وهكذا؛ فبواسطة الصقل هذا والترويض المستمر؛ تعود الحقيقة النفسية لأصلها وطبيعتها التي خلقت فيها؛ أي ضمن الحضرة القدسية الطاهرة النقية. وبذلك يتطهر القلب ويتخلص من الشوائب والشرور والأدران والفساد. وهكذا يحل القلب في مرتبة أنقي وأطهر هي مرتبة الكمال؛ التي يتطلع إليها كل متعبد ورع، وكل تقي ومستقيم.

20 ــ لَكِــنَّ أنْــوَاعَ المُجَاهَــدَاتِ[1]
بِحَسَـــب المَقَـــامِ لِلسَّــــادَاتِ[2]
21 ــ تُقَــاءٌ وَاسْتِقَامَــةٌ وَكَشْــفُ[3]

---

[1] المجاهدات ثلاث درجات: مجاهدة التقوى والورع، ومجاهدة الاستقامة، ومجاهدة الكشف. وهي متفاوتة ومتلاحقة؛ يعرفها ابن خلدون بقوله: ((لما كان معنى المجاهدة ــ كما قررناه ــ اكتساب النفس للصفات المحمودة وتلونها بها صفة بعد صفة؛ ولها ترتيب في تعليم اكتسابها مخصوص بها)). ويعرفها ابن العربي بأنها: ((حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال)). أما الجرجاني فيقول عنها: ((في الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب من الشرع)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 41. 106.

[2] المقام لدى الصوفية هي الصفات التي تكون بالكسب والاختيار؛ مثل التوكل والصبر والرضى..إلخ. ويقول الجرجاني في المقام: ((عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 114.

[3] ــ 1 مجاهدة التقوى هي الوقوف عند حدود الله؛ ((لأن الباعث على هذه المجاهدة طلب النجاة؛ فكأنها اتقاء وتحرز؛ بالوقوف عند حدود الله عن عقوبته وحصولها في الظاهر؛ بالنزوع عن المخالفات، والتوبة عنها، وترك ما يُودي إليها؛ من: الجاه، والاستكثار من المال، وفضول العيش، والتعصب للمذاهب؛ وفي الباطن مراقبة أفعال القلب التي هي مصدر الأفعال ومبدؤها؛ أن يلمّ بمقارفة محضور، أو إهمال واجب... قال عليه الصلاة والسلام: "الحلال بين والحرام بين"... وقال ابن عمر: "حقيقة التقوى أن تدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس" وقال: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر". وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام". ــ 2 ومجاهدة الاستقامة هي الصفة الثانية من صفات المجاهدة؛ يقول فيها ابن خلدون: ((هي تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها؛ حتى تتهذب بذلك وتتحقق به؛ فَتَحْسُنُ أخلاقها وتصدر عنها أفعال الخير بسهولة وتصير لها آداب القرآن والنبوءة بالرياضة والتهذيب خلقاً جبلية؛ كأن النفس طبعت عليها. والباعث على هذه المجاهدة طلب الفوز بالدرجات العلى؛ درجات الذين أنعم الله عليهم؛ إذ الاستقامة طريق إليها. " قال تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الذينَ أنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ. [سورة الفاتحة، الآيتين:6 ــ 7.] وحصول هذه الاستقامة بعلاج خلق النفس. ومداواتُها بمضادة الشهوة، ومخالفة الهوى، ومقابلة كل خلق يجس من نفسه هواه. والميل إليه والاعتداد به؛ بارتكاب ضده الآخر؛ كمعالجة البخل بالسخاء، والكبرياء بالتواضع، والشره بالكف عن المشتهى، والغضب بالحلم)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 34 ــ 35. وحاول ابن خلدون توضيح مفهوم مجاهدة الاستقامة بعرض هذا المثال: ((ومثاله أن المرآة الصقيلة [المصقولة] إذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته؛ وإذا كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحاً. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الأحوال)). المقدمة، ج: 3، ص: 1202. ــ 3 أما مجاهدة الكشف والإطلاع يقول فيها ابن خلدون: ((ومجاهدة الكشف

وَذَاكَ مَا بِهِ القُلُوبُ تَصْفُو[1]

22 ــ فَأيُّ مَنْ شَدَّ لِلْحَزْمِ عُرَا

وَظَلَّ يَرْتَضِي النُّفُوسَ مُوثِرَا

23 ــ حَتَّى إذَا صَحَتْ سَمَاءُ القُدْسِ

بطَرْدِ مَرْكُومِ سَحَابِ النَّفْسِ[2]

24 ــ حِينَئِذٍ تَبْدُو شُمُوسُ الغَيْبِ

مُشْرِقَةً بِعَرَصَاتِ القَلْبِ[3]

والإطلاع؛ وهي إخماد القوى البشرية كلها؛ حتى الأفكار؛ متوجهاً بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية؛ طالباً رفع الحجاب؛ ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا؛ ليكون ذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته الأخرى التي هي غاية مراتب السعادة)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 43 ــ 44. ويقول أيضاً: ((وأما الكلام عن الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات؛ فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني؛ وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه. واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه... فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك؛ ونتركه فيما تركناه من المتشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكْرِمْ به سعادة. وأما الألفاظ الموهمة؛ التي يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع؛ فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم؛ حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب... وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة ــ الذين أشرنا إليهم من قبل ــ لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك؛ إنما همهم الإتباع والإقتداء ما استطاعوا. ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه، ولم يحفل به؛ بل يفرون منه، ويرون أنه من العوائق والمحن)). المقدمة، ج: 3، ص ص: 1213 ــ 1214.

[1] تصفو: أي يزول عنها الكدر. ((اعلم أن هذه اللطيفة الربانية التي فينا [وهي النفس أو القلب] إذا حصل لها بالتصفية والمجاهدة العلم الإلهامي ــ كما قدمناه ــ ويسمى كشفاً وإطلاعاً؛ فهو ذو مراتب تختلف وتتفاوت بتفاوت الصَّفا والتخلص من الكدرات؛ فمبداها المحاضرة وهي آخر مراتب الحجاب، وأول مراتب الكشف)). شفاء السالك لتهذيب المسائل، ص: 30.

[2] سماء القدس هنا هي: السماء الطاهرة النقية. الركام: ما اجتمع من السحاب وتراكم بعضه فوق بعض.

[3] _المقصود من الشطر الأول: أن تتجلى أنوار الغيب وينكشف الحجاب. والمقصود بعرصات القلب: دعائمه وحناياه وخفقاته وبريق أنواره.

25 ـ وَانْطَبَعَتْ فِي وَسَطِ الْمِرْآةِ
صُوَرُ الأمُورِ المَلَكُوتِيَّاتِ[1]
26 ـ وَزُخْرِفَتْ حَدَائِقُ القُلُوبِ
بِثَمَرَاتِ الكَشْفِ وَالغُيُوبِ
27 ـ وَوَابِلُ الأسْرارِ[2] بِالْقَلْبِ انْسَجَمْ
وَانْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْحِكَمْ

(من 20 إلى 27) ـ للمجاهدات صفات وأشكال مختلفة؛ أولها: مجاهدة التقوى وهي مراعاة الأدب مع الله، والالتزام بحدود الله في الظاهر والباطن. ومجاهدة التقوى هذه هي التي تعرف بالتصوف لدى السلف الأول. ثم تليها مجاهدة الاستقامة؛ التي تلزم النفس إتباع الصراط المستقيم. ثم مجاهدة الكشف التي تخبو فيها قوى النفس، ويتعطل فيها النشاط الفكري تماماً؛ ولا يبقى لدى السالك في هذا النهج سوى وجدانه وقوة الروح المتنامية فيه.

وأنواع المجاهدات هذه تصنف حسب الصفات المكتسبة؛ أي المقام الذي يكون عليه السادة المتصوفة؛ من: **تقوى، أو استقامة، أو كشف**. وكل تلك

[1] الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب؛ يقول تعالى: ((أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)). سورة الأعراف، من الآية: **185**.

[2] السر؛ اصطلاح يطلق على القلب إذا كان محل أنوار المشاهدة والمعرفة.

المقامات تصفو بها القلوب من الكدر والقذى. لذا فإن عملية الزهد وضبط النفس وكبح شهواتها؛ بالتضييق عليها بواسطة الرياضة والمجاهدة؛ ستساعد كلها على صفاء الأجواء، وجلاء سماء الطهارة والقدسية. كل ذلك يحدث بعد إزالة ما تراكم من كدر وسحب قاتمة كانت تغلف النفس.

عندئذ تنجلي أنوار المعرفة مشرقة ساطعة؛ تلك الأنوار التي كانت غائبة؛ فأشرقت بضيائها، وبَشَّرَتْ بنبضات القلب ونشاطه. وانطبعت ــ نتيجة لذلك ــ وظهرت في مرآة الحقيقة الصورة المنيرة لعالم الغيب المتعلق بالأرواح العجيبة والنفوس النقية؛ فتجلت واضحة جلية؛ وزخرفت القلوب بالألوان البهية الباعثة للبهجة والسعادة؛ وأثمرت الأعمال الصالحة والمجاهدات الصادقة بثمار الكشف عن حجاب الغيب؛ فانهالت على القلوب أنوار المشاهدة والمعرفة التي تعرف **"بالسر"**؛ فينتج عن انسجام القلب بالأسرار انبعاث ينابيع الحِكَم وتدفقها من القلب.

28 ــ وَاعْلَمْ بِأنَّ رُتْبَةَ الكَمَالِ
وَخَارِقُ العَادَاتِ فِي المِثَالِ

29 ــ مَطْوِيَّةٌ فِي النَّفْسِ طَيَّ الْحَبِّ فِي
أكْمَامِهِ ظُهُورُهَا مِنْهَا يَفِي

30 ــ مِنْ بَعْدِ إرْعَادِ الرُّعودِ السَّائِقَــهْ
ثُمَّ انْسِكَــابِ المُعْصِــرَاتِ[1] الرَّائِقَــهْ

(28، 29، 30) ــ وينبــه الناظــم القــارئ؛ إلى أن الرتبــة الــتي يتحقــق بهــا كمــال العمــل، وتمــام المجاهــدة؛ مطويــة في النفــس مثلمــا تطــوى حبــوب الــزرع والنبــات في قشرهــا وأكمامهــا؛ حيــث تتجــلى عــلى حقيقتهــا بــزوال تلــك القشــور والأكمــام؛ نتيجــة لهديــر الرعــود وبريــق ضوئهــا؛ تلــك الرعــود الجالبــة للسحــب المشبعــة بالأمطــار المنهمــرة الصافيــة.

31 ــ حَــتَّى إذَا شَرِبَــتِ الأشْجَــارُ
وَزَالَ عَــنْ أغْصَانِهَــا الغُبَــارُ

32 ــ وَلاَنَــتِ الأعْــرَافُ بارْتِوَائِهَــا
وَسَرَيَــانِ المَــاءِ فِي أرْجَائِهَــا

33 ــ وَاهْتَــزَّتْ الأغْصَــانُ بالرِّيَــاحِ
تَهَيَّــتِ الأثْمَــارُ[2] لِلِّقَــاحِ

34 ــ وَالقَصْدُ عِنْدَ القَــوْمِ بِالرُّعُــودِ
قَــدْح رُعــودِ الوَعْــدِ وَالوَعِيــدِ

[1] المُعْصِـرات: السحائـب تُعْتَصَـر بالمطـر.
[2] جمـع الثمـرة: ثمـار. وجمـع الجمـع: أثْمَـار وثُمُـر.

(من 31 إلى 34) ــ وقد رمز الناظم بصورة الرعود الهادرة وبريقها إلى وعد الله ووعيده، أما الأمطار المنسكبة فترمز لسيول الوعظ والإرشاد التي تهدف إلى إصلاح النفوس وتطهير القلوب. لذا فقد تخيل الناظم الوضع؛ بعد سقوط تلك الأمطار الصافية النقية؛ حيث يرى أن الأغصان قد لانت والأشجار انتعشت؛ بسبب ما لحقها من رعاية، وارتواء، وزوال الغبار والقذى عنها؛ فاهتزت الأغصان وتمايلت؛ بفعل الرياح التي هيأت الثمار للقاح.

35 ــ ثُمَّ انْسِكَاب مَطَرِ الوَعْظِ عَلَى
بَصِيرَةِ المَرْءِ لِكَيْ يَمْتَثِلاَ

36 ــ حَتَّى يَلِينَ قَلْبُهُ بِالفِكْرَةِ
وَيَنْتَفِي عَنْهُ غُبَارُ الغَفلَةِ

37 ــ وَاسْتُخْرِجَتْ ثِمَارُ غُصْنِ القَلْبِ
بِهَزِّهَا فَبَعْدَ هَذَا الخَطْبِ

38 ــ يَبْدُو لِقَاحُ العِلْمِ وَالأَعْمَالِ
بِقَدْرِ مَا لِلْقَلْبِ مِنْ كَمَالِ

(من 35 إلى 38) ــ وقد استعار الناظم هذه الصورة للتعبير عما يحدث للقلب من غفلة وتهاون؛ فيلين بالوعظ؛ كما تلين الأغصان بالرعود والأمطار، ويتطهر وتزول عنه الشوائب بالرياضة والمجاهدة؛ كما

تغتسل الأغصان بمياه الأمطار الصافية التي تزيل الغبار عنها. فيسهل عندئذ قطف ثمرات القلب؛ بعد هزه بالمجاهدة والرياضة. وهكذا يظهر لقاح العلم المفيد، والأعمال الصالحة، على قدر ما أضحى عليه القلب من كمال وتمام الحال.

39 ـ وَبَعْدَ مَا تَحَصَّلَ اللِّقَاحُ
فَهَبَّ فِي أَرْجَائِهَا الرِّيَاحُ

40 ـ وَظَهَرَ الأَزْهَارُ فِي لأَغْصَانِ
وَكَانَ الاِعْتِدَالُ فِي الزَّمَانِ

41 ـ وَجَالَتِ الرِّيَاحُ فِي الأَشْجَارِ
وَسَقَطَ الجُلُّ مِنَ الثِّمَارِ

42 ـ حِينَئِذِ تَنْعَقِدُ الأَزْهَارُ
وَزُخْرِفَتْ بِجُلِّهَا الثِّمَارُ

43 ـ كَذَاكَ مِنْ بَعْدِ لِقَاحِ العِلْمِ
وَالعَمَلِ الأَزْهَار عِنْدَ القَوْمِ

44 ـ وَهْوَ ظُهُورُ العِلْمِ وَالعِبَادَةِ
عَلَى الجَوَارِحِ مَعَ الزِّيَادَةِ

45 ـ لأَنَّ مَنْ صَحَّ لَهُ الإِخْلاَصُ
صَحَ لَهُ التَّحْصِيلُ وَالخَلاَصُ

46 ـ وَحِكَمٌ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ
وَطَاعَةٌ تَجْرِي عَلَى أَرْكَانِهِ

(من 39 إلى 46) ـــ لجأ الناظم إلى الاستعارة ووصف ما يلاقيه المتصوفة من أهل الرياضة والمجاهدة؛ فابتكر هذه الصورة التي تصف أعمال المتصوفة ومساعيهم بما يجري في الأعمال الزراعية؛ حين يتطلب الأمر من الفلاح القيام بتلقيح أشجاره؛ لكي يجني ثماراً صالحة.

فيقول الناظم أن الرياح تجري بين الأغصان؛ فتنقل اللقاح في الأرجاء كافة؛ الأمر الذي يساعد الأشجار على الإزهار؛ وذلك حينما يعتدل الطقس؛ ولكن الرياح تتسبب ــ أيضاً ــ في سقوط معظم الثمار؛ ولا يبقى منها سوى ما كان صالحاً ومتماسكاً. وهذا ينطبق ــ كذلك ــ على أهل العلم؛ إذ ينتج عن لقاح العلم إزهار العمل عندهم؛ فتظهر علامات العلم والعبادة على الجوارح؛ لأن المخلصين في أعمالهم هم الذين يجنون التحصيل، وينجون إلى عالم الخلاص. ومن اكتسب ذلك؛ يرزق بالحكمة التي ينطق بها لسانه، والطاعة التي تجري على أركانه.

47 ــ وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَى الأَعْمَالِ
رِيحُ الرِّيَا المُوبِقِ[1] لِلرِّجَالِ

48 ــ فَتحْبِطُ الجُلَّ مِنَ الطَّاعَاتِ
وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ الآفَاتِ

[1] الموبق هو الحاجز بين شيئين.

49 ــ فَالعَالِمُــونَ فِي الــوَرَى كَثِيــرُ
وَالثَّابِتُــــونَ عَمَـــــلاً يَسِيــــرُ
50 ــ وَالعَقْــدُ لِلأعْمَالِ فِي الطَّرِيقَــهْ
ثُبُوتُهَـــــا بِالْحَـــالِ وَالْحَقِيقَـــهْ

(مــن 47 إلى 50) ــ وقــد تتعــرض الأعمــال الصالحــة لموجــة مــن الريــاء والتظاهــر أمــام النــاس بتلــك الأعمــال؛ فتتعطــل فوائدهــا المرجــوة، وتتعثــر جــل المقاصــد مــن الطاعــات؛ وهــذه هي الآفــة الكبــرى. وهكــذا؛ فــإن العامليــن والمتدينيــن كثيــرون؛ غيــر أن الذيــن يثبتــون في أعمالهــم ويتمسكــون بدينهــم قليلــون. لــذا فــإن العبــرة تكمــن في ثبــوت أهــل الطريقــة والتزامهــم بالأعمــال الصالحــة؛ تلــك الأعمــال الــتي تثبتهــم في وضــع تســود فيــه الحقيقــة.

51 ــ فَرُبَّمَــا هَبَّــتْ رِيَاحُ العُجْــبِ
وَنَحْــوِهِ فِي عَرَصَـــاتِ القَلْـــبِ
52 ــ فَأسْقَطَــتْ مِنْ ذَلِــكَ الْكَثِيــرَا
وَتَرَكَـــتْ مِنْــهُ زُهًى[1] يَسِيــرَا
53 ــ إلاَّ قَلِيــلاً مِــنْ عِبَــادِ اللَّــهِ
تَمَسَّكُـــوا فِيهَــا بِحَبْــلِ اللَّــهِ

[1] زهى يسيــر: أي قــدر يسيــر. إذ يقــال: كانــوا زهــاء ألــف.

54 ـ لأَنَّهُــمْ أهْــلُ شُهُــودٍ مِنَّــا
وَالطَّاعِــنُ القَاطِـــعُ بِالأسِّنَّـــا

(مــن 51 إلى 54) ـ وقــد تهـــب ريـــاح العُجْـــب والكِبَــر في حنايــا القلــب فيضطـــرب؛ عندئـــذ تتساقـــط أعمـــال صالحـــة كثيـــرة وتتـــلاشى وتضمحـــل، ولا يبـــقى منهـــا ســـوى الشـــيء اليسيـــر؛ بعـــد هبـــوب الريـــاح القويـــة. ومـــع هـــذا؛ فـــلا سبيـــل إلى نكـــران مـــا كـــان عليـــه بعـــض عبـــاد اللـــه الأتقيـــاء؛ الذيـــن تمسكـــوا بحبـــل اللـــه؛ فنجـــوا وكانـــوا بيننـــا شهـــوداً طاهريـــن. وكانـــوا ثابتيـــن في مواقفهـــم، قاطعيـــن في أحكامهـــم؛ مثـــل السيـــوف الحـــادة والأسنـــة المدببـــة.

55 ـ وَبَعْــدَ أنْ ثبــت[1] ذَا المِقْــدَارْ
فَــفِي الصَّـــلاَحِ يَأخُـــذُ الثِّمَــارْ
56 ـ فَإنْ جَنَاهَــا رَبُّهَــا بالشُّهْــرَهْ
لَــنْ يَكْمُــلَ الطِّيــبُ لِتِلْــكَ الثَّمْــرَهْ
57 ـ وَحَيْثُ بالْخُمُــولِ قَدْ أخْفَاهَــا
فَبَلَغَــتْ فِي الطِّيـــبِ مُنْتَهَاهَـــا
58 ـ تَمَّتْ وَمِنْ بَعْدِ كَمَــالِ الطِّيــبِ
إنْ صَانَهَــا بِالْحِـــظِ وَالتَّزْرِيــبِ[1]

[1] الكلمـــة هنـــا غيـــر واضحـــة؛ ولـــكي يستقيـــم الـــوزن والمعـــنى يمكـــن وضـــع كلمـــة "انبـــت" بـــدلا مـــن "ثبـــت"

59 ــ بِتَــرْكِ الاغْتِــرَارِ وَالأَمَــانِي

وَرَفْــعِ سُــــورٍ مُحْكَـــمِ الْبُنْيَــــانِ

60 ــ تَزَخْرَفَــتْ وَحَسُنَــتْ لِلــزَّادِ

وَنَـــالَ مِنْهَــا غَايَـــةَ الْمُـــرَادِ

61 ــ وَإِنْ يَكُــنْ أَهْمَلَهَــا فَتَقْــرِبُ

ثِمَارُهَـــا كُــلَّ يَــدٍّ فَتَجْــــذِبُ

62 ــ وَآلَ كَــــدُّهُ إِلَى الضَّيَــاعْ

إِذْ مَــا لَــهُ فِيهَـــا مِــنِ انْتِفَـــاعْ

63 ــ وَهَــذِهِ طَرِيقَــةُ القُطَّــاعْ

مَــا جَــابَهَــا غَيْــرُ فَــتًى شُجَــاعْ

64 ــ مَا حَــلَّ مِنْهَا بِسَنَــام الطّــورِ

إلاَّ امْــــرُؤٌ مُؤَيَّـــــدٌ بِالنُّــــورِ

(مــن 55 إلى 64) ــ يعــود الناظــم إلى استعــارة المعــاني مــن محيطــه الفــلاحي؛ فيقــول إذا صلــح الثمــــار تحققـــت الاستفــادة منــه؛ علــى أن لا يجــنى قبــــل الأوان. والمقصــــود بالثمــار ــ هنــا ــ هي ثمــار الأعمـــال الصالحــــة؛ الـــتي تُحفــظ وتُخــفى بالخمـــول؛ إلى أن تصـــل في الطيـــب إلى حــدود المنتــهى. ويتحقــق الغــرض مــن ثمــــار العمـــل إذا اكتمــل طيبهــا، وتــم حفظهــا؛ برفــع ســور محكــم البنيــان.

---

[1] التزريــب: الحفــظ ببنــاء زريبــة حــول البستــان. والزريبــة في الأصــل هــي حضيـــرة المـــواشي أو عريــن الأســد.

وثمار العمل كثمار الأشجار؛ تتحسن وتتلون بزخارف وألوان زاهية؛ فتغدو صالحة للزاد وجاهزة لتحقيق المراد. فإذا أهملت تناولتها الأيدي وعبثت بها الطوارئ؛ يضيع كد العاملين ويخيب أملهم في الانتفاع بها. لذا لا يقدر على صيانة الثمار وحفظها سوى العاملين الصالحين المؤيدين بنور الحق والطهارة.

65 ـ وَاعْلَمْ بِأنَّ طُرُقَ التَّطْهِيرِ
كَثِيرَةٌ عِنْدَ ذَوِي التَّنْوِيرِ

66 ـ أقْرَبُهَا نَفعاً طَرِيقُ الذِّكْرِ
بِسُرْعَةٍ يُزِيلُ كُلَّ سِتْرِ

67 ـ لَكِنْ بِشَرْطِ الخَوْفِ وَالحُضُورِ[1]
مَعَ ادِّكَارِ[2] هَيْبَةِ المَذْكُورِ

68 ـ مَنْ تَكُ الغَفْلَةُ وَالأمَانْ
فِي ذِكْرِهِ حَجَبَهُ الشَّيْطَانْ

69 ـ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ
بِقَذْفِهِ وَسَاوِساً فِي قَلْبِهِ

70 ـ وَأحْدَقَتْ بِقَلْبِهِ غِشَاوَهْ
فَلَمْ يَذُقْ لِذِكْرِهِ حَلاَوَهْ

---

[1] الخوف: هو: ((من مواهب الله)) كما يقول ابن خلدون. وهو: ((توقع وقوع مكروه أو فوات محبوب)) كما يصفه الجرجاني. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 99. أما الحضور: فيقول فيه ابن العربي: ((حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق)). نفسه، ص: 98.

[2] ادّكر: ذكر. قال تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)). سورة القمر، الآية: 17.

71 ــ كَمْ بَـاذِلٍ قُـوَاهُ فِي الأذْكَـارِ
وَلَـمْ يَجِـدْ لِلذِّكْـرِ مِـنْ ثِمَـارِ
72 ــ وَذَاكَ مِنْ وَسَـاوِسِ الشَّيْطَـانِ
يَهِيـجُ بِالغَفْلَـةِ وَالأمَـانِ

(مـن 65 إلى 72) ــ يعالـج الناظـم في هـذه الأبيـات موضـوع الأذكـار؛ فيضـع لهـا شروطـاً منهـا: قولـه بـأن للتطيـر طرقـاً وأساليـب عديـدة عنـد أهـل التنويـر والصـلاح؛ وأهـم تلـك الطـرق وأقربها نفعـاً هي طريـق الذكـر؛ الـذي يزيـل بسرعـة كـل مـا استتـر وخـفي عـن البصيـرة. وثمـة شـروط للذكـر الصحيـح؛ منهـا: الخـوف مـن اللـه وإحـلال هيبتـه في القلـب، ثـم الحضـور؛ أي في صحـوة وتجـلي. لأن مـن استأمـن للغفلـة في ذكـره؛ تصـدى لـه الشيطـان وحجبـه عـن نـور الحـق، وحـال بينـه وبيـن ربـه؛ بواسطـة مـا يبـث في قلبـه مـن وسـاوس وأوهـام. وبذلـك تصيـب قلـب المبتـلي بالوسـواس غشـاوة حاجبـة؛ فتلـغي عنـه كـل حـلاوة وطـلاوة في الذكـر. وهـذا الأمـر واضـح؛ إذ ثمـة مـن بـذل كـل قـواه في الأذكـار دون أن يحصـل منهـا عـلى ثمـار طيبـة أو نتيجـة صالحـة. وكـل ذلـك بسبـب وسـاوس الشيطـان؛ الـذي ينشـط باستكانـة النـاس للغفلـة.

73 ــ فَعَالِــجِ الخَواطِــرِ الرَّدِيَّــهْ
بالدَّفْــعِ فَــهْيَ حُجُــبٌ قَوِيَّــهْ
74 ــ هَــلْ يَرْتَــقِي لِسُلَّــمِ الْمَعَــالِي
مَــنْ قَلْبُــهُ فِي عَالَــمِ الخَيَـــالِ
75 ــ لَنْ يَسْتَقِيــمَ القَلْــبُ لِلتَّوْجيــهِ
مَــا دَامَ هَــذَا الهَذَيَـــانُ فِيـــهِ
76 ــ كَيْفَ يَصِحُّ فَتْــحُ بَابِ القُــدْسِ
مَــا دَامَ فِي القَــلْبِ غَيَــارُ النَّفْــسِ
77 ــ مُــدَّةَ مَا لِيْــلُ الهَــوَىَ يَغْشَــاهْ
لَــنْ يَصِــلَ القَلْــبُ إلَى مَــوْلاَهْ
78 ــ حَــتَّى إذَا نَهَـــارُهُ تَجَــلَّى
بِفَتْــحِ بَــابِ المَلَكُـــوتِ الأعْــلَى

(مــن 73 إلى 78) ــ ينصــح الناظــم القــارئ بضـــرورة معالجـــة مـــا يتعـــرض لـــه مـــن خواطـــر رديئـــة وفاســـدة؛ وذلـــك بتركهـــا ودفعهـــا عنـــه؛ لأنهـــا عبـــارة عـــن حجـــب شديـــدة. ثـــم يتســـاءل: هـــل يمكـــن لمـــن يمتلـــك الخيـــال قلبـــه أن يرتـــقي في سلـــم المعـــالي؟ ثـــم يجيـــب بالنـــفي، ويقـــول: لـــن يستقيـــم القلـــب، ولا يقبـــل التوجيـــه مـــادام الهذيـــان يمتلكـــه ويحتويـــه. ثـــم يتســـاءل أيضـــاً: كيـــف يتســـنى فتـــح بـــاب الطهـــارة والقداســـة مـــا دام القلـــب

مضطـــرب بتغيـــرات النفـــس.؟ لأن القلـــب إذا احتـــواه ظــــــلام الهـــوى؛ لـــن يقتـــرب مـــن اللـــه.

79 ــ مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أنْ لاَ يَسْقُــطَ
بَعْــضُ حُــرُوفِ الاسْــمِ أوْ يُفْــرَطَ

80 ــ فِي الْبعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَــهْ
عَمْــداً فَتِلْــكَ بِدْعَـــــةٌ شَنِيعَــهْ

81 ــ وَالرَّقْصُ وَالصُّــرَاخُ وَالتَّصْفِيــقُ
عَمْــداً بذِكْــــرِ اللَّــهِ لاَ يَلِيــقُ

82 ــ وَإِنَّمَا الْمطْلُــوبُ فِي الأذْكَــارِ
الذِّكْــرُ بِالْخُشُــــوعِ وَالْوَقَــارِ

83 ــ وَغيْــرُ ذَا حَرَكَــة نَفْسِيَّـــــهْ
إلاَّ مَــعَ الغَلبَـــــــةِ القَوِيَّـــــهْ

84 ــ فَوَاجِــبٌ تَنْزِيــهُ ذِكْــرِ اللَّــهْ
عَــلَى اللَّبِيــــبِ الذَّاكِـــــرِ الأوَّاهْ

85 ــ عَنْ كُلِّ مَا تَفْعَلُهُ أهْــلُ البِــدَعْ
ويَقْتَــدِي بِفِعْــلِ أرْبَــــابِ الــــوَرَعْ

(مـــن 79 إلى 85) ــ في البيتيـــن الأوليـــن يشيـــر الناظـــم إلى الذيـــن يسقطـــون بعـــض الحـــروف مـــن اســـم اللـــه أثنـــاء أداء الذكـــر بسرعـــة ودون تـــرو؛ مثـــل إسقاطهـــــم حــــــرف الهـــاء بقولهـــم **"الْـــلّ"** عوضـــاً عـــن كلمـــة "اللـــه". ويـــــرى

بأن هذا الأمر يدخل في إطار البدعة الشنيعة. كما يرى في الأبيات التالية أن الرقص والصراخ والتصفيق أثناء الذكر لا يجوز ولا يليق؛ لأن الأذكار تتطلب من الذاكر الخشوع. وكل ما أخل بشرط الخشوع لا يعدو أن يكون سوى اضطراب نفسي يتغلب على الإنسان. وعليه فمن الواجب أن ننزه ذكر الله ونجله ونبتعد به عن كل الأفعال الصادرة عن أهل البدع، وبالمقابل نقتدي بما يفعله أصحاب الورع والتقوى.

86 ــ فَقَدْ رَأَيْنَا فِرْقَةً إذْ ذَكَرُوا
تَبَدَّعُوا وَرُبَّمَا قَدْ كَفَرُوا

87 ــ وَصَنَعُوا فِي الذِّكْرِ صُنْعاً مُنْكَرَا
طَبْعاً فَجَاهِدْهُمْ جِهَاداً أكْبَرَا

88 ــ خَلَوْا مِنْ اسْمِ اللَّهِ حَرْفَ الهَاءِ
وَأَلْحَدُوا فِي أعْظَمِ الأسْمَاءِ

89 ــ لَقَدْ أتَوْا وَاللَّهِ شَيْئاً إدًّا
تَخِرُّ مِنْهُ الشَّامِخَاتِ هَدًّا

90 ــ وَالألِفُ المَحْذُوفِ قَبْلَ الهَاءِ
قَدْ أسْقَطُوا وَهُوَ ذُو خَفَاءِ

91 ــ وَغَيْرُهُمْ إسْقَاطُهُ فِي الخَطِّ
فَكُلُّ مَنْ يَتْرُكُهُ فَمُخْطِ

92 ــ قَدْ غَيَّرُوا اسْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَــلاَ
وَزَعَمُــوا نَيْــلَ المَرَاتِــبِ العُــــلاَ

93 ــ تَغُرُّهُــمْ مَذَاقَــــةٌ طَبْعِيَّــهْ
سَبَبُهَــــا حَرَكَــــةٌ نَفْسِيَّـــــهْ

94 ــ فَزَعَمُــوا أنَّ لَهُــمْ أسْــرَارَا
وَأنَّ فِي قُلُوبِهِــــمْ أنْــــوَارَا

95 ــ وَزَعَمُــوا أنَّ لَهُــمْ أحْــوَالاَ
وَأنَّهُــمْ قَــدْ بَلَغُـــوا الكَمَـــالاَ

96 ــ وَالقَوْمُ لاَ يَدْرُونَ مَا الأحْــوَالْ
وَكَوْنَهَـــا لِمِثْلِهِــــمْ مُحَـــالْ

97 ــ حَاشَا بِسَاطَ القُدْسِ وَالكَمَــالْ
تَطَـــؤُهُ حَوَافِـــرُ الجُهَّـــالْ

(مــن 86 إلى 97) ــ يشيــر الناظــم في هــذه الأبيـــات إلى بعــض أهــل الذكــر مــن المبتدعــة؛ فيدعــوا إلى مجاهدتهــم ومكافحتهــم؛ إذ يعتقــد في احتمــال كفرهــم؛ لأنهــم اتبعـــوا المنكــر مــن الأفعــال؛ حيــن حذفــوا حــرف الهـــاء مـــن اسـم اللـه جـل وعـلى، ثـم تخلـوا عـن الألــف الـــتي تــأتي قبــل الهــاءِ أيضــاً؛ لأن هــذه الألــف لا يجــوز تركهـــا في النطــق أو في الخــط كذلــك؛ بحيــث تصبــح **"لــه"** بـــدلاً مــن **"اللـــه"**. وقــد زعــم هــؤلاء المبتدعــة أن لهــم أســـراراً

وأن قلوبهم مشحونة بأنوار المعرفة؛ كما زعموا أيضاً أن لهم أحوالاً؛ أي بعض الصفات والمواهب المبثوثة فيهم من الله سبحانه وتعالى؛ وبها تمكنوا من الوصول إلى درجة الكمال. بينما الواقع يقول غير ذلك؛ لأن هؤلاء القوم لا يدرون ماهية الأحوال في المصطلح الصوفي؛ إذ أنها لمثلهم محال؛ وحاشا بساط القدس والكمال الطاهر أن يُدَنَّس بحوافر الجاهلين من العباد المشابهين للحيوانات العجم.

98 ـ قَدِ ادَّعَوْا مِنَ الكَمَالِ مُنْتَهَى
يَكِلُّ عَنْ تَحْصِيلِهِ أولُوا النُّهَى

99 ـ وَالجَاهِلُونَ كَالْحَمِيرِ المُوكِفَهْ
وَالْعَارِفُونَ سَادَةٌ مُشَرَّفَهْ

100 ـ وَهَلْ يُرَى بِسَاحِلِ الأَنْوَارِ
مَنْ لَجَّ فِي بَحْرِ الظَّلاَمِ سَارِ

(من 98 إلى 100) ـ يقول لأولئك المبتدعة الذين ينسبون لأنفسهم مرتبة الكمال؛ التي يعجز عن الوصول إليها أصحاب العقول الراجحة: أن العباد الجاهلون مثل الحمير بحملها وعملها. أما العارفون فهم سادة وأشراف. ثم يتساءل: هل يمكن للذي تمادى في السير داخل بحار الظلام أن يرى ضمن سواحل الأنوار رؤية جلية؟.

101 ـ وَقَالَ بَعْضُ سَادَةِ الْمُتَّبَعَهْ
فِي رَجَزٍ يَهْجُوا بِهِ الْمُبْتَدِعَهْ

102 ـ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ بِالتَّغْيِيرِ
وَيَشْطَحُونَ الشَّطْحَ[1] كَالْحَمِيرِ

103 ـ وَيَنْبَحُونَ النَّبْحَ كَالْكِلاَبِ
مَذْهَبُهُمْ لَيْسَ عَلَى صَوَابِ

(من 101 إلى 103) ـ ذكر الناظم: أن بعض السادة العلماء المتبوعين قالوا رجزاً منظوماً هجوا فيه أهل البدع ممن أولعوا بالتغيير وانساقوا وراء الشطح في الأقوال والأفعال؛ برعونة كالحمير. كما تكالبوا بالنبح كالكلاب؛ معلنين عن مذهبهم المخالف الذي حاد عن الصواب.

104 ـ قُلْتُ وَشَاعَ أَمْرُ الاِشْتِبَاهِ[2]
فِي الْمُتَرَاسِلِينَ فِي اسْمِ اللَّهِ

105 ـ فَمَنْ يَكُنْ مُشْتَهِراً بِالذِّكْرِ
بِشَرْطِهِ عَنْ خَشْيَةٍ وَفِكْرِ

[1] يقول ابن خلدون في معنى الشطح عند المتصوفة: ((وإن صدر عن أحد منهم [أي المتصوفة] كلمة من ذلك [أي موضوع المكاشفة] على سبيل الندور سموه شطحاً؛ بمعنى أن حال الغيبة والسكر استولت عليه حتى تكلم بما ليس له الكلام به)). شفاء السالك لتهذيب المسالك، ص ص: 48 ـ 49. ويقول الجرجاني في الشطح أيضاً : ((كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين)). نفسه، ص: 112.

[2] نقول: اشتبه الأمر عليهم: أي اختلط. واشتبه في المسألة: شك في صحتها.

106 ــ جَرَى لِسَانُــهُ عَلَى الأذْكَــارِ
وَأمْطَــــرَتْ سَحَائِــــبُ الأنْــوَارِ

107 ــ حَتَّى إذَا امْتَزَجَــتِ الأذْكَــارُ
بِالقَلْــــبِ وَاسْتَنَــــارَتِ الأفْكَــارُ

108 ــ تَأنَّــسَ القَلْبُ بِذِكْــرِ اللَّــهِ
وَصَــارَ طُــولَ الدَّهْــرِ لَيْــسَ سَــاهِ

109 ــ حَتَّى إذَا اسْتَنَارَتِ السَّرِيــرَهْ
وَانْبَــثَّ مَعْــنَى الذِّكْــرِ فِي البَصِيــرَهْ

110 ــ وَانْغَرَسَتْ فِي وَسَطِ الجِنَــانِ
شَجَــــرَةٌ تَــــرُوقُ كُــلَّ جَــــانِ

111 ــ دَائِمَــةَ الظِّــلاَلِ وَالثِّمَــارِ
وَتَحْتَهَــــا جَــــدَاوِلُ الأنْهَــــارِ

(مــن 104 إلى 111) ــ فــفي هــذه الأبيــات يصــــف الناظــم الذيــن يلتزمــون بالذكــر الصحيــح فيقــــول: لَمَّــــا شــاع الاشتبــاه؛ باختــلاط الأمــر والشــك فيمــا يجـــري في الذكــر؛ مــن إرســال وإهمــال لاسـم اللــــه. لـــذا فــــإن الذيــن التزمــوا بالذكــر الصحيــح عـــن خشيــــة وتمعـــن؛ توصلــوا إلى تحقيــق سيولــــة في ألسنتهـــم؛ الـــتي جــرت بالذكــر فاستنــارت القلــوب بالأفكــار النيـــرة، وانهمـــرت السحـــب بالأنــوار الكاشفــة؛ فاستأنســت القلـــوب بذكـــر اللـــه، وصَحَــتْ مــن غفوتهــا طويــلاً. ومــن هنــا استنــارت

السريــرة ببــث المعــنى الصحيــح للذكــر في البصيــــرة. ثــــم يعــود الناظــم لمحيطــه الفــلاحي فيشبــــه العمــــل الصالــــح والذكــر الصحيــح بشجــرة مثمــــرة؛ حيـــــث يقـــول: أن الشجــرة الدائمــة الظــلال والثمــار؛ تعجــب كــل راغــب في قطــف ثمارهــا؛ تلــك الشجــرة الــتي انغرســـت في بستـــان بــه جــداول وأنهــار تجــري تحــت الشجــرة.

112 ــ وَانْقَطَعَتْ عَلاَئِــقُ الشَّيْطَــانِ
وَظَهَــــرَتْ بَصِيــــرَةُ الإِنْسَــــانِ

113 ــ وَنُقِشَـــتْ فِي قَلْبِــهِ عُلُــومْ
وَأَيَّـــدَتْ فِي سِــــرِّهِ فُهُــــومْ

114 ــ وَلاَنَ قَلْبُــهُ وَقَــدْ أصَابَــا
فِي القَلْــبِ نَحْــوَ المَلَكُــوتِ بَابَــا

115 ــ فَأَيْنَ مَنْ أَلْقَى نِعَــالَ النَّفْــسِ
إذَ حَــلَّ فِي شَــاطِئِ وَادِ القُــدْسِ

116 ــ وَآنسَ النُّــورَ بِذَاكَ الــوَادِي
يَفُــــوزُ مِــنْ شَجَــرَةِ المُنَــــادِي

117 ــ إنَّكَ بالْوَادِ الْمُقَــدَّسِ طُــوَى
فَيَكْتَــسِي مِــنْ حُلَــلِ النُّــورِ قُــوَى

118 ــ وَرُبَّمَــا يُجْــرِى بِهِ سَحَابَــا
يَفِيــــضُ فِي أرْجَائِــــهِ شَرَابَــــا

119 ــ فَيَمْتَــلِئُ الصَّــبُّ مِنْهُ شُرْبَــا
فَيَسْتَزِيــــدُ طَرَبــــاً وَحُبَّــــا

(من 112 إلى 119) ــ فإذا التزم الناس بالذكر الصحيح وقاموا بصالح الأعمال؛ انقطعت كل علاقة مع الشيطان؛ حيث تتجلى البصيرة السديدة للإنسان؛ فترسخ في قلبه العلوم الصالحة المفيدة؛ بما منحه الله من قدرة على استيعابها بفضل سر الفهم لديه؛ فيصيب قلبه الهدف في اتجاه ملكوت الله. ثم يتساءل الناظم موظفاً خبر موسى عليه السلام؛ حين رأى في الوادي المقدس نوراً؛ حيث كلمه ربه وتلقى منه الرسالة.[1] ثم يفترض أنه في الإمكان تلقي نور المعرفة واليقين بواسطة الذكر السليم؛ فيكتسي قلب الذاكر بالنور المبين، ويرتوي فيضاً من الهداية المنهمر من السحب المعطاءة؛ فيزيده ذلك طرباً وحباً.

120 ــ وَرُبَّمَا خَامَرَهُ التَّمَلِّي
فَتَعْتَرِيهِ صَعْقَةُ التَّجَلِّي

121 ــ إذْ ذَاكَ فَالْيَفزَعْ إلَى الصَّلاَةِ
فَإنَّهَا تُفْضِي إلَى النَّجَاةِ

122 ــ إيَّاهُ أنْ يَغُرَّهُ الخَيَالْ
فَيَزْدَرِي بِقَلْبِهِ الخَتَّالْ

[1] جاء في القرآن الكريم: ((وَهَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إذْ رَأى نَاراً فَقَالَ لأهْلِهِ أمْكُثُوا إنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أوْ أجِدُ عَلَى النَّارِ هُدَى. فَلَمَّا أتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إنِّي أنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بِالْوَادِي المُقَدَّسِ طُوَى)). سورة طه، الآيات: من 9 إلى 12.

123 ــ فَــرُبَّ سَالِــكٍ رَأى سَرَابَــا
بِقَيْعَــــةٍ يَظُنُّــــــهُ شَرَابَــــا

(مــن 120 إلى 123) ــ وقـــد يخالـــط الإنســـان ــ خــلال الذكــر ــ امتــلاء وضجــر، وتداخلــه السآمــة؛ فمــا عليــه عندئــذ ســوى الإســراع لأداء الصــلاة؛ إذ بهــا ينجــو مــن المصائــب والآفــات. ومــن هنــا يتوجــب عليــه الحــذر مــن الاغتــرار بالخيــال؛ الأمــر الــذي يــؤدي بـــه إلى ازدراء غيــره بواسطــة قلبــه المخــادع. ثــم ضــرب مثــلاً؛ بذلــك السالــك في الطريــق الــذي يــرى سرابــاً بـــأرض واسعــة سهلــة فيضنــه مــاء للشــرب.

124 ــ يَا جَاهِــلاً بِمَنْصِبِ الكَمَــالِ
وَطَالِبــاً حَضِيــضَ الإنْسِفَــالِ

125 ــ ألَسَتَ ذَا عَقْــلٍ وَذَا بَصِيــرَهْ
أمْ لَــمْ تَكُــنْ مُنَــوَّرَ السَّرِيــرَهْ

126 ــ حُجِبْــتَ بِالْعَلاَئِــقِ النَّفْسِيَّــهْ
عَــنْ هَــذِهِ الْمَرَاتِــبِ الْقُدْسِيَّــهْ

127 ــ رَضِيتَ بِالَمرَاتِــبِ الخَسِيسَــهْ
لِجَهْلِــكَ الَمرَاتِــبَ النَّفِيسَــهْ

(مــن 124 إلى 127) ــ وجــه الناظــم نــداءه إلى الــذي يجهــل مرتبــة الكمــال؛ الــتي هي الحــال الكامــل، والطهــارة

التامـــة؛ بينمـــا يجـــرى وراء المراتـــب الدنيـــا والمنـــازل السفـــلى. ثـــم يقـــول لــــه متسائـــلاً: أليـــس لـــــك عقـــــل وبصيـــــرة تستنيـــر بهمـــا سريرتـــك؟. لقـــد حجبـــت عنـــــك المراتـــــب الطاهـــرة المقدســـة بسبـــب الأهـــواء النفسيـــــة. لـــــذا فقـــــد اكتفيـــت ـــ راضيـــاً ـــ بالمراتـــب الدنيئـــة الخسيســـــة؛ نظـــــراً لجهلـــك بالمراتـــب النفسيـــة النزيهـــة.

128 ــ دَوَائِرُ الحِسِّ[1] عَلَيْكَ مُطْبَقَــهْ
وَحَضْـــرَةُ الكَمَـــالِ عَنْـــكَ مُغْلَقَــهْ

129 ــ يَا مُولَعـــاً بِالعَالَمِ الجِسْمَـــانِي
وَجَاهِـــــلاً بِالْعَالَـــــمِ الرُّوحَـــــانِي

130 ــ فَكَمْ خَدَمْتَ الجِسْمَ يَا بَطَّـــالُ
وَلَسْـــتَ مِـــنْ خِدْمَتِـــــهِ تَنَـــــالُ

131 ــ هَلاَّ خَدَمْتَ الرُّوحَ يَا مَغْـــرُورْ
هَيْهَـــاتَ قَـــدْ حُجِـــبَ عَنْـــكَ النُّـــورْ

132 ــ يَـــا جَاهِـــلاً بِعَالَـــمِ الأَرْوَاحِ
حُجِـــبَ عَنْـــكَ السِّـــرُّ[2] بِالأَشْبَـــاحِ

133 ــ فَلَـــوْ عَلِمْـــتَ هَذِهِ التِّجَـــارَهْ
لَـــمْ تَعْتَبِـــرْ مِـــنْ دُونِهَـــا خَسَـــارَهْ

---

[1] الحـــس عنـــد الفلاسفـــة هـــو ((الإدراك بإحـــدى الحـــواس، أو الفعـــل الـــذي تؤديـــه إحـــدى الحـــواس، أو الوظيفـــة النفسيـــة الفيزيولوجيـــة الـــتي تـــدرك أنواعـــاً مختلفـــة مـــن الإحســـاس؛ تقـــول الحـــس اللمـــسي والحـــس البصـــري..إلـــخ.)). المعجـــم الفلســـفي، ج: 1؛ ص: 467.

[2] يقـــول الجرجـــاني عـــن "الســـر": ((لطيفـــة مودعـــة في القلـــب كالـــروح فـــي البـــدن وهـــو محـــل المشاهـــدة كمـــا أن الـــروح محـــل المحبـــة والقلـــب محـــل المعرفـــة)). شفـــاء السائـــل، ص: 101.

(من 128 إلى 133) ـ ويكمل الناظم كلامه الموجه للجاهل المقصر في حق الله، وفي حق نفسه؛ فيقول له: إنك محصور ضمن دائرة ضيقة وهي دائرة الحس المرتبط بالوظيفة الجسمية. بينما تجد نفسك في عزلة عن حضرة الكمال؛ لأن دائرتها تغلق في وجهك. ثم يضيف منادياً إياه ومؤنباً: يا أيها المفتون المولع بالجسم وما يرتبط به؛ وبالمقابل تجهل عالم الروح وأسرارها؛ كم مرة وضعت نفسك في خدمة جسمك واخترت سبيل البطالة والعجز؟ هل تعلم أنك لن تنال شيئاً من خدمتك للجسم؟ أليس الأفضل لك يا مغرور؛ لو أنك قمت بخدمة الروح؛ ولكن هيهات هيهات؛ فقد حجب عنك نور المعرفة. ثم يسترسل قائلاً: يا أيها الجاهل بعالم الأرواح وأسرارها؛ فقد حجب عنك السر؛ تلك اللطيفة محل المشاهدة المودعة في القلب؛ بسبب ما تراه من أشباح وأوهام. فإن رغبت في الكسب فطرق الكسب والخسارة واضحة جلية.

134 ـ يَا جَاهِلاً بِقَلْبِهِ وَمَا حَوَى
مُشْتَغِلاً بِالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى

135 ـ لَوْ غُصْتَ فِي بَحْرِكَ يَا مَغْرُورَا
وَجَدْتَ فِيهِ لُؤْلُؤاً مَنْثُورَا

136 ــ وَلَوْ تَرَكْتَ العَالَمَ الجِسْمَــانِي
لَذُقْــتَ سِــــرَّ العَالَــمِ الرُّوحَــانِي

(مــن 134 إلى 136) ــ يستمــــر الناظــــم في ندائـــــه قائــلاً: يــا أيهــا الجاهــل بمــا يحتويــه قلبــه مــن الأســـرار؛ ويــا أيهــا المشتغــل بمغريــات الشهـــوات وبريـــق الهـــوى الخــداع؛ لــو أنــك تأملــت بعمــــق في محتـــوى قلبـــك، وغصـــت في بحـــر أســـراره؛ لوجـــدت فيـــه جواهـــر ثمينـــة تفيـــدك في دار القـــرار. ولـــو أنـــك أيضـــاً ابتعــــدت عـــن مغريــات العالــم الجسمــاني لتمتعــت بطعــم ســـر العالـــم الروحـــاني.

137 ــ وَكُلُّ مَشْغُــولٍ بِعَالَمِ الجَسَــدْ
فَــذَاكَ مَحْجُــوبٌ عَنِ اللَّــهِ الصَّمَــدْ
138 ــ فَلْتَشْتَغِــلْ بِالْعَالَمِ الرُّوحَــانِي
وَاتْــرُكْ سَبِيــلَ العَالَــمِ الجِسْمَــانِي
139 ــ وَاخْــرِقْ حِجَابَ النَّفْسِ بَعْدَ الجِسْــمِ
تَــرَى الكَمَــالَ فِي بِسَــاطِ العِلْــمِ
140 ــ فَمَــنْ سَــعَى فِي خِدْمَــةِ المَوْضُــوعِ
فَــذَاكَ مَحْجُــوبٌ عَــنِ الطُّلُــوعِ
141 ــ إِذْ أَوَّلُ السُّلُــوكِ تَرْكُ ذَالِــكْ
وَبَعْــــدَهُ يَسْلُــــكُ فِي المَسَالِــــكْ

142 ــ نَعَمْ بِقُـدْرَةِ القُـوَّةِ النَّفْسِيَّـهْ

لَـمْ تَتَّصِـلْ بِالْحَضْـرَةِ القُدْسِيَّـهْ

143 ــ فَابْذُلْ قُوَاكَ فِي صَلاَحِ النَّفْـسِ

مِـنْ كُـلِّ وَصْمَـةٍ بِهَـا وَلُبْـسِ

144 ــ حَتَّى إِذَا صَحَـتْ سَمَاءُ السِّرِّ

بِأَسْرِهَـا عَـنْ طَبَقَـاتِ السِّتْـرِ

145 ــ فَعِنْـدَهُ شَمْسُ شُهُـودِ الحَـقِّ

مُشْرِقَـةً عَـلَى بُـرُوجِ الصِّـدْقِ

(من 137 إلى 145) ــ يقطع الناظم ويجزم بحجب المفتونين بعالم الجسد عن مشاهدة الأنوار الإلهية. لذا فهو يدعوهم إلى الاعتناء بالعالم الروحاني؛ وترك السبل المؤدية إلى العالم الجسماني. ثم يدعو إلى خرق حجاب النفس؛ بعد أن يتم خرق حجاب الجسم؛ وبذلك يتحقق الكمال الذي يتوج رحاب العلم والمعرفة. فالموضوع الجسماني إن سعى إليه أحدهم يُحْجَب ولا يظهر. لذا فأول ما يجب القيام به هو ترك مغريات النفس، ثم الشروع في العمل على قطع المسالك المؤدية للحضرة القدسية؛ بواسطة القدرة النفسية المتحكمة في الإرادة. وعليه فالناظم يدعو إلى بذل الجهد وشحذ القوى من أجل إصلاح النفس، وتقويمها وتطهيرها من كل شائبة أو وصمة أو شبهة.

فـإذا صحـت سمـاء السـر الـذي في القلـب، وتجلـت بأسرارهـا المنبثقـة مـن طبقـات السـتر. تنجـلي الشمـس المنيـرة بشهـود الحـق بـارزة مـن بـروج الصـدق.

146 ــ هَيْهَاتَ أنْ يَطَا[1] بِسَاطَ القُدْسِ
مُكَبَّـلٌ بِشَهَـوَاتِ النَّفْـسِ

147 ــ هَيْهَـاتَ أنْ يَطَا البِسَـاطَ الأحْمَـقُ
كَيْـفَ يَنَـالُ السِّـرَّ مَنْ لاَ يُصَـدِّقُ

148 ــ هَيْهَاتَ أنْ يَرْقَى المَقَامَ العَالِيَـا
مَـنْ كَـانَ لِلنَّفْـسِ مُطِيعـاً تَالِيَـا

149 ــ فَهَلْ يَطَـا مَسَاجِـدَ الإنَابَـهْ[2]
مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ بِحَـدَثِ الجَنَابَـهْ

150 ــ كَيْفَ تُفِيدُ الشَّكْلَ مِرْآةُ الصَّدَا
أمْ كَيْـفَ تَعْشُـو مُقْلَـةٌ فِيهَـا القَـذَا

(مـن 146 إلى 150) ــ يستبعـد الناظـم ــ عـلى مـن قُيِّـدَ بشهـوات النفـس ــ أن يصـل موصـل الكمـال، ويطـأ بسـاط الطهـارة والنزاهـة. ويستبعـد ــ أيضـاً ــ أن يطـأ ذلـك البسـاط مـن وصـف بالحمـق؛ وعليـه فكيـف يحـظى بامتـلاك السـر مـن لا يصـدق بالحقيقـة؟ ويستبعـد

[1] تُقْـرأ هكـذا ــ بـدون همـزة ــ للضـرورة الشعريـة.

[2] نقـول: نـاب إلى اللـه: بمعنى تـاب. ونـاب فـلان: لـزم الطاعـة للـه. ومساجـد الإنابـة هنـا تعـني: مساجـد الطاعـة والتوبـة.

ـ كذلك ـ أن يرتقي إلى المراتب العليا من سَلَّمَ أمره لمتطلبات النفس. ثم يتساءل: هل يجوز للمجنب أن يدخل مساجد الطاعة والتوبة ويطأها بقدميه النجستين؟. فكيف لمرآة يعلوها الصدأ أن تُظْهِرَ الشكل المعكوس فيها بوضوح؟ أو كيف لمقلة العين التي تعاني من القذى أن ترى في الظلام؟

151 ـ عُجِبْتُ مِنْ مُسَافِرٍ يَشْكُو الظَّمَا
وَحَوْلَهُ عَذْبُ فُرَاتٍ أيُّ مَا

152 ـ مَا حَلَّ وَفْدُ الرَّاصِدِينَ مَرْصَدَا
وَرَامَ حِزْبُ الوَارِدِينَ مَوْرِدَا

153 ـ إلاَّ بِأخْمَاصِ البُطُونِ وَالسَّهَرْ
وَالصَّمْتِ وَالعُزْلَةِ عَنْ كُلِّ البَشَرْ

154 ـ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَتَقْصِيرِ الأمَلْ
وَفِكْرَةِ القَلْبِ وَكُثْرَةِ العَمَلْ

155ـ وَالخَوْفِ وَالذِّكْرِ بكُلِّ حَالْ
وَالصَّبْرِ وَالقُوتِ مِنَ الحَلاَلْ

156 ـ وَفِعلِ أنْوَاعِ المُعَامَلاَتْ
وَفِعْلِ أرْكَانَ المُجَاهَدَاتْ

157 ـ مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِ فُرُوضِ العَيْنِ
عِلْماً وَأعْمَالاً مِنْ غَيْرِ مَيْنِ

(من 151 إلى 157) ــ يضع الناظم في هذه الأبيات الشروط الواجب إتباعها من طرف السالك في طريق التصوف. فيبدأ بالتعجب من المسافر في تلك الطريق؛ وهو يشكو من الحاجة، ومن الضمأ؛ في الوقت الذي تتواجد حوله مياه متناهية العذوبة. ثم يجزم أنه لا يمكن تحقيق الهدف والوصول إلى المعين الدافق إلاَّ بتحقيق عدة شروط منها: جوع البطون، وسهر الليالي، والصمت بالصيام عن الكلام، والعزلة عن الناس، والزهد في الدنيا، وتقصير الأمل في أمور الدنيا، والتفكر في شئون القلب والروح، والإكثار من الأعمال الصالحة، والخوف من العاقبة، ولزوم الذكر في جميع الأحوال والظروف، والصبر على المكاره والشدائد، وتناول من الطعام ما يسد القوت فقط على أن يكون ذلك من الحلال. وفعل الخير والإكثار من المعاملات الهادفة والصالحة، والتقيد بأركان المجاهدات من: تقوى واستقامة وكشف؛ كل ذلك يقوم به السالك بعد أن يقوم بفروض العين على أحسن وجه علماً وعملاً دون تردد أو تلاكؤ.

158 ــ فَأَيْنَ حَالُ هَؤُلاَءِ القَوْمِ
مِنْ سُوءِ حَالِ فُقَرَاءِ اليَوْمِ

159 ــ قَدْ ادَّعَوْا مَرَاتِباً جَلِيلَهْ
وَالشَّرْعُ قَدْ تَجَنَّبُوا سَبِيلَهْ

160 ــ قَدْ نَبَــذُوا شَرِيعَــةَ الرَّسُــولِ

فَالْقَــوْمُ قَــدْ حَــادُوا عَــنِ السَّبِيــلِ

161 ــ لَمْ يَدْخُلُــوا دَائِــرَةَ الطَّرِيقَــهْ

فَضْــلاً عَــنْ دَائِــرَةِ الحَقِيقَــهْ

162 ــ لَــمْ يَقْتَــدُوا بِسَيِّــدِ الأَنَــامِ

فَخَرَجُــوا عَــنْ مِلَّــةِ الإِسْــلاَمِ

163 ــ لَمْ يَدْخُلُــوا دَائِــرَةَ الشَّرِيعَــهْ

وَأُولِعُــوا بِبِــدَعٍ شَنِيعَــهْ

164 ــ لَمْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَــضَى الكِتَــابِ

وَسُنَّــةَ الهَــادِي إِلَى الصَّــوَابِ

165 ــ قَدْ مَلَكَــتْ قُلُوبَهُــمْ أَوْهَــامُ

فَالْقَــوْمُ إِبْلِيــسٌ لَهُــمْ إِمَــامُ

166 ــ كَفَــاكَ فِي جَمِيعِهِــمْ خِيَانَــهْ

إِنِ اخْتَالُــوا الدُّنْيَــا بِالدِّيَانَــهْ

167 ــ وَانْتَهَكُــوا مَحَارِمَ الشَّرِيعَــهْ

وَسَلَكُــوا مَسَالِــكَ الخَدِيعَــهْ

168 ــ مَنْ كَانَ فِي نَيْلِ الكَمَالِ رَاجِياً

وَعَــنْ شَرِيعَــةِ الرَّسُــولِ نَائِيــاً

169 ــ فَإِنَّــهُ مُلَبِّــسٌ مَفْتُــونُ

وَعَقْلُــهُ مُخْتَبَــلٌ مَجْنُــونُ

170 ــ هَذَا مُحَــالٌ لاَ يَصِــحُّ أَبَــدَا

لأَنَّ سَيِّــدَ الــوَرَى بَــابُ الهُــدَى

(من 158 إلى 170) ـ يصف الناظم في هذه الأبيات أحوال المخالفين المبتدعة بقوله: أين هو حال من توفرت فيهم الشروط السابقة من المتصوفة الأتقياء؟ أين هم أمام حال أدعياء اليوم الذين يدعون لأنفسهم مراتب جليلة؟ بينما نراهم قد تجنبوا سبل الشرع بمخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء لا يمكن اعتبارهم من أهل التصوف لأنهم تنكروا للحقيقة. ذلك لأنهم لم يقتدوا برسول الله r فخرجوا بسبب ذلك عن الدين الإسلامي. كما أنهم لم يدخلوا في نطاق الشريعة، وفضلوا الانسياق خلف البدع والأعمال الشنيعة. ثم أنهم لم يلتزموا بما ورد في كتاب الله، ولا بسنة نبيه محمد الهادي عليه السلام. لقد أصيبوا بأوهام تملكت قلوبهم؛ لأن إبليس اللعين أصبح لهم إمام وقدوة. ويكفيهم عصياناً أنهم سلكوا طريق الخيانة؛ باختيارهم للمغريات الدنيوية بدلاً من الالتزام بالدين وحدود الله. حيث أنهم انتهكوا المحرمات التي قالت بها الشريعة، وساروا في طريق الخداع والرذيلة. ثم يقرر بعد ذلك قائلاً: من كان يرجوا الوصول إلى درجة الكمال؛ بينما هو بعيد عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا بد أنه مفتون، وعقله

غير سليم ومجنون. ثم يصرح بقوله: هذا الأمر محال ولا يمكن أن يحدث؛ لأنه لا يصح، ولن يتم أبداً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب الهداية ومفتاحها.

171 ــ وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّهْ
مَقَالَةً صَادِقَةٍ جَلِيَّهْ

172 ــ إذَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَطِيرُ
أوْ فَوْقَ مَاءِ البَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

173 ــ وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإنَّهُ مُسْتَدْرِج وَبِدْعِي

174 ــ وَاعْلَمْ بَأنَّ الخَارِقَ الرَّبَانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ

175 ــ وَالفَرْقُ بَيْنَ الإفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ

176 ــ وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لأصْلِهَا وَفَرْعِهَا

177 ــ وَالشَّرْعُ نُورُ الحَقِّ مِنْهُ قَدْ بَدَا
وَانْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الهُدَى

(من 171 إلى 177) ــ يشير الناظم إلى قول بعض السادة من المتصوفة الصادقين؛ جاء فيه: لا تصدق أهل البدع الذين لا يلتزمون بحدود الشرع؛ مهما

حاولوا خداعك باستدراجاتهم وألاعيبهم؛ حتى وإن رأيت أحدهم يطير في السماء أو يسير فوق موج البحر؛ فلا تصدقه؛ لأنه في الحقيقة مشعوذ دجال. ذلك لأن الخوارق الربانية لا تتعارض مع سنة رسول الله وتعاليم القرآن الكريم؛ بل هي تابعة لهما وصادرة عنهما. لذا فالكذب والصواب يتقرران بمقياس السنة والقرآن. فالشرع هو ميزان الأمور كافة؛ إذ يعتبر شاهداً على أصولها وفروعها. والشرع أيضاً يتجلى منه نور الحق، وتنفجر من خلاله ينابيع الهداية والتقى.

178 ــ وَقَالَ بَعْضُ أوْلِيَاءِ اللَّهِ
السَّالِكِينَ بِصِرَاطِ اللَّهِ

179 ــ مَنِ ادَّعَى مَرَاتِبَ الجَمَالِ
وَلَمْ يَقُمْ بَأدَبِ الجَلاَلِ

180 ــ فَارْفُضْهُ إنَّمَا الفَتَى دَجَّالُ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالكَمَالُ

181 ــ وَمَنْ تَحَلَّى بِحُلَى المَعَالِي
وَبِحُدُودِ اللَّهِ لَمْ يُبَالِ

182 ــ فَفِرَّ مِنْهُ إنَّهُ شَيْطَانُ
مُخَادِعٌ مُلَبِّسٌ خَوَانُ

183 ــ يَا صَاحِ لاَ تَعْبَا بِهَؤُلاَءِ
ذَوِي الخَنَى وَالزُّورِ وَالأهْوَاءِ

184 ــ بَاءُوا بَسُخْطٍ وَضَلاَلٍ وَقِـلَى
لَـمْ يَبْلُغُـوا مَرَاتِـبَ المَجْـدِ إِلَى
185 ــ إنْ تَنْظُرِ البَهْمُـوت بِالْعَـرْشِ يُنَـاطْ
أوْ يَلِـجُ الْجَمَـلُ فِي سَـمِّ الخِيَـاطْ

(مـن 178 إلى 185) ــ يشيـر الناظـم إلى قـول بعـض الأوليـاء الصالحيـن القائميـن بحـدود اللـه فيقـول: لا بـد لمـن يـدعي جمـال الخلـق أن يلتـزم بالآداب الجليلـة المقـررة في شـرع اللـه. لـذا فالواجـب هـو أن ترفـض مـن أخـل بهـذا الشـرط؛ لأنـه كـاذب دجـال؛ ليـس لـه القـدرة عـلى الارتقـاء إلى مراتـب الكمـال. كمـا أن الـذي حـلّى نفسـه بأوصـاف الـرقي والسمـو؛ ولـم يعـطي بـالاً لحـدود اللـه؛ لا يستحـق المخالطـة ولا المصاحبـة؛ لأنـه يتحـلى بأوصـاف الشيطـان المخـادع الخـوان؛ لـذا فالمطلـوب الابتعـاد عنـه. ثـم يطلـب الناظـم مـن القـارئ أن يهمـل أمثـال هـؤلاء؛ أصحـاب الفواحـش والكـذب والأهـواء الساقطـة. لأنهـم ضلـوا ونالـوا سخـط اللـه وغضبـه؛ فتعـذر عليهـم الوصـول إلى مراتـب المجـد؛ ولـن يحـدث ذلـك حـتى يلـج الجمـل في سـمّ الخيـاط.

186 ــ هَذَا زَمَانٌ كَثُرَتْ فِيـهِ البِـدَعْ
وَاضْطَرَبَـتْ عَلَيْـهِ أمْـوَاجُ الخِـدَعْ

187 ــ وَخَسَفَتْ شَمْسُ الْهُدَى وَأَفَلَتْ

مِنْ بَعْــدِ مَــا قَــدَ بَزَغَــتْ وَكَمُلَــتْ

188 ــ وَالدِّيــنُ قَدْ تَهَدَّمَتْ أرْكَانُــهْ

وَالــزُّورُ طَبَّــقَ الْهَــوَى دُخَّانَـــــهْ

189 ــ وَظُلمَاتُ الــزُّورِ وَالبُهْــتَــانِ

تَزَخْرَفَــتْ فِي جُمْلَــــةِ الأوْطَــــانِ

190 ــ لَمْ يَبْــقَ مِنْ دِينِ الْهُــدَى إلاَّ اسْمُــهُ

وَلاَ مِــنْ الْقُــــــرْآنِ إلاَّ رَسْمُــــهُ

191 ــ هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَــتْ يَنَابِيــعُ الْهُــدَى

وَفَــاضَ بَحْــرُ الْجَهْــلِ وَالزَّيْــغُ بَــدَا

192 ــ أيْنَ رُعَاةُ الدِّينِ أهْــلُ الْعِلْــمِ

قَــدْ سَلَفُــوا وَاللَّــهِ قَبْــلَ الْيَــــوْمِ

193 ــ وَهَاجَتِ الطَّائِفَــةُ الدَّجَاجِلَــهْ

السَّالِكُــــونَ لِلطَّرِيــــقِ الْبَاطِلَـــــهْ

194 ــ وَكَثُرَتْ أهْلُ الدَّعَاوَى الكَاذِبَهْ

وَصَــارَتِ الْبِدْعَــةُ فِيهِــمْ غَالِبَـــــهْ

195 ــ القَــوْمُ إذْ زَاغُــوا أزَاغَ اللَّــهُ

قُلُوبَهُــــمْ فَانْسَلَخُـــوا وَتَاهَـــوا

196 ــ وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ خَيْــرِ الْــوَرَى

لَنْ يَخْــرُجَ الدَّجَــالُ أعْــنِي الأكْبَــرَا

197 ــ حَتَّى تَقُــومَ قَبْلَــهُ دَجَاجِلَــهْ

كُــلٌّ يَلُــوذُ بِطَرِيـــقٍ بَاطِلَـــهْ

198 ــ مَنْ لَمْ يَلُذْ بِالْمَنْهَجِ الْمُحَمَّدِي
بَــاءَ بَسُخْـطِ اللَّـهِ طُـولَ الأمَـدِ

(من 186 إلى 198) ــ يصف الناظم الزمان الذي عاش فيه؛ وهو القرن العاشر الهجري فيقول: كثرت في زمانه أشكال البدع، واضطربت أيامه بالأهوال المنطوية على الخدع. كما أفلت فيه شمس الهدى بأنوارها الساطعة؛ بعد أن كانت في زمان سابق كاملة النور. كما أن الدين الصحيح في هذا الزمن عرف تزعزعاً في أركانه؛ بسبب ما انتشر من زور وبهتان في كامل الأوطان؛ بحيث لم يتبق من الدين الإسلامي الحنيف إلا اسمه ومن كتاب الله إلا رسمه. فبعداً لهم إذ نضب معين الهداية أمام بحار الجهل والانحراف التي فاضت وعمت. ثم يتساءل: أين هم رعاة الدين والمحافظون عليه من أهل العلم الصحيح؟ ثم يجيب نفسه فيقول: لقد مضوا قبل هذا الزمن؛ الأمر الذي سمح لطائفة من الدجالين المنحرفين بالنمو والظهور؛ فتعددت بينهم المزاعم الكاذبة، وانتشرت فيهم البدع المتنوعة؛ فزاغت قلوبهم وانسلخوا عن دينهم وتاهوا. ثم يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديث: أن الدجال الأكبر لن يظهر حتى يسبقه دجاجلة آخرون أتفه

منـــه؛ يسلكـــون طريقـــاً باطلـــة. ثـــم يقـــول: مـــن لـــم يتبـــع منهـــج محمـــد عليـــه الســـلام نـــال غضـــب اللـــه وسخطـــــه طـــول الأمـــد.

199 ــ هَيْهَـــاتَ أنْ يَطْمَـــعَ فِي نَيْـــلِ الوَفَـــا
مَنْ حَـــادَ عَنْ شَـــرْعِ النَّبِيِّ المُصْطَـــفى

200 ــ فَإنُّـــهُ هُوَ السِّـــرَاجُ الأنْـــوَرُ
وَبَـــابُ حَضْـــرَةِ الإلَـــهِ الأكْبَـــــرُ

201 ــ فَكُـــلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِـــهِ
فَلَيْـــــسَ عِنْـــدَ اللَّـــهِ مِـــنْ أمَّتِـــــهِ

202 ــ مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَدْ غَـــوَى
وَفِي غَيَابَـــاتِ الضَّـــلاَلِ قَـــدْ هَـــوَى

203 ــ المُصْطَفَى خَيْـــرُ وَسِيلَـــةٍ إلَى
إلَهِنَـــا رَبِّ السَّمَـــــاوَاتِ الْعُـــــــلاَ

204 ــ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَـــا
وَمَـــا إلَيْـــهِ قَلْـــبُ عَاشِـــقٍ صَبَـــــا

(مـــن 199 إلى 204) ــ يستبعـــد أن يحـــظى مـــن حـــاد عـــن شـــرع النـــبي المصطـــفى وسنتـــه بنيـــل رضـــاه. فالمصطـــفى هـــو الســـراج المنيـــر وبـــاب الحضـــرة الإلهيـــة؛ فمـــن أعـــرض عـــن سنتـــه فلـــن يغـــدو عنـــد اللـــه مـــن أمتـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم ؛ لأن مـــن انحـــرف عـــن سنتـــه وتجنبهـــا يكـــون قـــد ضـــل وغـــوى وفي مهـــاوي

المهالــك قــد هــوى. ثــم يضيــف قائــلاً: إن أفضــل وسيلــة للتقــرب مــن اللــه سبحانــه وتعــالى هــو المصطــفى؛ صــلى عليــه اللــه بقــدر مــا هبــت ريــح الصبــا، وبعـــــدد مـــا خفــق إليــه قلــب عاشــق صــب.

205ــ يَا أيُّهَــا المَغْلُــولُ فِي سِجْــنِ الهَــوَى
أقْبِــلْ لِمَــا عَلِيْــهِ قَلْبُــكَ انْطَــوَى

206ــ وَجِدَّ كُلَّ الجَدِّ فِي اصْطِفَائِــهِ
تَسْتَخْــرِجِ الكُنُــوزَ مِــنْ أرْجَائِــهِ

207ــ وَالْتَــزِمِ التَّفْويــضَ وَالإنَابَــهْ
فَهَـــذِهِ طَرِيقَـــةُ الصَّحَابَـــهْ

208ــ تَأنَّسَــتْ قُلُوبُهُــمْ باللَّــهِ
فَأخْلَصُـــوا أوْقَاتَهُـــمْ لِلَّـــهِ

209ــ وَاسْتَغْرَقُوا أوْقَاتَهُــمْ بالطَّاعَــهْ
عَــلَى بِسَــاطِ الصِّــدْقِ وَالصَّرَاحَــهْ

210ــ النَّاسُ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ هُجَّــعُ
وَالقَــوْمُ فِيــهِ سُجَّـــدٌ وَرُكَّـــعُ

211ــ حَثُّوا مَطَايَا الحَزْمِ فِي جَــوْفِ الدُّجَــا
تَطْلَــعُ شَمْسُهُــمْ إذَا اللَّيْــلُ سَجَــا

212ــ فَفِي المُنَاجَــاةِ لَهُــمْ كُئُــوسُ
تُحْــيِى بِهَــا الأرْوَاحُ وَالنُّفُـــوسُ

213 ــ هُـمُ الهُـدَاةُ بِهُدَاهُـمْ اِقْتَـدِ

إِلَى مَرَاتِـبِ الوُصُـولِ تَهْتَـدِي

214 ــ وَاكْشِفْ حِجَابَ السِّرِّ بِالتَّفْرِيدِ

بِالْعالَـمِ الأسْـنَى مَـعَ التَّجْرِيـدِ

215 ــ تَرَى الغُيُـوبَ كُلَّهَـا جَلِيَّـهْ

وَتَرْتَـقِي لِلْحَضْـرَةِ العَلِيَّـهْ

216 ــ وَزَالَ عَنْ مِرْآتِهِ كَشْفُ الغِطَـا

مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ فِي حِسِّـهِ مُثَبِّطَـا

(مـن 205 إلى 216) ــ ينـادي الناظـم ذلـك السجيـن في سجـن المـلاذ والمقيـد بأغـلال الأهـواء والضـلال؛ فيقـول لـه: عُـدْ إلى مايمليـه عليـك ضميـرك إذا صحـا؛ واجتهـد بجـد وإخـلاص في اصطفـاء قلبـك لـكي تستخـرج مـا ينـطوي عليـه مـن كنـوز؛ ثـم التـزم الطاعـة وتفويـض أمـرك إلى خالقـك؛ لأن هـذه هي سنـة الصحابـة وطريقتهـم في الحيـاة؛ حيـث استأنسـت قلوبهـم بذكـر اللـه؛ فأضحـت أوقاتهـم مخصصـة لـه سبحانـه وتعـالى فأخلصـوا إليـه وأطاعـوه والتزمـوا في عبادتـه الصـدق التـام. ثـم يصـف حالهـم فيقـول: بينمـا النـاس في وسـط الليـل المظلـم نيـام؛ يظـل ــ بالمقابـل ــ أولئـك القـوم المؤمنـون في ركـوع وسجـود للـه عـز وجـل. فهـم حازمـون في أعمالهـم طـوال الليـل المظلـم؛ الـذي تضيئـه شمسهـم

المنيـــرة. فمناجاتهـــم ســـراً نفحـــات تحيـــي الأرواح والنفـــــوس؛ فهـــم الذيـــن يهـــدون الضـــال للسبيـــل القويـــــم؛ فالواجـــــب هنـــا يقتـــضي أن تتقيـــد بهـــم لـــــكي تصـــــل إلى المراتـــــب العليـــا. ثـــم ينصـــح السالـــك في طريـــق الاجتهـــاد طالبـــاً منـــه السـعي لكشــف حجـــاب الســـر بالعزلـــة والانفـــراد والتجريـــد؛ وبذلـــك يمكـــن أن تنجـــلي الغيـــوب؛ وتحـــظى بالارتقـــاء إلى الحضـــرة العليـــا. أمـــا الـــذي تبـــقى في حســـه موبقـــات مـــا فـــلا تنجـــلي مرآتـــه ولا ينكشـــف الغطـــاء عنهـــا.

217ــ فَــأيُّ مَنْ أدْمَنَ قَــرْعَ البَــابِ
مُنْقَطِعــاً عَــنْ جُمْلَــةِ الأسْبَــابِ

218ــ فَإنَّــهُ يَرْتَقِــبُ الفُتُوحَــا
حَــتَّى يَصِيــرَ صَــدْرُهُ مَشْرُوحَــا

219ــ مَنْ قَطَــعَ العَلاَئِــقَ النَّفْسيَّــهْ
وَلَــجَ بَــابَ الحَضْــرَةِ القُدْسِيَّــهْ

220ــ فَاشْدُدْ إزَارَ الحَزْمِ وَالُمجَاهَــدَهْ
عَسَــاكَ تَــرْقَ مِنْبَــرَ الُمشَاهَــدَهْ

221ــ وَقِفْ عَلَى بَابِ الكَرِيمِ بَاكِيــاً
وَكُــنْ هُنَــاكَ خَائِفــاً وَرَاجِيــاً

222ــ مُعْتَرِفــاً بِالذَّنْــبِ وَالجِنَايَــهْ
عَسَــاهْ أنْ يَمُــنَّ بِالْهِدَايَــهْ

223 ــ فَلَيْسَ لِلْبَابِ الكَرِيمِ غَالِقاً
إِذَا تَوَجَّهَ الُمرِيدُ صَادِقاً
224 ــ وَالصِّدْقُ وَالإِخْلاَصُ فِي الأمُورِ
شَرْطٌ بِهِ يَكُونُ قَدْحُ النُّورِ

(من 217 إلى 224) ــ يكمل الناظم نصحه للسالك فيقول: إن الذي يواصل طَرْق باب الكشف دون توقف؛ وداوم على ذلك؛ منقطعاً عن الاهتمام بأسباب أخرى؛ فإنه يبقى مرتقباً فتح الباب؛ راضياً، مطمئن القلب والخاطر، منشرح الصدر، مبتهجاً. فكل من انقطع عن الحركات النفسية وعلائقها المغرية يمكن له الدخول من باب الحضرة القدسية. ولكي تتمكن من ذلك عليك بشد إزار الحزم وضبط حزام المجاهدة في مراتبها الثلاث: **التقوى، والاستقامة، والكشف**. فبواسطة ذلك كله يمكن أن تحظى بالمشاهدة والتمتع بالأنوار القدسية. عندئذ قف على باب الله سبحانه وتعالى خائفاً، باكياً، معترفاً بذنوبك؛ فقد يمن عليك بالهداية. لأن بابه سبحانه وتعالى لا يغلق؛ عندما يتوجه المريد إليه بصدق وتقوى واستقامة. فالصدق والإخلاص شرطان ضروريان؛ إذ بهما يتحقق قدح الزناد لإشعال النور.

225 ــ يَا عَاشِقاً فِي الدَّرَجَاتِ العَالِيَهْ

اعْلَــمْ بــأنَّ الصَّفَقَـــاتِ غَالِيَـــهْ

226 ــ مَا نَالَهَا ذُو الْعَجْزِ وَالتَّــوَانِي

إلاَّ بكَـــدِّ النَّفْـــسِ وَالإذْعَــانِ

227 ــ فَارْحَلْ إِلَى المُهَيمِنِ القُــدُّوسِ

وَابْــنِ عَــلَى تَزْكِيَـــةِ النُّفُـــوسِ

228 ــ أفْلَحَ وَاللَّــهِ امْــرُؤٌ زَكَّاهَــا

يَوْمــاً كَمَــا قَــدْ خَــابَ مَنْ دَسَّاهَــا

229 ــ وَاخرِقْ طِبَاقَ السَّبْعَةِ الأطْــوَارِ

لِــكَيْ تَــرَى دَقَائِــقَ الأسْــرَارِ

230 ــ تَرَى مِنَ السِّرِّ المَصُونِ عَجَبَــا

وَتَرْتَـــقِي فِي الدَّرَجَـــاتِ رُتَبَـــا

231 ــ وَتُبْصِرُ الشُّمُــوسَ مُسْتَنِيــرَهْ

جَارِيَـــةً فِي فَلَـــكِ البَصِيـــرَهْ

(مــن 225 إلى 231) ــ يقــول الناظــم بصيغــة النــداء: يــا أيهــا العاشـــق، المحـــب، الراغـــب في الوصـــول إلى الدرجــات العاليــة؛ اعلــم بــأن الوصــول إليهـــا يتطلـــب منــك أن تقــدم ثمنــاً غاليــاً. فتلــك الدرجـــات المرغـــوب فيهـــا لـــن ينالهـــا المتهاونـــون والعاجـــزون؛ بـــل تتطلـــب كـــداً متواصـــلاً وجهـــداً نفسيـــاً دائمـــاً، وإذعانـــاً مطلقـــاً لشـــروط المجاهـــدة. فاتجـــه بخضوعـــك نحـــو المهيمـــن القـــدوس؛ وذلـــك

بترويض النفس وتنميتها وتطهيرها؛ لأن من روضها أفلح من دساها ومن أنقصها خاب. ثم يضيف: ولكي ترى دقائق الأسرار لا بدَّ من اجتياز طباقات السبعة أطوار؛ حيث ترى العجب العجاب من السر المصون، وتسموا في المرتبة بارتقائك الدرجات العالية. وهناك ترى ببصيرتك الشموس المضيئة في فلكها.

232 ـ القَلْبُ كَالْمِرْآةِ لِلتَّجلِّي
يَصْفُوا بِمَا صَفَا لَهُ التَّحَلِّي

233 ـ القَلْبُ عَرْشُ سِرِّهِ الرَّبَّاني
وَحضْرَةٌ لِلْقُرْبِ وَالتَّدَانِي

234 ـ القَلْبُ هُوَ لَوْحُكَ المَحْفُوظْ
يَا أَيُّهَا المُقَرَّبُ المَلْحُوظْ

235 ـ فَاقْرَأْ سُطُورَ لَوْحِكَ المَكْنُونْ
يُرِيكَ سِرَّ أَمْرِهِ المَصُونْ

236 ـ القَلْبُ سِرُّ اللَّهِ فِي الإنْسَانْ[1]
وَعَرْشُهُ المُحِيطُ بِالأكْوَانْ

237 ـ وَهْوَ مِنْ عَرْشِ السَّمَاءِ أَكْبَرُ
وَذَاكَ مَعْنَى فِي الحَدِيثِ يُذْكَرُ

238 ـ أعْنِي حَدِيثَ الْوُسْعِ لِلتَّجَلِّي
فَاعْرِفْ ذِمَامَ قَلْبِكَ الأجَلِّي

---

[1] يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن في الجسد بضعة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب)).

239 ــ القَلْــبُ مِشْكَــاةُ التَّجَلِّيَــاتِ

مَهْمَــا خَــلاَ مِــنْ جُمْلَــةِ الآفَــاتِ[1]

240 ــ القَلْبُ كَنْزٌ مِنْ كُنُــوزِ اللَّــهِ

وَفِيــهِ بَــــابُ مَلَكُــــوتِ اللَّــــهِ

241 ــ القَلْبُ مِنْ عَجَائِبِ الرَّحْمَــنِ[2]

أوْدَعَــــهُ فِي عَالَــــمِ الأبْــــدَانِ

242 ــ فَالــرُّوحُ[3] بَابُ الحَضْــرَةِ القُدْسِيَّــهْ

تَحْجُبُــــهُ العَلاَئِــــقُ النَّفْسِيَّــــهْ

243 ــ وَإنَّمَــا يُفْتَــــحُ بِالأذْكَــارِ

لِحَــــازِمٍ بِاللَّيْــــلِ وَالنَّهَــــارِ

244 ــ إذَا اعْتَرَاكَ سَقَــمٌ فِي القَلْــبِ

فَافْــزَعْ إلَى الذِّكْــرِ وَلُــذْ بِالــرَّبِ

245 ــ وَإنْ تَكُنْ لَمْ تَنْتَفِــعْ بِالذِّكْــرِ

فَانْــدبْ عَلَى نَفْســكَ طُــولَ الدَّهْــرِ

246 ــ فَاخْلعْ نعَالَ الكَوْنِ جُمْلَةَ وجي

تَكُــنْ عَــلَى طُــولِ المُنَاجَــاةِ نــجي

---

[1] يقــول رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وسلــم ((إن اللــه لا ينظــر إلى صوركــم وأعمالكــم ولكــن ينظــر إلى قلوبكــم)).

[2] قــال رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وسلــم ((قلــب المؤمــن بيــن أصبعيــن مــن أصابــع الرحمــن)).

[3] يتداخــل المعــنى في الشــرع حينمــا تستعمــل كلمــات: روح وقلــب وعقــل ونفــس؛ بحيــث ترتبــط بمدلــول واحــد أحيانــاً. أنظــر شفــاء السائــل، ص: **80**.

247 ــ كَيْفَ تُنَادِ لِلتَّنَاجِ فِي طَوَى
وَالقَلْبُ تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِ الهَوَى

248 ــ لَوْ ذَهَبَتْ عَلَى الحِجَا أَكْدَارَهُ
لَجَاءَ بَعْدَ لَيْلِهِ نَهَارُهُ

249 ــ فَمَنْ رَأى بَوَاطِنَ الأَوَانِي
وَفَهِمَ الأَسْرَارَ وَالمَعَانِي

250 ــ مَنْ غَيَّرَ مَا كَسَبَ لَهُ يُعَانِي
فَذَلِكَ المَخْصُوصُ بِالتَّدَانِي

(من 232 إلى 250) ــ يعالج الناظم في هذه الأبيات موضوع القلب والروح ومكانتهما لدى الإنسان وربه. ففي البيت الأول يشبه القلب بالمرآة من حيث الوضوح والصفاء؛ كما يرى أن القلب بمثابة العرش في الجسم الإنساني لما فيه من أسرار ربانية، وما له من قدرة يمكنها تقريبك من الحضرة المقدسة. كما يعد القلب بمثابة اللوح المحفوظ؛ بما يحتويه من معرفة وبصيرة وقدرة على فك الأسرار. والقلب هو سر الله في الإنسان لما فيه من قدرات تستوعب أسرار الوجود. وقد وردت أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوه بالقلب. ثم يقول: القلب كنز من كنوز الله. كما تعتبر الروح بمثابة الباب للحضرة

القدسيــة؛ ولكــن العلائــق النفسيــة تحجــب ذلــك البـــاب؛ ولـــكي يفتـــح؛ لا بـــد مـــن إكثـــار الأذكـــار بالليـــل والنهـــار. فـــإذا أحسســـت بمـــرض في القلـــب؛ فمـــا عليـــك إلا بالذكـــر والالتجـــاء للـــرب سبحانـــــه وتعـــــالى. وإذا لـــــم تستفـــــد بالذكـــر؛ فليـــس لـــك حـــظ في رحـــاب اللـــه؛ فمـــا عليـــــك إلاّ نـــدب حظـــك السـيئ طـــول حياتـــك. وبمـــا أن القلـــــب موضـــوع تحـــت سلطـــان الهـــوى؛ فـــلا طمـــع في مناجـــــاة أو نـــداء. لأن العقـــل مقيـــد بمـــا يعلـــوه مـــــن كـــــدر؛ فلـــــو تخلـــص منـــه لوضحـــت الرؤيـــة ونشـــــط العقـــــل بطلـــــوع النهـــار وانقشـــاع الليـــل.

251 ــ وَالغَيْبُ مَحْجُوبٌ عَنِ النُّفُوسِ
بِهَذَيَـــانِ العَالَـــمِ المَحْسُـــوسِ

252 ــ لَنْ يَسْتَفِيدَ المَرْءُ عِلْماً بِالإِلَـــهْ
وَفِي الحِـــجَى[1] لَمْحَـــةٌ مِمَّـــنْ سِـــوَاهْ

253 ــ وإنْ تُـــرِدْ مَعْرِفَـــةً بِالـــرَّبِّ
فَارْغَـــبْ إِلَيْـــهِ صَادِقـــاً بِالْقَلْـــبِ

254 ــ وَلاَ تَعُـــدَّ غَيْـــرَهُ مَوْجُـــودَا
فَتَغْتَـــدِي عَـــنْ بَابِـــهِ مَطْـــرُودَا

255 ــ وَكُنْ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي الدِّيـــنِ
بِالعِلْـــمِ وَالتَّحْقِيـــقِ وَاليَقِيـــنِ

[1] الحـــجى: العقـــل والفطنـــة.

256 ــ وَكُنْ عَلَى حُــدُودِهِ مُحَافِظَــاً
وَكُــنْ لِهَــذَا الهَذَيَــانِ رَافِضَـــاً
257 ــ إذْ ذَاك فَالْتَفزَعْ إِلَى التَّخَــلِّي
وَبَعْـــدَهْ فَافْـــزَعْ إِلَى التّحَـــلِّي
258 ــ وَلاَزِمِ الذِّكْــرَ بِكُــلِّ حَــالِ
وَفِــــرَّ مِـــنْ طَـــوَارِقِ الخَيَـــالِ
259 ــ فَإِنْ يَفُتْ شَيْءٌ مِنَ الأنْفَــاسِ
فَــذَاكَ مِــنْ عَلاَمَــاتِ الإفْـــلاَسِ
260 ــ وَلاَ تَــزَالُ وَاقِفــاً بِالبَــابِ
وَذَاكِـــراً لِلْمَلِـــكِ الوَهَـــابِ
261 ــ حَتَّى تَرَى الهِمَّةَ قَدْ تَجَمَّعَــتْ
وَفِكْــرَةَ الجَنَــانِ[1] قَــدْ تَوَسَّعَـــتْ
262 ــ وَكُلُّ مَا يَغْشَاكَ فِي السَّبِيــلِ
مِــنْ وَارِدٍ فَانْقَلْـــهُ لِلدَّلِيـــلِ

(مــن 251 إلى 262) ــ يبــدأ الناظــم هـــذا المقطـــع بتقريـــر: أن أمـــور الغيـــب ستبـــقى محجوبـــة عـــن النفـــوس؛ مـــا دامـــت منشغلـــة بهذيـــان العالـــم المحســـوس. لـــذا فلـــن يستفيـــد الإنســـان بالعلـــم الـــذي يُعَرِّفُـــه بالإلـــه ويقربـــه منـــه؛ مـــا دام قلبـــه منشغـــلاً بغيـــره. لأن معرفـــة اللـــه تتطلـــب مـــن الإنســـان التقـــرب إليـــه بقلـــب صـــادق. فـــإذا أشركـــت بـــه

[1] الجنـــان: القلـــب لاستتـــاره في الصـــدر. والجنـــان مـــن كـــل شـــيء: جوفـــه.

وآمنت بوجود غيره؛ طردت عن أبواب رحمته. ثم يوجه الناظم نصحه للقارئ بقوله: عليك بالتبصر في شئون الدين؛ بواسطة العلم الصحيح، والتحقيق الجيد والتيقن مما حققت فيه. وعليك أن تحافظ على حدود الله، وأن ترفض كل ما يستدعي الهذيان أو السفسطة، وتبتعد عن تداعيات الخيال الزائفة. وعليك أيضاً أن تلتزم بذكر الله في الأحوال كلها. ولا تسمح لنفسك بالتراخي؛ حتى لا تصل بها إلى حدود الإفلاس. وداوم على الذكر، والوقوف على العتبات المقدسة؛ حتى تلتئم همتك وتتوسع آفاق قلبك.

263 ـ وَذِكْرُ أَهْلُ الفَضْلِ وَالبَصَائِرْ

يُوَازِنُ الثَّلاَثَةُ الدَّوَائِرْ

264 ـ دَائِرَةُ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ

فَوْقَهُمَا دَائِرَةُ الإِحْسَانِ

265 ـ وَذَاكَ بِاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ

وَالرُّوحِ وَهْوَ مَنْصِبُ الإِحْسَانِ

266 ـ فَالْقَلْبُ تُرْجُمَانُهُ اللِّسَانُ

وَالرُّوحُ تُرْجُمَانُهُ الجَنَانُ

267 ـ فَلاَ يَزَالُ بِاللِّسَانِ يُذْكَرُ

حَتَّى يَصِيرَ أَبَداً لاَ يَفْتَرُ

268 ـ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَغْرَقَ اللِّسَانُ

فِيهِ إِلَيْهِ التَفَتَ الجَنَانُ

269 ــ حَتَّى يَصِيرَ القَلْبُ لَيْسَ يَفْتُــرُ
فَيَصْمُــتُ اللِّسَـــانُ وَهْــوَ يَذْكُــرُ
270 ــ حَــتَّى إذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الذِّكْرُ
وَلَــمْ يَكُــنْ لَــهُ عَلَيْــهِ صَبْـــرُ
271 ــ وَاتَّسَعَــتْ دَائِــرَةُ الأفْكَــارِ
وَأوْمَضَـــتْ سَوَاطِـــعُ الأنْـــوَارِ
272 ــ تَوَجَّــهَ القَلْــبُ إلَى مَــوْلاَهْ
وَلَــمْ يَلُـــذْ بَأحَـــدٍ سِـــوَاهْ
273 ــ وَلاَ يَــزَالُ ذَاكِــراً بِقَلْبِــهِ
وَجَامِعـــاً هِمَّتَـــهُ بِرَبِّـــهِ
274 ــ حَــتَّى يَصِيرُ لَفْظُهُ مُسْتَنْسَخــاً
وَيَرْجِــعُ المَعْــنَى بِــهِ مُرْتَسِخـــاً
275 ــ وَصَـــارَ كَالغِــذَاءِ لِلْقُلُــوبِ
كَالْجِسْــمِ بِالطُّعُـــومِ وَالْمَشْــرُوبِ
276 ــ فَتَسْتَفِيقُ الرُّوحُ مِنْ إغْمَائِهَــا
وَانْبَــثَّ نُــورُ الذِّكْــرِ فِي أرْجَائِهَـــا
277 ــ وَآلَــتِ الحَقِيقَــةُ النَّفْسِيَّــهْ
رَجُوعُهَـــا لِلْحَضْــرَةِ القُدْسِيَّـــهْ
278 ــ وَلاَحَــتْ أنْــوَارُ الْمُغَيَّبَــاتِ
وَذَاكَ مَبْـــدَأُ الْمُكَاشَفَـــاتِ
279 ــ حِينَئِــذٍ تَنْقَــدِحُ الأنْــوَارُ
وَتَظْهَـــرُ الغُيُــوبُ وَالأسْـــرَارُ

(من 263 إلى 279) ــ وفي هذه الأبيات يعرف الناظم القراء بالدرجات التي يتبعها السالك في طريق الذكر؛ فيقول: إن الذكر المتبع من قبل أهل الفضل وأهل البصيرة يتوازن ويتوافق مع دوائر ثلاث: الدائرة الأولى هي دائرة الإسلام، والدائرة الثانية هي دائرة الإيمان، والدائرة الثالثة هي دائرة الإحسان. ويتم الذكر بواسطة ثلاثة قوى هي: اللسان، والقلب، والروح التي ترتبط بمنصب الإحسان. ويتم الذكر بتدرج؛ حيث يشرع اللسان بالذكر، ثم القلب، وأخيراً الروح؛ لأن ترجمان القلب هو اللسان، بينما يكون القلب ترجماناً للروح. وعليه يبدأ اللسان بالذكر حتى يتعود؛ ولا يتوقف إلى أن يرسخ الذكر في القلب، ويتعود عليه ويندمج به اندماجاً مطلقاً؛ عندها يتوقف اللسان عن الذكر؛ وينتقل العمل إلى القلب الذي يستولي عليه وتتسع دائرة الأفكار، وتسطع الأنوار فيه؛ فيلجأ القلب عندئذ إلى مولاه بالذكر حتى تصير الألفاظ مستنسخة وراسخة؛ فيغدو الذكر كالغذاء للقلب؛ ومثل المآكل المتنوعة والمشروبات المختلفة للجسم؛ لا يمكن الاستغناء عنه. عندها تستفيق الروح من خمودها وإغمائها؛ وذلك عندما تنبث أنوار الذكر فيها؛ فيحصل ــ عندئذ ــ ما يرجوه السالك عندما تعود الحقيقة النفسية إلى

الحضــرة القدسيــة. فتنجــلي أنــوار الغيـــب؛ وهـــذا هـــو منطلــق الكشــف. عندهــا تسطــع الأنــوار وتظهــر الأســرار والغيــوب.

280 ــ وَهَاهُنَــا مَوَاقِــفٌ عَظِيمَــةٌ
وَفِتَـــنٌ خُطُوبُهَـــا جَسِيمَـــةٌ

281 ــ تَــزِلُّ فِي خُلَلِهَــا[1] الأقْــدَامُ
وَكَــمْ تَضِــلُّ عِنْدَهَـــا الأحْـــلاَمُ

282 ــ فَإنْ يَقِفْ بِهَا امْــرُؤٌ بِهَا سُلِبْ
وَعَنْ جَمِيــعِ الدَّرَجَــاتِ قَــدْ حُجِــبْ

283 ــ وَكَــمْ أخَا جَهْلٍ بِذَاكَ طُــرِدَا
وَاللَّــهُ يَهْــدِي مَــنْ يَشَــاءُ لِلْهُــدَى

284 ــ فَمَــنْ يَقِــفْ بِفِتَــنِ البِدَايَــهْ
حُجِــبَ عَــنْ مَرَاتِــبِ النِّهَايَـــهْ

285 ــ فَمَنْ يَكُنْ مَقْصُــودُهُ مُتَّحِــدَا
وَلَــمْ يَكُــنْ مُلْتَفِتــاً لِمَــا بَــدَا

286 ــ فَــذَاكَ بَالِــغٌ إلَى مَقْصُــودِهِ
وَوَاقِـــفٌ بَيْــنَ يَـــدَيْ مَعْبُـــودِهِ

287 ــ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ عَنْ بَصِيرَتِهْ
وَيَقْــذِفُ الأنْـــوَارَ فِي سَرِيرَتِـــهْ

288 ــ وَلاَ يَــزَالُ جُمْلَــةَ الأوْقَــاتِ
يَجُـــوبُ أطْـــوَارَ التَّجَلِيَـــاتِ

[1] الخلــل مفــرد خــلال: منفــرج مــا بيــن كــل شيئيــن.

289 ـ حَتَّى يَحِلَّ بِسَنَامِ الطُّورِ
فينتهي لحظه في النور[1]

290 ـ وَيَنْتَهِي لِحَضْرَةِ الدُّنُوِّ
بِقَدْرِ حَظِّهِ مِنَ العُلُوِّ

291 ـ فَصَارَ إِذْ ذَاكَ يُنَاجِي رَبَّهُ
فَزَجَّ فِي بَحْرِ العُلُومِ قَلْبَهُ

292 ـ وَفَتَحَ البَابَ لَهُ فِي قَلْبِهِ
وَصَارَ مِنْهُ آخِذاً عَنْ رَبِّهِ

293 ـ فَرُدَّ نَحْوَ مَرْكَزِ البِدَايَهْ
إِذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الوِلاَيَهْ

294 ـ وَصَارَ وَارِثاً عَلَى الحَقِيقَهْ
وَمُرْشِداً لِسَائِرِ الخَلِيقَهْ

(من 280 إلى 294) ـ يتكلم الناظم في هذه الأبيات عن المرحلة التي يصل فيها السالك إلى مرتبة الكشف؛ حيث يقول بأنها مرحلة خطيرة وعظيمة الشأن؛ ففيها قد تَزِلّ قدم السالك في مهاوي المهالك.[2] لأن هذه المرحلة لا يطيقها إلا أهل التقى

[1] هذا البيت عجزه غير موزون ولا مفهوم؛ ويبدو أن الناسخ نسي كلمة؛ وقد تكون "في"؛ فيصبح الشطر هكذا:

فينتهي في لحظة في النور

[2] أشار ابن خلدون إلى هذا الأمر بقوله: ((قد يكون صاحب المشاهدة متجاوزاً لمقامها، متمكناً فيه؛ فيكون أثبت لهذا التجلي وأقوى على احتماله؛ فإن المريد إذا استولى على مقام فهو ما دام يستولي عليه يتمكن فيما قبله. قال الأستاذ أبو القاسم [القشيري] في

والاستقامة الصادقة. فإن تعثر السالك في هذا الطريق ضاع وضيع أحلامه في كشف الحجاب. لأن ثمة كثير من الجهلة خابوا وطردوا وحجبوا. أما الذي صدق في سعيه ونبذ الأغراض المشبوهة وعمل في الذكر والمجاهدة بإخلاص؛ فإنه واصل إلى مقصده، ومحقق لهدفه في الكشف والوقوف بين يدي ربه. فيحظى بكشف الحجاب عن بصيرته، وبث الأنوار في سريرته. وهكذا يظل طوال أيامه يجوب أطوار التجليات، وينعم بالقرب والدنو بقدر حظه من السمو. وبذلك ينفتح باب الحضرة في قلبه؛ فيغدوا آخذاً عن ربه؛ فيمنح درجة الولاية، ويصبح مرشداً وعالماً بالحقيقة.

295 ــ فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرِّجَالِ
وَآلَ أَمْرُهَا إِلَى الزَّوَالِ

296 ــ وَكَثُرَ الْمُلَبِّسُونَ فِيهَا
وَصَارَ ذُو البِدْعَةِ يَدَّعِيهَا

297 ــ وَأَسَفَا عَلَى الطَّرِيقِ السَّابِلَهْ
أَفْسَدَهَا الطَّائِفَةُ الدَّجَاجِلَهْ

باب البوادة [البوادة أو الهواجم هي ما يفاجأ القلب للوهلة من الحزن أو السرور] ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوة؛ أولئك هم سادة الوقت. ولما رجع من رجع منهم من هذا السفر فائزاً بالغنيمة، حاصلاً على الغاية؛ حذروا من غرر ها الطريق وخطره حتى في نفس المقصد الذي أقله النجاة. أعاذنا الله؛ فإن سلم من هذا كله فقد فاز فوزاً عظيماً)). شفاء السائل، ص: 32.

298 ـ قَـدْ أحْدَثُوا طَرِيقَـةً بِدْعِيَّـهْ
وَرَفَضُـوا طَرِيقَـةَ الشَّرْعِيَّـهْ
299 ـ يَا عَجَبـاً لِرَافِـضِ الشَّرِيعَـهْ
وَيَـدَّعِي دَرَجَـةً رَفِيعَـهْ
300 ـ وَكَيْفَ يَرْقَى سُلَّـمَ الحَقِيقَـهْ
مُخَالِـفٌ لِسَيِّـدِ الخَلِيقَـهْ
301 ـ وَاحَسْـرَةً عَـلَى الصِّـرَاطِ المُسْتَقِيـمْ
قَـدِ ادَّعَـاهُ كُـلُّ أفَّـاكٍ أثِيـمْ
302 ـ قَدْ أشْرَفُوا عَلَى كُهُوفِ الكُفْرِ
وَسَتَـرُوا بِدْعَتَهُـمْ بِالفَقْـرِ
303 ـ وَاتَّخَـذُوا مَشَائِخـاً جُهَـالاَ
لَـمْ يَعْرِفُـوا الحَـرَامَ وَالحَـلاَلاَ
304 ـ لَمْ يَقِفُـوا عِنْدَ حُـدُودِ اللَّـهِ
وَسُنَّـةِ الهَـادِي رَسُـولِ اللَّـهِ
305 ـ فَنَفَّرُوهُـمْ مِنْ رُعَـاةِ الدِّيـنِ
أولِي التُّـقَى وَالعِلْـمِ وَاليَقِيـنِ
306 ـ فَأعْرَضُوا عَنْ سُبُـلِ الرَّحْمَـنِ
وَاتَّبَعُـوا مَسَالِـكَ الشَّيْطَـانِ
307 ـ وَهَدَّمُـوا قَوَاعِـدَ الإسْـلاَمِ
وَاعْتَبَـرُوا خَرَائِـفَ الأوْهَـامِ
308 ـ وَعَكَسُـوا حَقَائِـقَ الأمُـورِ
وَنَصَبُـوا حَبَائِـلَ الفُجُـورِ

309 ـ وَأولِعُـوا بشَهَـوَاتِ النَّفْـسِ
لِكُـلِّ بِـدْعِيٍّ لَهُـمْ تَـأسِ

310 ـ وَجَعَلُوا مِلْءَ البُطُونِ أصْلَهُـمْ
بَنَـوْا عَلَيْـهِ أمْرُهُـمْ وسبلهـم

311 ـ بُعْـداً لِقَوْمٍ ألْحَدُوا فِي الدِّيـنِ
وَاشْتَغَلُـوا بِطَاعَـةِ اللَّعِيـنِ

312 ـ وَأولِعُـوا بالإفْكِ وَالتَّلْبِيـسْ
تَأسِيـاً بشَيْخِهِـمْ إبْلِيـسْ

313 ـ وَأسَفَـا عَلَى حُمَـاةِ الدِّيـنْ
أولِي الذَّكَـا وَالعِلْـمِ وَالتَّمْكِيـنْ

314 ـ آهٍ عَلَى طَرِيقَـةٍ قَدْ ذَهَبَـتْ
وَهُدِّمَـتْ أصُولُهَـا وَقُلِبَـتْ

315 ـ وَهَاجَ إفْـكُ الْمُدَّعِيـنَ فِيهَـا
وَصَـارَ مَـنْ يَطْـلُـبُهَـا سَفِيهَـا

316 ـ آهٍ عَـلَى طَرِيقَـةِ الكَمَـالْ
أفْسَدَهَـا طَائِفَـةُ الضَّـلاَلْ

317 ـ آهٍ عَلَى طَرِيـقِ أهْـلِ الَّـهِ
آهٍ عَـلَى طَرِيـقِ حِـزْبِ اللَّـهِ

318 ـ طَرِيقَـةٌ أفْسَدَهَا أهْلُ البِـدَعْ
فَتُرِكَـتْ مَهْجُـورَةً لاَ تُتَّبَـعْ

319 ـ طَرِيقَـةٌ أفْسَدَهَـا الفُجَّـارُ
فَكَثُـرُوا وَانْتَشَـرُوا وَثَـارُوا

320 ــ وَظَهَــرَتْ فِي جُمْلَةِ البِــلاَدِ

طَائِفَــــــةُ البَلْــــــــعِ وَالازْدِرَادِ

321 ــ قَدْ أحْسَنَ الوَالِدُ فِي العِبَــارَهْ

إذْ قَــالَ قَــوْلاً صَــادِقَ الإشَــارَهْ

322 ــ فَقَالَ فِي أولَئِــكَ الدَّجَاجِلَــهْ

مَقَالَــــــةً صَادِقَــــــةً وَعَادِلَــــــهْ

323 ــ وَزَنْتُهُمْ بِالشَّرْعِ فَهْــوَ نَــائِي

مِنْهُــمْ كَمِثْــــلِ الأرْضِ وَالسَّمَــــاءِ

324 ــ وَزَنْتُهُــمْ بِمِنْهَــاجِ الحَقِيقَــهْ

فَلَــمْ أجِــدْ لَهُــــمْ مِنْهَــا دَقِيقَــــهْ

325 ــ بَلْ هَتَكُوا مَحَــارِمَ الشَّــرْعِ القَوِيــمْ

فَنُكِّبُــوا عَــنِ الصِّــرَاطِ المُسْتَقِيــــمْ

326 ــ فَكَــانَ <u>ينمهـــم</u> إلَى الدَّجَّــانِ

فَارْحَمْــهُ يَــا ذَا الفَضْــلِ وَالإحْسَــانِ

327 ــ يَا وَيْلَتِي هَذَا زَمَــانُ البِــدَعِ

مَــاتَ بِــهِ أهْــلُ التُّــقَى وَالْــوَرَعِ

328 ــ وَاحَسْرَتِي عَلَى الْكِرَامِ البَــرَرَهْ

قَــدَ أُخْلِفُــوا بِالْمُدَّعِيــن الفَجَــــرَهْ

(مــن 295 إلى 328) ــ يعالــج الناظــم في هــذه القطعــة موضــوع الدجاليــن المدعيــن زوراً للتصــوف. فيستهــل القــول

بالتنويه بالطريقة الصحيحة التي قال فيها أنها طريقة الرجال الصالحين؛ ولكنها زيفت وحرفت؛ فآل أمرها إلى الزوال؛ بسبب الخلط والمشابهة على أيدي المدعين من أهل البدع. ثم يتأسف على الطريقة الصحيحة التي أفسدها الدجاجلة؛ الذين أحدثوا طريقة مبتدعة، ورفضوا الطريقة الشرعية. وبعدها يتعجب من الذي يدعي المرتبة الرفيعة في الدين؛ بينما هو متنكر ورافض للشريعة. ثم يتساءل: كيف يطمع المخالف لسيد الخليقة في الرقي وتسلق سلم الحقيقة؟ وبعدئذ يتحسر على الصراط المستقيم؛ الذي يدعي الأفاكون والآثمون باجتيازه؛ أولئك الأفاكون الذين ستروا بدعتهم بادعاء الفقر والزهد؛ وتداروا وراء مشائخ جهلة لا يفرقون بين الحلال والحرام، ولا يحترمون حدود الله، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأمثال هؤلاء الجهلة؛ تسببوا في نفور الناس من أهل العلم الصادق، ورعاة الدين الحنيف. وبذلك تراهم قد ابتعدوا عن السبل الواصلة بالله؛ في الوقت الذي تراهم قد سلكوا الطرق المؤدية إلى الشيطان. فوصل بهم الحال إلى تهديم أركان الإسلام؛ باعتقادهم في الخرافات والأوهام. ثم يقول عنهم أنهم عكسوا الحقائق، ونصبوا الفخاخ والمغريات لنشر الفجور. كما افتتنوا بشهوات النفس، وألحدوا في الدين، واشتغلوا

بطاعة الشيطان اللعين. ثم يتأسف على غياب العلماء المتمكنين؛ من أهل الذكاء والعلم؛ الذين أوقفوا أنفسهم على حماية الدين الحنيف. ثم يقول متأوهاً: آه على طريقة الصوفية المؤدية للكمال؛ تلك الطريقة التي أفسدها أهل الضلال والفجور؛ فتعرضت أصولها للتهديم بهياج المدعين، الكاذبين، المزورين. وهكذا ظهرت في أرجاء البلاد طائفة لا يهمها سوى البلع والازدراد. ثم يشير إلى ما قاله والده بخصوصهم فيقول: لقد صدق الوالد في وصف أولئك الدجاجلة حين قال: وزنتهم بالشرع فوجدت أنهم بعيدون عنه كبعد الأرض عن السماء. ووزنتهم بمنهاج الحقيقة فلم أجد لهم منها ذرة من الحقيقة؛ لأنهم هتكوا محارم الشرع القويم، وخرجوا عن الصراط المستقيم. ثم يقول: يا ويلتي هذا زمان البدع؛ الذي غاب فيه أهل التقى والورع؛ ثم يتحسر على الكرام البررة الذين استُخلفوا واستُبدلوا بالفجرة والمدعين للعلم.

329 ـ وَجَدَنِي العَذُولُ يَوْماً بَاكِيَا

وَبحَدِيثِ سَادَتِي مُنَادِيَا

330 ـ وَا أسَفَا بَادُوا فَمَنْ لِي مُرْشِدَا

فَقَالَ جَاهِلاً بِأمْرِي مُنْشِدَا

331 ـ يَا أَيُّهَا التَّائِهُ فِي البَيْدَاءِ

مَا لِي أرَاكَ دَائِمَ البُكَاءِ

332 ـ أرَاكَ نَائِحـاً عَـلَى الآثَـارِ
وَالطَّلَلِ البَـالِي رُسُومَ الـدَّارِ
333 ـ مَهْلاً عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِيـنُ
أخَـافُ أنْ يَأتِيَـكَ المَنُـونُ
334 ـ فَقُلْتُ إنِّيَ يَـا أخِي أنُـوحُ
عَـلَى فِـرَاقِ سَـادَتِي أصِيـحُ
335 ـ قَـدْ رَحَـلُوا قَاطِبَةً وَذَهَبُـوا
طُـراً وَمَـا عَلِمْتُ أيْـنَ ذَهَبُـوا
336 ـ وَلاَ أزَالُ هَكَـذَا مُسْتَمْسِكَـا
عَـسَى دَلِيـلُ القَـوْمِ يَسْمَـعُ البُكَـا
337 ـ وَإنْ أمُتْ أمُوتُ فِي هَوَاهُـمْ
إذْ لَيْـسَ لِي مِـنْ سَـادَةٍ سِوَاهُـمْ
338 ـ وَأسَفَا عَلَى الرِّجَالِ الكَامِلِيـنْ
قَـدْ ذَهَبُـوا بَيْـنَ الْعِبَـادِ خَامِلِيـنْ
339 ـ فَسُتِـرُوا بِظُلُمَـاتِ الْبِـدَعِ
فَلَـمْ يَبِيـنَ صَـادِقٍ مِـنْ مُـدَّعِ
340 ـ وَذَهَبُوا وَاللَّـهِ فِيمَـنْ ذَهَبَـا
وَسَكَنُـوا بِالْفَلَـوَاتِ وَالـرُّبَى

(من 329 إلى 340) ـــ يقول الناظم في هذه الأبيات: أن أحدهم ممن يجهل أمره؛ قد لامه على بكائه لغياب شيوخه الموجهين المرشدين؛ إذ قال له:

مـــا لي أراك تائهـــاً في البيـــداء، ودائـــم البكـــاء، تنـــوح عـــــلى الآثـــار والأطـــلال الباليـــة؛ هـــلاَّ أشفقـــت عـــلى نفســـــك ـــ يـــا مسكيـــن ـــ مـــن الأسقـــام والمـــوت. فأجابـــــه الناظـــــم قائـــلاً: أنـــه يبـــكي عـــلى فـــراق شيوخـــه؛ الذيـــــن رحلـــــوا بكاملهـــم دون أن يعلـــم مكـــان إقامتهـــم؛ ثـــم أضـــاف: فـــإذا مـــت فسأمـــوت حبـــاً فيهـــم. ثـــم يتأســـف عـــلى الرجـــــال الكامليـــن؛ الذيـــن اختـــــاروا سبيـــــل الخمـــــول؛ ولكـــــن حجبتهـــم ظلمـــات البـــدع، وهكـــذا؛ اختلـــط الأمـــر؛ فلـــــم يعـــد فـــرق بيـــن الصـــادق والمـــدّع؛ وعـــــلى هـــــذا فقـــــد اختـــار الشيـــوخ الصادقـــون الذهـــاب إلى الفلـــوات والـــرّوابي.

341 ـــ وَمَنْ يُـــرِدْ مَعْرِفَـــةً بِالبِـــدَعِ
وَمَـــا يُبْـــنَى عَلِيْـــهِ أصْـــلُ المُـــدَّعِي

342 ـــ فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَـــا الـــزَّرُّوقِ
عَجَائِـــــبٌ فَائِقَـــــةُ الرُّتُـــــوقِ

343 ـــ ثُمَّ صَـــلاَةُ اللَّـــهِ كُلَّ حِيـــنْ
عَـــلَى أجَـــلِّ مَـــنْ أتَى بِالدِّيـــــنْ

345 ـــ مُحَمَّدٍ سُلْطَانِ أهْـــلِ الحَضْرَةِ
وَآلِـــــهِ أجَـــــلِّ كُـــــلِّ زُمْـــــرَةٍ

346 ـــ فِي أرْبَعٍ وَأرْبَعِينَ قَـــدْ نَجَـــزْ
مِنْ عَاشِـــرِ القُـــرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَـــزْ

(من 341 إلى 346) ــ وفي الختام ينصح الناظم كل من يرغب في الإطلاع، ومعرفة أهل البدع وأعمالهم؛ أن يقرأ كتاب **الزروق الفاسي**؛ لأن به عجائب ذات منعة وعز كبرين.

*****

خامساً ــ الرائية في مدح الرسول لى الله عليه وسلم:

تفضل الأستاذ **محمد يزيد العلوي** فمنحني نسخة من القصيدة الرائية للعلامة **عبد الرحمن الأخضري**؛ مأخوذة من أحد المخطوطات؛ كان قد جلبها من **غرداية** زميله الأستاذ **سعد السعود خشاب**. وهي في مدح الرسول صلى الله علية وسلم، وفي الوعظ. نظمها من البحر البسيط؛ وهي في 163 بيتاً. ويبدو أن مستوى النسخ كان ضعيفاً للغاية؛ ويتجلى ذلك من خلال الأخطاء الإملائية، والخط الرديء. ومع هذا فقد حاولت تحقيقها وشرح بعض مفرداتها؛ فأرجو من الله التوفيق، وألتمس من القارئ العذر إذا ما خانني الحظ.

وقبل الشروع في قراءة القصيدة؛ أعرف القارئ الكريم بأن الناسخ أخفق في نسخها بشكل صحيح؛ وعليه فقد اضطررت إلى وضع خط تحت الشطر أو البيت المضطرب؛ بفعل كلمات غير مفهومة أو خلل في الوزن. وقد حاولت إصلاح الأخطاء بما تيسر. ونظراً لانعدام نسخة أخرى يمكن بواسطتها المقارنة والتحقق؛ فقد اكتفيت بوضع تلك الخطوط لكي يتسنى فيما بعد التحقق منها؛ إذا ما توفرت نسخة أو أكثر من القصيدة.

الحمد الله طول الدهر والعمر

ثم الصلاة على المختار من مُضَرِ

يا ثاقب النور[1] ما أسناك من قمر

هل اطلعت على أرض بها وطري

ألفيت صب الهوى يوما بعلته

جهلاً بحب لما في الجهل من ضرر

يا سايح الطَّرف ما للطِّرف سابحة

تغدوا البطاح ولا تشكوا من الضجر[2]

قَلا الصبابة لي والعِينُ قد فصلت[3]

وما وجدت لهذا العين من أثر

ومن مفارقة المحبوب قد بلغت

نفسي التراقيَ[4] لولا سابق القدر

إني أبيت من الأشواق في كمد

وما سئمت من (التخميم)[5] والسهر

---

[1] يا ثاقب النور: أي يا ذا النور الثاقب.

[2] سَاحَ الماء جرى على وجه الأرض؛ فهو ماء سائح. الطَّرْفُ: العين؛ وطرف طرفاً عينه: أصابها بشيء فدمعت. الطِّرف بكسر الطاء: الخيل الكريمة العتيقة. سبح سبحاً: أبعد في السير. غَدا غُدُوًّا: ذهب غدوة: أي انطلق. البِطَاحُ مفردها بطحاء: مسيل واسع برمال وحصى.

[3] قَلا: لوعة وحرقة. والصبابة: الشوق والحنين. العِينُ (بكسر العين) ـ هنا ـ هي بقر الوحش. فصلت: نقول: فصل فلان عن البلدة: خرج منها.

[4] المقصود هنا بالتراقي: التعوذ عند المرض أو الإصابة بشيء مكروه. وقد خالفت هذه الكلمة القياس.

[5] كتبها الناسخ: "الأخمام" ويبدو أنها "التخميم"؛ وهي كلمة عامية معناها: التفكير. وهي تخالف المعنى الفصيح لكلمات: خمم وخمامة: أي القمامة.

فليس مثلي من السّهّار من أحد

كيف السآمة للعشاق من (سمر)[1]

قد هب ريح الصَّبَا والقلب منه حَدَى

وعاد حال الصِّبَا في المهد من صغر[2]

قف يا حَمام على ربع شغفت به

واحمل سلامي إلى المحبوب واختبر

جاش الحَمام خلال الدار محتفلاً

وخالف القلب في أشواقه النُّكَر

لما رأيت حمام الدار سطحه[3]

شوق التلاقي إلى الأوطان والوكر

تضرم القلب من أشواقه أسفاً

وعدت مثل تَريف[4] العقل من سَكَر

غنى حمام الهوى بالشوق مضطرباً

فأضرم القلب نار الوجد بالسحر

فالقلب مضطرم والروح نائحة

(والبَثُّ يؤلمني فالحزن كالإبر)[5]

والنفس مني لذيذ العيش فارقها

وأسلمت نومها العينان في السهر

---

[1] كتبها الناسخ "سهر". وربما تكون "سمر"؛ لأن ضرب البيت السابق "والسهر".

[2] الصَّبَا بنصب الصاد المشددة: الريح الشرقية. الصِّبَا بكسر الصاد المشددة: الصغر.

[3] سطحه: صرعه، وأضجعه.

[4] يقال: رجل مُتْرَفٌ: إذا أبطرته النعمة وسعة العيش. والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها. وكلمة تريف مخالفة للقياس.

[5] هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون. يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

فاشتـــد حالي فما دائي بمنكشـــف

ولا سمعـــت عن المحبوب من خبـــر

فأصبحـــت بعده الأزواج باكيـــة

لما أهـــاج نسيم الوجـــد بالسحـــر

والعيـــن مني قد انْهَلَّـــتْ مدامعهـــا

جوف الدجى[1] لتريق الدمع كالمطـــر

يا عـــاذل الصّب إن الحب قاهـــره

كيف الحبيب سرى في السمع والبصر

إن الصبابـــة لا تخـــفى غوائلهـــا

وأمرها من قديم الدهـــر والعُصُـــر

وكم محـــب قديم الشـــوق جرعـــه

كأس الحِمَام[2] فما للعمـــر ذا بطـــر

فالقلب مني بنار الشـــوق مشتعـــل

مازال قلب شديد الحـــزن منكســـر

واهتزت الروح بالأشواق واضطربت

وأثَّـــرَ الحـــب فيهـــا أيمـــا أثـــر

إن قلت أي حبيب قد شغفت بـــه

أقـــول هذا حبيب اللـــه في البشـــر

---

[1] جـوف الـدجى: بطـن الليـل وأعماقـه.

[2] الحِمَـام بكسـر الحـاء: المـوت.

محمــــد خيـــر من يمشي على قـــدم

خيـــر الورى سيد الأملاك والنـــدر[1]

هذا محمَّـــدٌ الْمَخصوص بالشـــرف

من جاء بالروح والتوسيع والبشـــر[2]

هذا المقـــرب هذا المستغـــاث بـــه

هذا شفيع الورى في الموقف النكـــر

هذا رســـول كريـــم ما له كفـــؤ

هـــذا المفضـــل هذا سيـــد البشـــر

أمـــا الجمـــال فلا تـــدرك نهايتـــه

(فالبدر يسمو إذا ينأى عن البصـــر)[3]

أزكى الخليقـــة[4] ذو جيد ومبتســـم

أصفا من الذهب الإبريـــز والـــدرر

وفي الجـــوار[5] تلالا[6] مـــن تبسمـــه

نور كبرق يرى من فيه ذي العطـــر

وإن سألت عن الأخلاق والشيـــم

فليس فوق كتاب اللـــه من خيـــر[7]

---

[1] النـــدر: مـــا شـــذ، ومـــا فصـــح وجـــاد مـــن الكـــلام. ونقـــول: نـــادرة الزمـــان: أي وحيـــد عصـــره.

[2] البشـــر هنـــا: الســـرور والبشاشـــة والخبـــر المفـــرح.

[3] هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ومختـــل الـــوزن ويمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن.

[4] نقـــول: زكـــاه اللـــه: أي طهـــره.

[5] الكلمـــة هنـــا هي "جـــدار" ولكنهـــا غيـــر مفهومـــة؛ ويمكـــن وضـــع كلمـــة "جـــوارّ" بـــدلا منهـــا.

[6] اضطـــر الشاعـــر إلى استبـــدال "تـــلألأ" بكلمـــة "تـــلالا" بـــدون همـــزة لـــكي يستقيـــم الـــوزن.

[7] لأن خلقـــه القـــرآن صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم؛ كمـــا قالـــت عائشـــة رضي اللـــه عنهـــا.

يزهـــو بوجه كريم البسط مبتهـــج

بالعفـــو ملتحف كالبـــدر منسفـــر[1]

متـــوج بـــرداء العـــز مكتنـــف

بالحسن متصف أسنـــا من القمـــر

هو النـــبي الذي جلـــت محاسنـــه

وما لبهجتـــه مَثَـــلٌ مـــن الصـــور

أكـــرم بآيـــة ما أبـــدت أناملـــه

من خير ماء لذيذ الطعـــم منهمـــر[2]

والانشقـــاق لهـــذا البـــدر منزلـــة[3]

على الكواكب ما أسناه من قمـــر

تأســـف الجذع[4] إنكـــاراً لفرقتـــه

وحن مثل حنين الطِّـــرْفِ والجـــزر[5]

وآية الغـــار لا تخـــفى عجائبهـــا[6]

لمـــا اقتفاه رجال الكفـــر في نفـــر

والعنكبوت بباب الغار قد نسجـــت[7]

وفي الحمامـــــة آيـــة لمعتبـــــر[8]

---

[1] مُنْسَفِـر: منكشـف ومشـرق ومـضيء.

[2] إشـارة إلى معجـزة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم؛ حيـن وضـع يـده أو أصابعـه في إنـاء قليـل المـاء؛ فتوضـأ منـه كـل مـن كـان معـه.

[3] إشـارة لمعجـزة انشقـاق القمـر.

[4] إشـارة إلى معجـزة حنيـن الجـذع لرسـول اللـه.

[5] كلمـة جـزر هنـا تبعـث علـى الشـك في ضـرورة وضعهـا. ومـع هـذا يمكـن شرحهـا بالشـاة الـتي تسـاق إلى النحـر. أما الطِّـرف بكسـر الطـاء فهي: الخيـل الكريمـة العتيقـة.

[6] إشـارة إلى معجـزة غـار ثـور الـذي اختـفى فيـه رسـول اللـه مـع أبي بكـر.

[7] إشـارة للعنكبـوت الـتي نسجـت بيتهـا في مدخـل غـار ثـور.

[8] إشـارة للحمامـة الـتي بنـت عشهـا في مدخـل الغـار أيضـاً.

لما رأى خيفة الصديق قال له

الله مَعْنَا فلا تخشى من الضرر[1]

وكم تمنى أبو بكر يرافقه

قد نال والله ما يرجوه من وطر

يا فوزه قد حوى في الخلد منزلة

مع الرسول بدار البسط والسرر

وكم أزال من الداءِ العليل (قذى)[2]

ما كلَّ عنه فحول الطب والفكر

رمى الحصى بعد تسبيح براحته[3]

حتى أصاب من الكفار ذا بصر

فضاق ذرعا رجال الكفر وانهزموا

كل يولي على الأعقاب والدبر

الله أيده بالرعب منتصر[4]

فراع[5] منه جميع البدو والحضر

في كل معترك للحرب يغلبهم

بإذن رب عزيز النصر مقتدر

يعلو أمام عُلاَتِ[6] المجد مركبه

هُمُ الكواكب والمختار كالقمر

---

[1] الأفضل كلمة "تجزع" بدلاً من تخشى.

[2] الكلمة بدت كأنها "قد" ولكنها هنا لا معنى لها. لذا يمكن أن تكون "قَذَى".

[3] إشارة إلى معجزة تسبيح الحصى في يد رسول الله صلى الله علية وسلم .

[4] أي أيده بما كان ينتاب أعدائه من رهبة؛ فيرتدعون.

[5] فراع منه: ففزع منه.

[6] علاة في المجد: الأعلون في المجد.

أكرم (بجند)[1] سيوف المجد وشحهم

لِلَّـــهِ دَرُّ سيوف اللـــه مـــن نفـــر

من كل سام شديد البطش ممتشـــط

في الحـــرب مغتبـــط لِلَّـــهِ منتصـــر

كالليث يبغ الـــوغى بالقهر متصف

للأمـــر ممتثـــل للحـــرب معتبـــر

وبالجنـــود مـــن الأمـــلاك أيـــده

كذاك ريح الصَّبا في ساعة العَصَـــر

فيا قريضـــة ما أقرضت من مجـــن[2]

في خبير السوء ما جربت من خيـــر

إذا الشهادة في بدر فهـــل طلعـــت

فيك البـــدور من الأبطال والغـــرر

فيا خبير الوغى يا ذا الخطوب فهـــل

سمعت فيك خبيـــر السهم والوتـــر

ويا بن حرب أبا سفيان ما شهدت

عيناك من عقبات الحرب من خبـــر

ما زال يهوي إلى الهيجاء خلفهـــم

كالليث يهوي إلى الأنعام والحمـــر

---

[1] يبـــدو أن الكلمـــة هنـــا هي "جنـــد" وليـــس "تجـــد" كمـــا كتبـــت في الأصـــل.

[2] بنـــو قرضـــة: فرقـــة مـــن يهـــود المدينـــة. مـــا أقرضـــت مـــن مجـــن: أي مـــا جازيـــت بـــه أصحـــاب الخيـــر بالشـــر والمجـــون.

حـــتى أُنيـــلَ بنصر اللــــه نصرتـــه

فما أقام لـــدار الشكـــر من أثـــر

طـــوبى لطيبة قد طابت جوانبهـــا

ما غـــرَّ أرض ثواها سيـــد البشـــر

فيـــا سراقة[1] ما للطِّـــرْف جاثمـــة

على القوائم في بطحـــاء كالحجـــر

فيا رُكَانَـــة[2] ما ألفيت فيك قـــوى

لما سمعت خطاب الصدق للحجـــر

خـــرت بإثر تمام السيـــر ساجـــدة

للمصطفى أدباً سبحان ذي القـــدر

ويا حذيفـــة[3] أبصرت من عجـــب

ويا قتـــادة[4] ماذا نلت في (البصـــر)[5]

يا طيبـــة المجـــد ما أعلاك من بلـــد

يا بلدة المصطفى يا خيـــرة المـــدر

---

[1] هـو سراقـة بـن مالـك بـن جُعشـم؛ الـذي اقتـفى أثـر الرسـول لمـا هاجـر؛ فعجـز عـن إعادتـه إلى مكـة؛ بسبـب تعثـر فرسـه وغـرق قوائمهـا في أرض صخريـة؛ وذلـك كلمـا هـم بإطـلاق سهـم مـن سهامـه.

[2] هـو ركانـة بـن عبـد يزيـد بـن هاشـم بـن المطلـب بـن عبـد منـاف. قـال لرسـول اللـه ـ عندمـا التـقى بـه في جبـل مـن جبـال مكـة ـ إني أطلبـك للمصارعـة؛ فـإن صرعتـني آمنـت بأنـك صـادق في نبوتـك. فصارعـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم فصرعـه.

[3] هـو أبـو عبـد اللـه حذيفـة بـن اليمـان العبـسي؛ يعـرف بيـن الصحابـة "بصاحـب سـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم"؛ وهـو الـذي أرسلـه عليـه السـلام في غـزوة الخنـدق لرويـة حـال الأحـزاب؛ فرجـع بخبـر رحيلهـم.

[4] ربمـا كـان هـو قتـادة بـن النعمـان بـن يزيـد الظفـري الأنصـاري؛ كـان قـد فقـد عينـه فـي إحـدى الغـزوات؛ فتعلقـت بعرق تـدلا منهـا؛ فأعـاد الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلـم حدقتـه بيـده الكريمـه إلى موضعهـا ودعـا لـه؛ فأبصـر.

[5] كتبـت "البطـر" وربمـا كانـت في لأصـح هي: "البصـر" لـكي يتضـح المعـنى.

للـــه در أناس العـــز قد سكنـــوا

بهـــا فليـــس لهم كفـــؤ من البشر

وكيف لا ورسول الله حـــل بهـــا

يا فوزها بضريـــح مثمـــر عطـــر

مـــني سلام إلى قـــوم بهـــا قطنـــوا

هم الأكابـــر والســـادات للبشـــر

لقـــد عجبـــت لآيـــات بمولـــده

جاءت بخط على الآفـــاق منتشـــر

فالشهـــب ثاقبـــة والجـــن هاتفـــة

والنـــار خامـــدة لله مـــن عبـــر

وعرش إبليس قد (انعى حزبه أسفا)[1]

وأشعـــر الجن والكهـــان بالخبـــر

(أهل)[2] الصوامع والأحبار قد شهدوا

على اليقيـــن بما ألفـــوه في الزبـــر

وفي شفاعتـــه العظـــمى شهادتهـــا

للمصطفى بكمـــال غيـــر مستتـــر

فما برحت إمام الرســـل[3] مرتقبـــا

إلى مقام علا بالصلـــب[4] مشتهـــر

---

[1] صـــدر البيـــت هـــذا غيـــر مفهـــوم ولا مـــوزون؛ لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن لـــكي ينسجـــم مـــع سيـــاق البيـــت.

[2] كلمـــة غيـــر مفهومـــة؛ لـــذا يمكـــن وضـــع كلمـــة "أهـــل" بـــدلاً منهـــا.

[3] إشـــارة إلى إمامتـــه الصـــلاة بالأنبيـــاء والرســـل خـــلال المعـــراج.

[4] الصُـــلْـــبُ: فقـــرات الظهـــر. والصُـــلْـــبُ: الحســـب. والصُـــلْـــبُ: الشديـــد.

ثم انثنيـــت على متن البـــراق ولم

تستكمل الليل بين (القدس والمـــدر)[1]

أنـــت النبي الـــذي حقت نبوءتـــه

في صلب آدم بل في اللوح والزبـــر

وبالـــغ[2] الله في التنويـــه مادحهـــم

سطر يُرَى تحت ساق العرش مستطر

ويذكر اسمـــك باسم الله مقترنـــا

فهـــذه غايـــة التعظيـــم والفخـــر

وليس فوق كتـــاب الله معجـــزة

تغـــن اللبيب عن البرهان والنظـــر

قد كل وصف فما تغني المدائـــح في

من خصه الله بالتفضيل في البشـــر

ماذا أعبـــر في مدح الرسول فقـــد

أعيـــا ثنـــاه رجال العلم والفكـــر

لو أن جملة ما في الكون من نَسَـــم

أقلامها كل ما في الأرض من شجر

أو البحار مداد الكتـــب ما كتبـــوا

من الثناء سوى كالرشف من مطـــر

---

[1] الشطـر ناقـص كلمـة؛ ربمـا كانـت "القـدس"؛ وثمـة كلمـة أخـرى غيـر واضحـة؛ لـذا قـد يكـون استكمـال الشطـر كمـا جـاء بيـن قوسيـن.

[2] ربمـا يكـون الناسـخ هـو الـذي وضـع هـذه الكلمـة.

لكل مدحي له في الحشر ينفعني

إذا الجحيم تلاقي الناس بالشرر

عسى أنال نصيبا من شفاعته

يوم القيامة في أهوالها الكبر

ومن يكن برسول الله معتصما

<u>يفز بركن منيع الركن (والأطر)</u>

حاشى الرسول يصيب المستغيث به

ريب المنون بحفظه الله لم يضر

أعجب بما في خطاب الضب من عجب[1]

لبيك يا خير خلق الله في الخبر

والظبي والذئب والأنعام قد نطقت[2]

نطق الجماد ونطق العير والشجر

إن الكواكب في الأفلاك سائحة

كل يصلي على المختار من مضر

كذا الحجارة قد جاءت تحيتها

للمصطفي وسلام السقف والجدر

وانظر ترى عجبا في حسن سيرته

فليس يشبهها شيء من السير

---

[1] إشارة إلى معجزة شهادة الضب برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[2] إشارة إلى معجزات أخرى: كسؤال الظبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلقها لكي ترضع صغارها وتعود. وشهادة الذئب برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشكوى البعير لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قلة العلف وكثرة العمل. وشكوى الطيور له بسبب أخذ بيضها. وسجود غنم بعض الأنصار له. وكثير من هذا.

يا سيـــد الخلق ويا خير الأنـــام ويا

ذا المعجزات وذا الآيـــات والعبـــر

قد اصطفاك إلـــه العـــرش خالقنـــا

وخصـــك الله بالتعظيـــم والزبـــر

وبعلاك جميـــع الرسل قد شهـــدت

(ووافق) الحسن والتعظيم كل سري[1]

دعوت للخلق عام القحط إذ سألوا

منـــك الدعاء فزال القحط بالمطـــر

والله ما هبطت كفـــك إذ رفعـــت

حتى أراق فجاج السهل والوعـــر

(دام الحَبَا مغرقاً للأرض في زمـــن)[2]

لـــولا دعاؤك لم يبـــرح بمنهمـــر

(فأوقف) الغيث حول الناس (إذ غمهم)[3]

كي لا يكون له في الناس من ضرر

أسرى بك الله من بيـــت الحرام إلى

بيـــت مباركة بالقـــدس مشتهـــر

وبشَّرَتْـــكَ (وفود)[4] الأنبيـــاء بهـــا

لك البشارة يا ذا الفخر (والأثـــر)[5]

---

[1] ســـري: صاحـــب مـــروءة وسخـــاء. الكلمـــة الأولى غيـــر واضحـــة؛ ويمكـــن قراءتهـــا (ووافـــق).

[2] هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ولا موزون. لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن. (كلمـــة الحبـــا) تعـــني: السحـــاب الكثيـــف المقتـــرب مـــن الأرض.

[3] هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ولا مـــوزون؛ لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن.

[4] بقعـــة مـــن الحبـــر غطـــت هـــذه الكلمـــة؛ ويمكـــن أن تكـــون "وفـــود" أو "جمـــوع".

[5] الكلمـــة في عـــروض البيـــت غيـــر واضحـــة. يمكـــن أن تكـــون: "والسيـــر" أو "والأثـــر".

(ومن) هناك وقِيتَ السمع مخترقا[1]

مع الأفاضل روح القدس في زمر

....

...............................[2]

ومنذ ألفيت نفسي في سرادقه

ضفرت منه بجاه غير منتظر

يا سيي يا رسول الله ليس لنا

إلا حماك لدى الأهوال والوزر

فيا حبيبي ويا ذخري ويا أملي

يا شفيع الورى في الضيق والخطر

ويا رجائي ويا عزي ويا سندي

ويا عمادي ومن أقضي به وطري

ما لي شفيع ولا من أستغيث به

سواك يا سيد الأملاك والبشر

هذا عُبَيْدُكُمُ[3] الجاني ينوح أخا

قلب كئيب من الزلات منكسر

هذا عُبَيْدُكُمُ ملقى ببابكم

يرجوا شفاعتكم يا خير منتصر

---

[1] الكلمة الأولى في الصدر عليها بقعة من الحبر؛ ويمكن أن تكون "ومن".

[2] هذا البيت غير واضح ولا مفهوم. يمكن قراءته هكذا:

لعلّ أضفر من عُقْبَى مدائحه   بموقف ومقام السعد للمدخر

[3] استعمل صيغة التصغير لكلمة عبدكم.

مالي مقـــام ولا جـــاه ألـــوذ بـــه

يوما سواك حبيـــب الله في النـــدر

إذا مررت على الأهوال خذ بيـــدي

يا سيدي ليس لي صبـــر[1] على سقر

يا ذا الجلال ويا ذا الفضل والكـــرم

نـــج عبيـــدك يا رب من السعـــر[2]

وامنح عبيدك يا مـــولاي مغفـــرة

تمـــحي الذنوب ولا تبقي ولا تـــذر

قد مر عمرى في الهوى وفي طـــرب

وفي اتباع الهوى يا ضيعـــة العمـــر

واسوءتا كيف ألقى الله، ذا الزلـــل[3]

إني المقـــر ما في الكـــون من وزر

فليـــس ينجو بذاك اليوم من أحـــد

إلا رجـــال التقى، وَيْـــحٌ لمقتصـــر

مـــني القطيعـــة والرحمن ذو كـــرم

وما امتثلـــت و لم أصـــغ لمزدجـــر

كيف النجاة وما قدمت من عمـــل

أنجـــو به يـــوم لا عـــذر لمعتـــذر

---

[1] الأفضـــل هنـــا كلمـــة "جُهْـــدْ"؛ لأن عبـــارة "ليـــس لي صبـــر" قـــد تعـــطي معـــنى معاكـــس.

[2] سُعُـــرّ؛ مفردهـــا السعيـــر: لهـــب النـــار. والسُّعُـــرُ: الجنـــون.

[3] كـــذا... واللـــه أعلـــم

يا صامد القلب يا مغرور بالأمـــل

يا ذاهـــب الوقت في لهو وفي خطـــر

مالي أراك على الـــزلات منعكفـــا

كأنمـــا لإلـــه العـــرش لـــم تحشـــر

بعد الخروج من الدنيـــا ترى ندمـــا

ولـــو دخلـــت إلى دار النعيـــم جـــر[1]

تقـــول بعد خروجك يـــا أسفـــا

وأطوَلَّ حزني على ما فات من عمـــر

لم أكتسب عملا في البعث ينفعـــني

ولا جمعـــت شئـــون الـــزاد للسفـــر

مات الرجال وما أبقى الزمان سوى

قـــوم قلوبهـــمُ أقـــسى مـــن الحجـــر

عُـــمْيُ البصائر إن مروا بموعظـــة

مـــروا كسائمـــة الأنعـــام والحمـــر

فاحذرهُمُ أبداً واحـــذر مجالسهـــم

هُـــمُ الشياطين كن منهـــم على حـــذر

وفِـــرَّ من قرنـــاء الســـوء مجتهـــداً

واصحب رجال التقى تصفو من القذر

وفِـــرَّ من علمـــاء الســـوء إنهـــم

في البعث أول من يُلـــقى على سقـــر

---

[1] الجـــري: الوكيـــل والضامـــن.

يا ويح من لم يكن بالعلم ذا عمـــل

يا طول حسرته إن كان ذا خطـــر

والجاهلـــون من العبـــاد أكثرهـــم

على الضلال فكن منهم على حـــذر

فالقـــوم قد ختلـــوا الدنيا بآخـــرة

ألقـــوا بأنفسهم بالجهل في الغـــرر

لكنهم ستـــروا بالفقـــر بدعتهـــم

هم الزنادقـــة الضُّـــلاَّل في البشـــر

باعوا الفريضة بالمنـــدوب يا عجبا

ما لِلْفَرَاشِ[1] رمى بالنفس في السعـــر

لا تطمئن إلى الدنيـــا وزخرفهـــا

فـــإن غايتهـــا كاللمـــح بالبصـــر

وكن منيبـــا إلى الرحمـــن متقيـــا

طـــوبى لمرأى منيب القلب مذكـــر

فاعلم بأن سراح القلـــب فكرتـــه

والقلب تغمـــره الأنـــوار بالفكـــر

واعلـــم بأن صفـــاء القلـــب أربعـــة

بالورع والصمت والإفراد والسهر[2]

---

[1] إشـــارة إلى الفراشـــات الـــتي لا تكـــف عـــن الـــدوران حـــول ضـــوء القنديـــل حـــتى تسقـــط في لهيبـــه.

[2] هـــذه الصفـــات اتبعهـــا المتصوفـــة؛ ويقصـــد منهـــا: 1 ـ الورع وهـــو مجاهـــدة التقـــوى عندهـــم. 2 ـ ثـــم الصمـــت وهـــم الصيـــام عـــن الكـــلام وتعويضـــه بالذكـــر. 3 ـ ثـــم الإفـــراد: وهـــو الإنفـــراد والعزلـــة. 4 ـ ثـــم السهـــر: وهـــو قضـــاء الليـــل بالذكـــر والتأمـــل.

عليك بالذكر فاستمسك بـــه أبـــداً

فالذكر مشغلة للقلـــب في الخيـــر

الغافلـــون هُـــمُ المـــوتى قلوبهـــم

والذاكرون هُمُ الأحياء في البشـــر

فـــلازم الذكر باســـم الله مجتهـــداً

إن شئـــت صدرك بالأنوار يسفـــر

إن الرجـــال بـــه العـــلا وصلـــوا

وعلموا قدر سِـــرّ القلب والفكـــر

وناظـــروا ملكوت اللوح واطلعـــوا

على عجائب صنع اللـــه والقـــدر

شمس الشهود لهم تبدو إذا غربـــت

شمس النهار فباعوا النـــوم بالسهـــر

طـــوبى لتابعهم يغشـــو مراتبهـــم

ويبصـــر الدر في أصدافـــه القشـــر

فافعل بما فعلوا تظفـــر بما ظفـــروا

وجاهد النفس في الأعمال وابتـــدر

ولا تكن لهـــواءِ[1] النفـــس متبعـــا

فيطمس القلب ما يغشاه من كـــدر

وراقـــب اللـــه إن اللـــه مطلـــع

عليك في جملة الأنفـــاس والفكـــر

[1] يقصـد بهـذه الكلمـة "هـوى" وليـس "هـواء"؛ وقـد اضطـر لذلـك.

والحافظين الكرام الكاتبيـــن جَـــلاَ[1]

ما ليس يغني فكن منه على حـــذر

وفِــــرَّ من سبل الشيطان معتصمـــا

بالله في كل ما تقفـــوه[2] من أثـــر

وعالج النفـــس إن النفـــس مائلـــة

للفخـــر فاعتصمن بالله واصطبـــر

وقـــف بربـــك إن الله ذو كـــرم

وامْـــلأْ قداحك بالقرآن والذكـــر

يا سابح اليـــوم ما للسبح تقطعـــه[3]

لولا ارتقيت على الألواح[4] والأســـر

ما جاب صعب فجاج القدس غير فَتىً

(مشمـــر طوقـــه الجـــد بـــالأزر)[5]

وكل موعظـــة ليســـت بنافعـــة

إلا لِمَـــرْئٍ[6] سليم الصدر مؤتمـــر

يا غافلون عن الرحمـــن فانتبهـــوا

(متنافسون) في الدنيا على خطـــر[7]

---

[1] جــلا يجلــو جــلاء الأمــر: كشفــه وأظهــره.

[2] تقــفى الشـــيء: اختـــاره.

[3] سَبَّـحَ: في الكــلام أكثـر منــه. وسَبَّـحَ: قــال سبحـــان اللـــه. ومعـــنى الشطـــر هـــو: يا أيهـــا المسبـــح طـــول اليـــوم؛ مالـــك تقطـــع تسبيحـــك..؟

[4] لـــوح الجســـد جمـــع ألـــواح: عظمـــه.

[5] هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ولا مـــوزون؛ لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن.

[6] هي امـــرئ؛ ويبـــدو أنـــه اضطـــر لكســـر القيـــاس.

[7] هـــذا الشطـــر غيـــر مـــوزون بسبـــب كلمـــة "المتنافســـون"؛ لـــذا يمكـــن قراءتهـــا "مُتْنافســـون"؛ بسكـــون التـــاء.

لا حول لي طمحت نفسي بما عملت

بمــا أمــرت وما قلــبي بمذكــر

زلــة وما عملت نفسي بموعظــة

فيا خســارة ما ضيعت من عمــر

لكــن لي طمعــا في الله يرحمــني

وفي شفاعــة خير الخلق من مضــر

عليه أزكي صــلاة الله يصحبهــا

أزكى التحيــة بالآصــال والبكــر

ثم الرضى عن سَدَاتِ[1] المجد سادتنــا

وصحب الرسول ومن يقف على أثر

ما هبت الريح من أرض الحجاز وما

آوى الحجيج مقــام الركن والحجر

وهــذه أيضــاً بعــض المقطوعــات والأبيـــات المتفرقـــة الــتي نظمهــا العلامــة **عبــد الرحمــن الأخضــــري**؛ نثبتهـــا هنــا لعلهــا تكــون مفيــدة.

يــا طالبــا ربـــه بصـــدق

بـــادر وإن جلــت الخطــوب

واقصــد كريمــا بــلا تـــوان

فسائــل اللـــه لا يخيـــب

[1] أسقــط ألــف المــد بعــد السيــن للضــرورة.

غيــره:

ولا تأسفن على الدنيــا وزينتهــا
وأرح فؤادك من هــم ومن حــزن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعهــا
هل راح منها بغير القطن والكفــن

غيــره:

ألــم تــر أن اللــه قــال لمريــم
إليك فهزي الجذع تساقط الرطــب
ولو شاء أحنى الجذع من غير هــز
ولكــن كــل شيء لــه سبــب

غيــره:

عجبــا للمسيــح بين النصــارى
حيــن قالــوا أن الإلــه أبــوه
ثــم قالــوا ابــن الإلــه إلــه
ثــم قامــوا بجهلهــم عبــدوه

*****

سادساً ـ القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني:

اللــه المقتـــــــدر الأزل	سبحانــه جلّ عن المثـــل
سبحانـــه هـــو الصمـــد	الفـــرد الجبـــار الأزل
للـــه الحمـــد على نعـــم	منها الإرشاد إلى السبـــل
فَهَـــدَى برسول اللـــه إلى	أزكى ما كان من الملـــل
صلوات الله عليـــه مـــدى	مرِّ الإصباح مع الأُصـــل
زكـــاه اللــــه وفضّلـــه	وحباه مقام القاب عـــلي
في ليل أســـرى اللـــه بـــه	للعرش كما في الذكر تُلي
فرقى مرقى ورأى عجبـــا	وأنيـــل مقامـــا لم ينـــل
وتباشـــرت الأمـــلاك بـــه	والروح مشيعهـــا فقـــل
بين الأمـــلاك يطاف بـــه	يسراً لك يا خير الرّســـل
عـــرج المختـــار لمرتبـــة	جبريـــل إليها لم يصـــل
إذ ذاك أتـــم اللـــه لـــه	ما خوّلـــه من منتحـــل
فحبـــاه مقاما فـــاق بـــه	أرباب العزم من الرّســـل
يا خيبـــة من لـــم يقتفـــه	ولسنتـــه لـــم يمتثـــل
وجميع الخلـــق تلـــوذ بـــه	يوم الأهوال من الوجـــل
تاللـــه لأن شفاعتـــــــه	لمقدمـــة والرسل تـــلي
بل أول من ينشـــق لـــه	قبـــر ويحـــلّى بالحُلـــل
ورســـول اللـــه مفاخـــره	ومحاسنـــه لم تشتمـــل
وحنين الجذع له عجـــب	والمـــاء بكفـــه منهمـــل
فتوضـــأ منـــه ثلاثمائـــة	ورووا وكذلك مشتمل

ألف مع نصف الألف رووا — وانشق له بدر فقل

والألف بصاع قد شبعوا — والصاع جميعا لم يزل

وكذا الأشجار له نطقت — كالضبّ وذئب والحمل

وفضائل أحمد لو كتبت — في وِقْرِ الألف من الإبل

كلّ الكتاب وما وصلوا — لفضائله طول الدول

يا خير الخلق عُبَيْدكم — يخشى ما قارف من زلل

فِي جاهك إنَ له طعما — في نيل الجنة ذو أمل

فلعل بفضل شفاعتكم — يوقى ما خاف من الثقل

يَا ربي لطفتك يا صمد — إني في لطفك ذو أمل

فاغفر للعبد جنايته — أنت الغفار لذي الزلل

يا نفسي توبي ولا تهني — في تقوى الله وفي العمل

فعسى ينجيني من المحن — وعذاب النار المشتعل

لا تأتي النفس إلى عمل — إلا بالعجز وبالكسل

وإذا ما تأتي لمعصية — تأتي بالحرص وبالجدل

فتجارتها لمهالكها — فاحذرها أيّما تَمِلِ

وزكاء النفس مُخالفها — وموافقها فعلى خلل

ومتابعها لا بدّ له — يشقى لو فاق على زجل

وخبيث النفس وطائعها — تلقيه على ضنك الوحل

لا تقتفها فيما قصدت — وبطاعة ربك فاشتغل

والحي يصون جوارحه — عما تأتيه من الزلل

والمَيْتُ القَلْبِ مَنَ أَهْمَلَهَا — حتى تلقيه على وحل

والفكر سراج القلب ولا — كنّا عن ذلك في شُغُل

وحجاب الغفلة مكتنــف بالقلب فأي الفكر يـــلي

وقلوب الخلق بها وقعــت ظُلُمَاتٌ مِنْ سُوءِ العَمَلِ

شمــر عن ساق الجــد ولا تمهل فالحسرة في المهــل

وهــلاك المــرء وعلتــه وخسارتــ طول الأمــل

فعليك بتقوى اللــه أخــي واحْذَرْ مِن زَيِّغَةِ الْمِلَــلِ

في هذي الدار لنــا أمــل والموت يجي قبل الأمــل

من عاش اليوم يموت غــدا والحكم ينفــذ بالأجــل

ما فــوق الموت لنا عبــر لكـــنَّ الغفلــة لم تــزل

لو يدري المــرء عواقبــه من هول الموت وما سَيَلِي

ما ذاق لذيذ العيــش ولا نوماً وانكبَّ إلى العمــل

لكــن المــرء بصيرتَـــه من حجاب الغفلة في ظلل

وصنيــع المــرء مجالســه في القبر فجاهد وامتثــل

واعبد مــولاك بلا وهــن جاهــد في الذكر وفي العمــل

من قــدم شيئــاً يلحقــه من بعد الموت على عجل

من خاف مقــام الله نجــا والويل لعبــد لم يجــل

ومراقبة الرحمــن هــدى تنجي الإنسان من الزلل

وإذا مــا جئــت لمعصيــة فاحذر مولاك على عجل

وَاعْلَــمْ أنَّ الْجَبَّــارَ دَرَى ورأى ما تصنع من عمل

فاللــه رقيــبٌ مُطَّلِــع وعليك شهود لم تحــل

فاحــذر مولاك ونقمتــه واخشع من ربك ذا خجل

إيــاك وأن تغتــر أخي بالحلم أو ببساط المهــل

ثم اذكر هول القبر ومــا تلقى في الحشر من الغلل

واشفق عن نفسك ليس لها — من عذاب جهنم من قبل[1]
إن شئت هوى كن ذا جلد — للنـــار وإلاَّ فاعتـــدل
ما أظلم ذا الإنسان ومـــا — أطغـــاه وما أعصاه قـــل
يعـــصى مـــولاه وخوّلــه — خيراً جمّـــاً لّمـــا يـــزل
واحذر كيد الشيطان أخي — إن الشيطان لذو حيـــل
والنفـــس تقود لشهوتهـــا — ليكون لها الشيطـــان ولي
ومثـــال النفس وشهوتهـــا — كذبـــاب أمَّ إلى عســـل
وهـــواء النفـــس مخالفهـــا — يعلو في الجنة عن زحـــل
من يملك أمر النفـــس نجـــا — ومتابعها في النار صـــلي
وَشَـــوَاهُ لَـــظَى نَزَّاعَتُـــهُ — أكلتـــه أُكْـــل القتـــل
ودع الدنيـــا وزخارفهـــا — وحبائلهـــا ذات الحيـــل
فازْهَـــدْ فيها واقصر أمـــلا — فمحبتهـــا رأس الزلـــل
من آثرهـــا عـــن آخـــرة — مـــأواه جهنم لم يحـــل
سوط[2] في الجنـــة يفضلهـــا — بحذافرهـــا إن تكتمـــل
ما منها للإنســـان ســـوى — كفن في قبـــر منســـدل
فاتْـــرُكْ حبّ الدنيا وكُـــنِ — عنها بالطاعـــة في شغـــل
والفترة[3] في الأعمال هوى — تبقى أسِفـــاً لّمـــا يَـــزُلِ
والعاقل يقفـــو سنة مـــن — فاق الأعلام من الرّســـل
والناس اليـــوم على هُـــوَّةٍ — في دينهِـــمُ وعلى خلـــل

---

[1] نســـخ هـــذا البيـــت بخلـــل في الـــوزن؛ ويستقيـــم بالشكـــل التـــاليّ
مـــن نـــار جهنـــم مـــن قبـــل

[2] هكـــذا.

[3] أي الفتـــور.

فعليك بنفســـك فَارْتقهـــا	وتبتـــل للمولى تصـــل
وَلُـــجِ الخلـــوات لتألفهـــا	ومِنَ اهْلِ الغفلة فانعـــزل
وجليسك إن يكسبك هوى	فجلوسك مَعْهُ مِنَ الزَّلَل
وجليس المـــرء مشاركـــه	وجليس السوء من العلل
وغـــواة الإنس أشرهـــم	قرناء الســـوء فلا تَمِـــلِ
وخيـــار النـــاس أجلهـــم	علما وجهادا في العمـــل
وأشـــر النـــاس أدلهـــم	لطريق الشر من السبـــل
أصحب من شئت فأنت له	تَبَـــعٌ ولما يهـــواه تـــل
وعقـــوق الوالد يوقـــع في	إسخاط الباري فامتثـــل
ووصايـــا الله بطاعتهـــم	في الذكر مكررة النقـــل
فاحتل عن نفسك مجتهـــدا	وعنِ الضَّلال فلا تســـل
وعليـــك بجوعٍ مَّعَ سهـــر	والصّمت وإلاّ فانعـــزل
ودع الجهـــال وخلّتهـــم	تزداد هدى والقلب علي
الجهل عمى والعلم هـــدى	يهدي الإنسان إلى السبل
ما نـــال مقام المجـــد فـــتى	إلا بالعلـــم وبالعمـــل
فعليك بأهـــل العلـــم إذا	عملوا بالعلم هدى تنـــل
واحذر علماء السوء فقـــد	خُصُّوا بالإفك وبالخطـــل
حفظوا الأقوال وما عملـــوا	بالعلم فساء القـــوم قـــل
مـــا حـــرفتهـــم إلا لعبـــا	ولحـــوم الناس بلا قلـــل
أربـــاب قلـــوب قاسيـــة	للطاعـــة أصلا لم تمـــل
لا نطـــق لذكر الله لهـــم	إلا باللهـــو وبالهـــزل
لا يكسبون العلـــم ســـوى	لريـــاء الناس وللجـــدل

طمس الأقــوال تملقهــم لولاة السوء ذوي الخلل

يصلــون النــار كما وردا من قبلِ أولي الأوثان قل

فاتــرك أفعالهــم أبــدا وخذ الأقوال ولا تمــل

حاش علمــاء الخيــر أولي حظ في العلم وفي العمل

فعليك أخي بِمَجَالِسِهِــمْ واظفر بمحبتهــم تصــل

وادخل في المنقطعيــن إلى مولاهم واقصر في الأمل

واتل القرآن بفكر حــجى آنــاء الليل بــلا كلــل

والــزم عمــلا بمواعظــه وزواجره المنهاج تــلي

ما فوق كتاب الله هــدى لأولي الألباب ذوي الوجل

وكتــاب اللــه تلاوتــه تهديك إلى أهدى السبل

إن شئــت رياضا مونقــة وحدائق في الفردوس قل

والحــور العين وفاكهــة فاتل القــرآن بكل تــل

فعليك بسيــرة سيدنــا طه المختار من الرســل

إن شئــت الجنة فاجتهــد في تقوى الله بــلا ملــل

اعمل ما شئت فأنت بــه مجــزى في يوم النكــل

وشبــاب المــرء غنيمتــه سعد الشبان أولى العمــل

تبــاً لفــتى قــد ضيعــه وحديث الخمس له امْتَثِلِ

واعبــد لا أمنا ولا قنطــا تجزى بالجنــة والحلــل

من صام الحر وقــام بــه يرقى مرقى في الخلــد علي

وكواعــب فيــه مخــدرة ودهاق الكوب من العسل

إن شئت جحيمــا محرقــة وحميما منه البطــن مُلِي

ومقامــع ليــس لها مثــل وسلاســل والأغلال تلي

وعذاب ليس له طرف　　فاعص مولاك ولا تسل

فعليك بتقوى الله تنل　　في الخلد قبابا لم تحل

ورضى وخياما مشرقة　　بالحور مغنجة المقل

وحلى وثيابا رائِقة　　كالسندس يا لك من حلل

والحي يلين بموعظة　　والميت بألف لم ينل

فحذار الناس وما صنعوا　　فالناس اليوم على خلل

ويل للناس من الحكم　　في يوم الحسرة والنكل

إذ تنفضح الأسرار به　　وترى عورات ذوي الزلل

وتحدث الأرض بما وقعا　　للخلق عليها من العمل

وتجي الأشهاد بما شهدت　　وتفر الناس إلى الرسل

ويجازى المرء بما عملا　　لا ظلم اليوم على رجل

وبكاء الناس إذا كثروا　　والطفل يشيب من الوجل

ويفيض الدمع من الندم　　ويفيح المرء من العلل

بل يفتقر الإنسان إلى　　مثقال الذر من العمل

يتمنى الخلق رجوعهم　　وتمنوا شيئا لم ينل

وجهنم ترمي بالشرر　　كالقصر على شكل الجمل

والناس يكلمهم عنق　　من النار يعلو كالجبل

ويجوز الخلق على الركب　　فزعا من هول ذي ثقل

وتهيج النار بصيحتها　　وتغيظها عند الشعل

وتفور تكاد تَمَيَّز من　　غيظ أولى الأجرام تلي

وإذا زفرت للخلق بدت　　تصطك بإذن الله قل

ولها زعاقات مدهشة　　ولها أمواج كالظلل

لولا حلم المولى مكــرت   بجميع الخلق بــلا مهــل
وجهنــم ســودا مظلمــة   أبدا لا تفتُر من شعــل
فــإذا جاء المختــار لهــا   خمدت إذ ذاك من الخجل
نجانــا اللــه وعاملنــــا   باللطــف ووفق للعمــل
من حق عليه القول شُــفي   والأمر مُقاضى في الأزل
أعظم بــورود الخلــق إلى   حوض المختار من الغلل
ذو لون أصــفى من لبــن   ومذاق أحلى من عســل
من مسك أطيب رائحــة   كالنجم كؤســا فامتثــل
ومسيــر الشهر مسافتــه   كزوايا أربــع معتــدل
لا يظمــأ شاربــه أبــدا   وهنــاك رسول الله يلي
ويــذاد التــارك سنتــه   الراغب عنها ذو الحيــل
يا حسرة أهــل الزيــغ إذا   يتبــرأ منهم حيــن يلي
ويقــول رسول الله لهــم   سحقا سحقا لذوي الميل
واذكر هول الميــزان ومــا   في أخذ الصحف من الوجل
تــأتي صحــف متطايــرة   من تحت العرش إلى الرجــل
هذي صحف لك تقرؤهــا   فيها ما قلت من العمــل
وصــراط أرق من شعــر   أمضى من سيف منصقل
من فوق جهنم منتصــب   ولــه عقبــات فامتثــل
وجميــع الخلــق تعبــره   بقضــاء الله فــلا تخــل
وينــجي اللــه برحمتــه   من شاء ويوبق ذا الزلــل
وزلازل يوم البعث أتــت   جمــا لكتاب اللــه تلي
وكتــاب اللــه وسنتــه   فرقان الحق من الخلــل

ولســـان المـــرء محاربـــه إذ كم قد أوبق من رجل

ويفـــوه المـــرء بموبقـــة تنهـــد بها شم الجبـــل

يهوى في النار بهـــا حِقبـــا تمضيه بسخط الله قـــل

يهجوهـــا الناطـــق هيِّنـــة وتفوق الشامخ في الثقل

من أحسن طاعتـــ ه طلبـــا للشهرة خاب ولم ينـــل

من أم ريـــاء الناس غـــوى قلب وبسخط الله بُـــلي

لا يـــقي الله لـــه عمـــلا بل يفضحه يوم الوجـــل

والعجب هلاك المرء وقـــد يردي الإنسان بلا مهـــل

وعليك بحفظ السمع تفـــز بنجاة القلب من العلـــل

فالسمع إذا مـــا أهمـــل في سمع برصاص النار ملي

وفســـاد الديـــن وآفاتـــه طمـــع يغشاه ولم ينـــل

وذووا الأطماع لهم شبـــه بذباب الجيفة في المثـــل

وزكـــاة القلب سلامتـــه من حجاب الغفلة والزلل

إن الأكدار إذا ركـــدت في قلب المرء فذاك يُـــلي

وكنوز القلـــب يصادفهـــا من شاء الله بلا حيـــل

من مـــاط صـــدئ المـــرآة رأى أشكال الكون لذي مقل

من جاب رحاب النفس وقـــد ألقى النعلين على عجل

إذ حل بواد القدس وقِـــدْ ما آنس منه النور خـــل

حاذي حضرات القدس وقد أمسى إذ ذاك في حلـــل

فلنعم فتى يرتـــاض فضـــا ء عرصات القلب إلى النهل

ما حلّ بساط القـــدس فتى يصبو للراحة والكســـل

ما طاق السير أخو عـــرج ما طاق الحرب أخو فشل

هل يستمعون الصم دعـــا　　هل يهدي العمي إلى السبل

من عاق النفس عوائدهـــا　　يعلو شاوا في القدس عـــلي

وزكاة النفـــس طهارتهـــا　　مما تهـــواه من الخطـــل

وعلاج النفـــس رياضتهـــا　　بمجاهـــدة فلتعتـــــدل

ومراقبة المـــولى وحضـــو　　ر القلب مقاليـــد الغلـــل

مـــن دان لأمـــر الله نجـــا　　والويـــل لمن لم يمتثـــل

من صح له الإخـــلاص رقي　　درجات القدس وبالرجل

حكم ظهرت لما انفجـــرت　　في القلب ينابيع النِّحـــل

وفقيـــد دليـــل يرشـــده　　تهديـــه صـــلاة للسبـــل

عجبا لفتى يشكـــو ظمـــأ　　ويخـــوض بماء منهمـــل

وشهـــود الحـــق وبهجتـــه　　لأخي قلب حي وجـــل

فإذا دلكـــت شمس وخبت　　ظهرت وربت قبل الذلل

من غاص بذكر القلب بدا　　كاليم رأى الياقوت جلي

من شد عرى حزم وسرى　　يقضي وطرا مهما يصـــل

أسلك أثـــرا تربح سفـــرا　　واعتق عبدا تنجـــو تنـــل

أجري نهرا واسقي شجـــرا　　تجني ثمـــرا تحت الظلـــل

من سام حمى الجبـــار عمى　　والنفس رمى في منسفـــل

وبناشئـــة الأسحـــار أخي　　لتنال تفـــز بالحـــور جلي

من بات يقوم بمخمصـــة　　أضحى بحجاء منصقـــل

وتبيت الحور تطوف بـــه　　فيما يروى عن خير ولي

وريـــاض الجنـــة مسكنـــة　　يجـــزى بنعيم مكتمـــل

وعمـــاد الدين ومركـــزه　　في الصدق وفي الإخلاص جـــل

أخلـــص للــــه مراقبـــة واصدق في القول وفي العمل

هيهات أولوا الإخلاص عفـــوا وبقى في الوقت ذووا الخلل

صـــم بكـــم عمي حُـــمُر كخشاش الأرض وكالجعـــل

لا تنفـــع فيهـــم وعظـــة مما في القلب من الخطـــل

جعلوا دين المـــولى هـــزؤا فالقـــوم لهم إبليـــس ولي

شهوات النفس عبادتهـــم والكل لملء البطـــن ملي

يسعون إلى الشهوات كما يسعى الحيوان إلى الأكل

ملك الشيطـــان قلوبهـــم فهووا في مهواة الزلـــل

هذا زمن قد غـــاض بـــه ينبوع الحـــق ولم يَســـل

ونجوم الدين لقـــد أفَلُـــوا من بعد ضيـــاء مكتمـــل

وظلام الباطـــل منتشـــر عـــم الآفـــاق ولم يـــزل

ومعاص الله قد انتشـــرت وبدت في الناس بلا خجل

هاج الفساق وقد كثـــروا في الناس وقلّ أولوا العمل

قد غـــر الناس وأوبقهـــم أنظـــار اللـــه إلى أجـــل

وهجوم الساعـــة مقتـــرب والناس توسع في الأمـــل

وديوك الدلجة قد صرخـــوا ودنى الإصبـــاح لمرتجـــل

رحل الأقـــوام فيا أسفـــا وأطول بكائي في الطلـــل

وثبات المركب قد ظعنـــوا وبقيت أكابد في نكـــل

قد مات عني الأبطال ومـــا تركوا في الثلة من بطـــل

وبدت في الناس دجاجلـــة أبنـــاء البدعـــة والخيـــل

لحطام الناس لقـــد نصبـــوا شبكات الطاعة والعمل

والناس اليوم قد انتهكـــوا حرمات الدين فلا تطـــل

والحُرُّ برمز العيـــن كـــفى	والعبد بضرب السوط يلي
والدهر يفيد المـــرء هـــدى	بتعاقب الأعصر والـــدول
وشموس العبـــرة مشرقـــة	للعاقل مهـــمى يمتثـــل
قد وهنت بذاك وما عملت	نفسي .بمقالي من عمـــل
للخير تخص الغيـــر ومـــا	عملت بالخيـــر فيا وجلي
مثلي كطبـــيب حـــل بـــه	سقـــم ويعالج ذا العلـــل
يا رب عبيـــدك معتـــرف	بالذنب وأوزار الثقـــل
ورجائي فيـــك يؤانســـني	مولاي ومن ذا غيرك لي
فاغفر لعُبَيْدِكَ ما اكتسبت	يده مـــن سيء العمـــل
لحبيبـــك أحمـــد سيدنـــا	أزكى الشفعاء لذي الزلل
صلوات اللـــه عليـــه تفي	وسلاما ذا أرج حفـــل
وعلى الأبطـــال صحابتـــه	وأسود الحرب أولوا النحل
وأبي بكـــر وأبي حفـــص	وأبي عمرو والليث علي
هـــذه كلمـــات مُشْرِقَـــة	مشكاة الناس ذوي العمل
نجزت بربيع الآخـــر مـــن	جمع حجج وقت المثـــل

*****

سابعـــاً ـــ الجوهـــر المكنـــون في الثلاثـــة فنـــون:

الجوهـــر المكنـــون في الثلاثـــة فنـــون (البيـــــان والمعـــــاني والبديـــع)؛ أرجـــوزة نظمهـــا **الأخضـــــري**؛ ويصـــــل عـــــدد أبياتهـــا إلى 291 بيتـــاً. وهي عبـــارة عـــن منظومـــــة لخـــــص

فيها كتاب **"التلخيص في علوم البلاغة"**؛ **لجلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني.**[1] وهذا ما صرح به **الأخضري** نفسه حين قال:

فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنَقَّحٍ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ **"التَّلخِيصِ"**
جَوَاهِراً بَدِيعَةَ التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتَ الْجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ

إذن فقد صرح **الأخضري** بأنه قد اتبع الترتيب نفسه؛ الذي وضعه **القزويني**؛ غير أنه اجتهد بالتهذيب ــ كما قال ــ ولم يكتف بالاقتباس والشرح. وبالمقارنة المتأنية بين كتاب **القزويني** ومنظومة **الأخضري** يتبين أنه ــ بالفعل ــ اتبع معظم الترتيب الموضوع في كتاب **"التلخيص"**؛ وقد قام بنظم المحتويات الملخصة بمهارة فائقة؛ حتى أنه عالج بعض القضايا بطريقة واضحة وبعناوين أكثر دلالة؛ مثل: تخصيصه عنواناً للإسناد العقلي؛ الذي كان مدمجاً

---

[1] وهو أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر؛ ولد بالموصل سنة 666 هـ/739م وتوفي بدمشق سنة 1268 هـ/ 1338م. فقيه شافعي وأديب؛ تولى القضاء في عدة أماكن. من مؤلفاته أيضاً "الإيضاح" وهو شرح للتلخيص"، و"السور المرجانيمن شعر الأرجاني".

عنـد **القزويـني** في محتـوى الإسنـداد الخبـري ككـل. كمـا حـرص عـلى إعـادة تبويـب موضـوع **"أحـوال المسنـد إليـه"**؛ بغـرض تقريـب الفكـرة وتوضيحهـا لتلاميـذه؛ فقـام بإنشـاء فصـل بعنـوان: **"الخـروج عـن مقتـضى الظاهـر"**؛ بينمـا عولـج هـذا الموضـوع في كتـاب **"التلخيـص"** مدمجـاً وبشكـل غامـض. ومجمـل القـول؛ فالأمثلـة عـلى ذلـك عديـدة ولا يتسـع المجـال للخـوض فيهـا.

المهـم أن هـذه المنظومـة وجـدت عنايـة كبيـرة مـن قبـل العلمـاء وطـلاب العلـم؛ فنقلـت واستظهـرت وشرحـت؛ كمـا طبعـت في مصـر. وقـد تـولى **الأخضـري** بنفسـه شـرح **"الجوهـر المكنـون"**؛ فأنجـز لـه شرحـاً كبيـراً فـاق التلخيـص للقزويـني؛ وهـو بالمكتبـة الوطنيـة الجزائريـة؛ ولكنـه غيـر منقـح؛ ويبـدو أن الزمـن لـم يمهـل **الأخضـري** للقيـام بذلـك. وعليـه فقـد اهتـم بهـذا الشـرح عـدد مـن العلمـاء في المغـرب والمشـرق؛ مثـل: **أحمـد بـن مبـارك العطـار القسنطيـني** الـذي كتـب **"نزهـة العيـون"** و**عبـد الكريـم الفكـون القسنطيـني** الـذي حـاول تبييـض المخطـوط الخـام **"للجوهـر المكنـون"**؛ و**محمـد بـن محمـد عـلي ابـن مـوسى الثغـري الجزائـري** الـذي كتـب: **"موضـح السـر المكنـون عـلى الجوهـر المكنـون"**؛ ويوجـد ــ كمـا يقـول **الشيـخ عبـد الرحمـن**

الجيلالي ــ هذا الشرح مع شرح **الأخضري** بإحدى زوايا مدينة معسكر؛ في حي بابا علي.[1] وكان **الثغري** معجباً للغاية بمنظومة **الأخضري** وبشرحها عليه؛ إلاّ أنه أشار ــ كما ذكر ابن الفكون ــ إلى حالة الشرح الذي لم يكمل **الأخضري** تنقيحه. وقد تولى ــ أيضاً ــ بعض علماء المشرق شرح **"الجوهر المكنون"**؛ منهم: **أحمد الدمنهوري**. وجملة القول فإن منظومة **"الجوهر المكنون" للأخضري** ستعرض كاملة في قسم الملاحق؛ فنتمنى أن تعود بالفائدة على القارئ الكريم.

سَمَّيْتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلاَثَةِ الفُنُونِ
وَاللَّهَ أرْجُو أنْ يَكُونَ نَافِعَا
لِكُلِّ مَنْ يَقْرَؤُهُ وَرَافِعَا
وَأنْ يَكُونَ فَاتِحاً لِلْبَابِ
لِجُمْلَةِ الإخْوَانِ وَالأصْحَابِ

المقدمة

فَصَاحَةُ المُفْرَدِ أنْ يَخْلُصَ مِنْ
تَنَافُرٍ غَرَابَةٍ خُلْفٍ زُكِنْ

[1] أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص ص: 80 ــ 81. وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص ص: 173 ــ 175.

وَفِي الكَلاَمِ مِـــنْ تَنَافُـــرِ الكَلِـــمْ

وَضَعْـــفِ تَأْلِيفٍ وَتَعْقِيـــدٍ سَلِـــمْ

وَذِي الكَلاَمِ صِفَـــةٌ بِهَا يُطِيـــقْ

تَأْدِيَـــةَ المَقْصُودِ بِاللَّفْـــظِ الأنِيـــقْ

وَجَعَلُــــوا بَلاَغَــــةَ الكَــــلاَمِ

طِبَاقَـــهُ لِمُقْتَـــضَى المَقَــــامِ

وَحَافِــــظٌ تَأْدِيَــــةَ المَعَــــانِي

عَـــنْ خَطَـــإٍ يُعْـــرَفُ بِالمَعَـــانِي

وَمَا مِنَ التَّعْقِيدِ فِي المَعْـــنَى يَـــقِي

لَـــهُ البَيَـــانُ عِنْدَهُـــمْ قَدِ انْتُـــقِي

وَمَا بِهِ وُجُوهُ تَحْسِيـــنِ الكَـــلاَمْ

تُعْـــرَفُ يُدْعَى بِالْبَدِيِ وَالسَّـــلاَمْ

الفـــن الأول: علـــم المعـــاني

عِلْـــمٌ بِهِ لِمُقْتَـــضَى الحَالِ يُـــرَى

لَفْظـــاً مُطَابِقـــاً وَفِيـــهِ ذُكِـــرَا

إسْنَـــادُ مُسْنَـــدٌ إِلَيْـــهِ مُسْنَـــدُ

وَمُتَعَلِّقَـــاتُ فِعْـــلٍ تُـــورَدُ

قَصْـــرٌ وَإِنْشَـــاءٌ وَفَصْلٌ وَصْلٌ أَوْ

إِيجَـــازٌ اطْنَـــابٌ مُسَـــاوَاةٌ رَأَوْا

البـــاب الأول: الإسنـــاد الخبـــري

الحُكْمُ بِالسَّـــلْبِ أوِ الإيجَـــابِ
إسْنَادُهُـــمْ وَقَصْـــدُ ذِي الخِطَـــابِ
إفَـــادَةُ السَّامِـــعِ نَفْـــسَ الحُكْـــمِ
أوْ كَـــوْنَ مُخْبِـــرٍ بِـــهِ ذَا عِلْـــمِ
فَـــأوَّلٌ فَائِـــدَةٌ وَالثَّـــانِي
لاَزِمُهَـــا عِنْـــدَ ذَوِي الأذْهَـــانِ
وَرُبَّمَا أجْـــرِيَ مُجْـــرَى الجَاهِـــلِ
مُخَاطَـــبٌ إنْ كَانَ غَيْـــرَ عَامِـــلِ
كَقَوْلِنَـــا لِعَالِـــمٍ ذِي غَفْلَـــةٍ
الذِّكْـــرُ مُفْتَـــاحٌ لِبَابِ الحَضْـــرَةِ
فَيَنْبَـــغِي اقْتِصَـــارُ ذِي الإخْبَـــارِ
عَـــلَى المُفِيـــدِ خَشْيَـــةَ الإكْثَـــارِ
فَيُخْبِـــرُ الخَـــالِي بِـــلاَ تَوْكِيـــدِ
مَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُكْـــمِ ذَا تَرْدِيـــدِ
فَحَسَـــنٌ وَمُنْكِـــرُ الإخْبَـــارِ
حَتْـــمٌ لَـــهُ بِحَسَـــبِ الإنْكَـــارِ
كَقَوْلِـــهِ إنَّـــا إلَيْكُـــمْ مُرْسَلُـــونْ
فَـــزَادَ بَعْدُ مَا اقْتَضَـــاهُ المُنْكِـــرُونْ

لِلفْـــظِ الابْتِـــداءَ ثُـــمَّ الطَّلَـــب

ثُمَّتَ الإنْكَـــارِ الثَّلاَثَـــةَ انْسُـــبِ

وَاسْتُحْسِنَ التَأكِيدُ إنْ لَوَّحْتَ لَـــهْ

بِخَبَـــرٍ كَسَائِـــلٍ فِي المَنْزِلَـــــهْ

وَألْحَقُـــوا أمَـــارَةَ الإنْكَـــارِ بِـــهْ

كَعَكْسِـــهِ لِنُكْتَـــةٍ لَـــمْ تَشْتَبِـــهْ

بِقَسَـــمٍ قَـــدْ إنَّ لاَمُ الابْتِـــدَا

وَنُـــونِيَ التَّوْكِيـــدِ وَاسْمٍ أُكِّـــدَا

وَالنَّـــفْيُ كَالإثْبَاتِ فِي ذَا البَـــابِ

يَجْـــرِي عَلَى الثَّلاَثَـــةِ الألْقَـــابِ

بِـــأنْ كَـــأنَّ لاَمٍ أوْ بَـــاءٍ يَمِيـــنْ

كَمَا جَلِيسُ الفَاسِقِيـــنَ بِالأمِيـــنْ

فصـــل في الإسنـــاد

وَلِحَقِيقَـــــةٍ مَجَـــــازٍ وَرَدَا

لِلْعَقْـــلِ مَنْسُوبَيْـــنِ أمَّـــا المُبْتَـــدَا

إسْنَـــادُ فِعْـــلٍ أوْ مُضَاهِيـــهِ إلَى

صَاحِبِـــهِ كَفَـــازَ مَـــنْ تَبَتَّـــلاَ

أقْسَامُـــهُ مِـــنْ حَيْـــثُ الاِعْتِقَـــادُ

وَوَاقِـــعٌ أرْبَعَـــةٌ تُفَـــــادُ

وَالثَّــانِ أنْ يُسْنَــدَ لِلْمَلاَبِــسِ
لَيْــسَ لَهُ يُبْنَى كَثَــوْبٍ لاَبِــسِ
أقْسَامُـــهُ بِحَسَـــبِ النَّوْعَيْـــنِ فِي
جُزْأيْــهِ أرْبَــعٌ بِــلاَ تَكَلُّــفِ
وَوَجَبَــــتْ قَرِينَــةٌ لَفْظِيَّـــــهْ
أوْ مَعْنَوِيَّــةٌ وًإنْ عَادِيَّـــــهْ

البـــاب الثـــاني: في المسنـــد إليـــه

يُحْــذَفُ لِلْعِلْــمِ وَلاِخْتِبَــــارِ
مُسْتَمِــعٍ وَصِحَّـــــةِ الإنْكَــــارِ
سَتْــرٍ وَضِيــقِ فُرْصَــةٍ إجْــلاَلِ
وَعَكْســهِ وَنَظْـــمِ اسْتِعْمَــــالِ
كَحَبَّــذَا طَرِيقَــةُ الصُّوفِيَّـــــهْ
تَهْــدِي إلَى الْمَرْتَبَــةِ العَلِيَّـــــهْ
وَاذْكُــرْهُ لِلأصْــلِ وَالاِحْتِيَــاطِ
غَبَــاوَةٍ إيضَـــاحِ انْبِسَــــاطِ
تَلَــــذُّذٍ تَبَــرُّكٍ إعْظَـــامِ
إهَانَــــةٍ تَشَــــوُّقٍ نِظَـــامِ
تَعَبُّــــدٍ تَعَجُّـــبٍ تَهْوِيــــلِ
تَقْرِيــرٍ أوْ إشْهَــادٍ أوْ تَسْجِيــلِ

وَكَوْنُــــهُ مُعَرَّفــاً بِمُضْمِـــــرِ
بِحَسَبِ المَقَــامِ فِي النَّحْــوِ دُرِي
وَالأَصْــلُ فِي المُخَاطَبِ التَّعْيِيــنُ
وَالتَّــرْكُ لِلشُّمُــولِ مُسْتَبِيــــنُ
وَكَوْنُـــــهُ بِعَلَـــمٍ لِيَحْصُـــــلاَ
بِذِهْــنِ سَامِــعٍ بِشَخْــصٍ أَوَّلاَ
تَبَـــرُّكٍ تَلَـــذُّذٍ عِنَايَـــــةٍ
إِجْــلاَلٍ أَوْ إِهَانَــــةٍ كِنَايَـــــةٍ
وَكَوْنُــــهُ بِالْوَصْــلِ لِلتَّفْخِيــمِ
تَقْرِيــرٍ أَوْ هُجْنَــةٍ أَوْ تَوْهِيـــــمِ
إِيمَــاءٍ أَوْ تَوَجُّــهُ السَّامِــعِ لَــهْ
أَوْ فَقْدِ عِلْمِ سَامِــعٍ غَيْرِ الصِّلَــهْ
وَبِإِشَـــــارَةٍ لِكَشْــفِ الحَـــالِ
مِنْ قُــرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَوِ اسْتِجْهَــالِ
أَوْ غَايَــةِ التَّمْيِيــزِ وَالتَّعْظِيـــــمِ
وَالحَــطِّ وَالتَّنْبِيــهِ وَالتَّفْخِيـــــمِ
وَكَوْنُــهُ بِاللاَّمِ فِي النَّحْــوِ عُلِــمْ
لَكِــنَّ الاِسْتِغْــرَاقَ فِيهِ يَنْقَسِـــمْ
إِلَى حَقِيــقِيٍّ وَعُـــــرْفِيٍّ وَفِي
فَــرْدٍ مِنَ الجَمْعِ أَعَــمَّ فَاقْتُــفِي
وَبِإِضَافَـــةٍ لِحَصْــرٍ وَاخْتِصَـــارْ
تَشْرِيــفِ أَوَّلٍ وَثَــانٍ وَاحْتِقَـــارْ

تَكَافُــؤٌ سَآمَــــةٌ إخْفَــــاءُ

وَحَـــثٌ أوْ مَجَـــازٌ اسْتِهْـــزَاءُ

وَنَكّــرُوا إفْــرَاداً أوْ تَكْثِيــرَا

تَنْويعــاً أوْ تَعْظِيمــاً أوْ تَحْقِيــرَا

كَجَهْـــلٍ أوْ تَجَاهُـــلٍ تَهْوِيــــلِ

تَهْوِيـــنٍ أوْ تَلْبِيـــسٍ أوْ تَقْلِيـــلِ

وَوَصْفُهُ لِكَشْــفٍ أوْ تَخْصِيــصِ

ذَمٍّ ثَنَــا تَوْكِيــدٍ أوْ تَنْصِيــــصِ

وَأكَّدُوا تَقْرِيراً أوْ قَصْدَ الخُلُــوصْ

مِنْ ظَنِّ سَهْوٍ أوْ مَجَازٍ أوْ خُصُوصْ

وَعَطَفُــــوا عَلَيْــــهِ بِالبَيَــــانِ

بِاسْــمٍ بِــهِ يَخْتَــصُّ لِلْبَيَــانِ

وَأبْدَلُــوا تَقْرِيــراً أوْ تَحْصِيــلاَ

وَعَطَفُــــوا بِنَسَــقٍ تَفْصِيــــلاَ

لأحَــدِ الجُزْأيْــــنِ أوْ رَدٍّ إلَى

حَقٍّ وَصَرْفِ الحُكْــمِ لِلَّذِي تَــلاَ

وَالشَّــكِّ وَالتَّشْكِيــكِ وَالإبْهَــامِ

وَغَيْــرِ ذَلِــكَ مِــنَ الأحْكَــامِ

وَفَصْلُــهُ يُفِيــدُ قَصْــرَ المُسْنَــدِ

عَلَيْهِ كَالصُّــوفِيِّ وَهْوَ المُهْتَــدِي

وَقَدَّمُــوا لِلأصْــلِ أوْ تَشْرِيــفِ

لِخَبَـــرٍ تَلَــــذُّذٍ تَشْرِيــــفِ

وَحَـــطٍّ اهْتِمَـــامٍ أوْ تَعْظِيـــــمِ

تَفَـــاؤُلِ تَخْصِيـــصٍ أوْ تَعْمِيـــمِ

إنْ صَاحَبَ الُمسْنَدُ حَرْفَ السَّلْـــبِ

إذْ ذَاكَ يَقْتَـــضِي عُمُومَ السَّلْـــبِ

فصـــل: في الخـــروج عـــن مقتـــضى الظاهـــر

وَخَرَجُوا عَنْ مُقْتَـــضَى الظَّوَاهِـــرِ

كَوَضْـــعِ مُضْمَـــرٍ مَكَانَ الظَّاهِـــرِ

لِنُكْتَـــــةٍ كَبَعْـــثٍ أوْ كَمَــــالِ

تَمْيِيـــزٍ أوْ سُخْرِيَـــةٍ إجْهَــــالِ

أوْ عَكْسٍ أوْ دَعْوَى الظُّهُورِ وَالَمدَدْ

لِنُكْتَةِ التَّمْكِينِ كَـ"اللَّهُ الصَّمَـــدْ"

وَقَصْـــدُ الاِسْتِعْطَافِ وَالإرْهَـــابِ

نَحْوُ "الأمِيـــرُ وَاقِـــفٌ بِالبَـــابِ"

وَمِنْ خِلاَفْ الُمقْتَضَى صَرْفُ الُمرَادْ

ذِي نُطْقٍ أوْ سُـــؤَلٍ لِغَيْـــرِ مَا أرَادْ

لِكَوْنِـــــهِ أوْلَى بِـــهِ وَأجْـــــدَرَا

كَقِصَّـــةِ الحَجَّـــاجِ وَالقَبَعْثَـــرَى

وَالاِلْتِفَـــاتِ وَهْوَ الاِنْتِقَـــالُ مِـــنْ

بَعْضِ الأسَالِيبِ إلَى بَعْضٍ قَمِـــنْ

وَالوَجْـــهُ الاِسْتِجْلاَبُ بِالْخِطَـــابِ

وَنُكْتَـــةٍ تَخْتَـــصُّ بَعْضْ البَـــابِ

وَصِيغَـــةَ المَـــاضِي لآتٍ أوْرَدُوا

وَقَلَبُـــــوا لِنُكْتَـــــةٍ وَأنْشَـــــدُوا

وَمَهْمَـــــهٍ مُغْبَـــرَّةٍ أرْجَـــاؤُهُ

كَـــأنَّ لَـــوْنَ أرْضِـــــهِ سَمَـــاؤُهُ

البـــاب الثالـــث: المسنـــد

يُحْـــذَفُ مُسْنَـــدٌ لِمَـــا تَقَدَّمَـــا

وَالْتَزَمُـــــوا قَرِينَـــــةَ لِيُعْلَمَـــــا

وَذِكْـــرُهُ لِمَا مَـــضَى أوْ لِيُـــرَى

فِعْـــلاً أوِ اسْمـــاً فَيُفِيـــدُ الْمُخْبَـــرَا

وَأفْـــرَدُوهُ لانْعِـــــدَامِ التَّقْوِيَـــــهْ

وَسَبَب كَـــ"الزُّهْدُ رَأسُ التَّزْكِيَـــهْ"

وَكَوْنُـــــهُ فِعْـــــلاً فَلِلتَّقْيِيـــــدِ

بِالوَقْـــتِ مَـــعْ إفَـــادَةِ التَّحْدِيـــدِ

وَكَوْنُهُ اسْماً لِلثُّبُـــوتِ وَالـــدَّوَامْ

وَقَيَّـــدُوا كَالْفِعْـــلِ رَعْياً لِلتَّمَـــامْ

وَتَرَكُـــــوا تَقْيِيـــــدَهُ لِنُكْتَـــــةٍ

كَسُتْـــــرَةٍ أوِ انْتِهَـــــازِ فُرْصَـــةٍ

وَخَصَّصُوا بالوَصْفِ وَالإضَافَهْ
وَتَرَكُوا لِمُقْتَضٍ خِلاَفَهْ
وَكَوْنُهُ مُعَلَّقاً بالشَّرْطِ
فَلِمَعَاني أدَوَاتِ الشَّرْطِ
وَنَكَّرُوا إتْبَاعاً أوْ تَفْخِيماً
حَطًّا وَفَقْدَ عَهْدٍ أوْ تَعْمِيماً
وَعَرَّفُوا إفَادَةً لِلْعِلْمِ
بِنسْبَةٍ أوْ لاَزِمٍ لِلْحُكْمِ
وَقَصَّرُوا تَحْقِيقاً أوْ مُبَالَغَهْ
بِعُرْفِ جِنْسِهِ كَـ"هِنْدُ الْمُبَالِغَهْ"
وَجُمْلَةٌ لِسَبَبٍ أوْ تَقْوِيَهْ
كَـ"الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَهْ"
وَاسْمِيَّةُ الجُمْلَةِ وَالفِعْلِيَهْ
وَشَرْطُهَا لِلنُّكْتَةِ الجَلِيَّهْ
وَأخَّرُوا أصَالَةً وَقَدَّمُوا
لِقَصْرِ مَا بِهِ عَلَيْهِ يُحْكَمُ
تَنْبِيهٍ أوْ تَفَاؤُلٍ تَشَوُّفِ
كَفَازَ بِالْحَضْرَةِ ذُو تَصَرُّفِ

البــاب الرابــع: في متعلقــات الفعــل

وَالفِعْــلُ مَعْ مَفْعُولِهِ كَالْفِعْلِ مَــعْ
فَاعِلِــهِ فِيمَــا لَهُ مَعْــهُ اجْتَمَــعْ
وَالغَــرَضُ الإشْعَــارُ بِالتَّلَبُّــــسِ
بِوَاحِــدٍ مِــنْ صَاحِبَيْــهِ فَأْتَــسِ
وَغَيْــرُ قَاصِــرٍ كَقَاصِــرٍ يُعَــدُّ
مَهْمَا يَــكُ المَقْصُودُ نِسْبَــةً فَقَــدْ
وَيُحْــذَفُ المَفْعُــولُ لِلتَّعْمِيــــمِ
وَهُجْنَــــةٍ فَاصِلَــــةٍ تَفْهِيــــمِ
مِــنْ بَعْــدِ إبْهَــامٍ وَالِاخْتِصَــارِ
كَــ"بَلَــغَ المُولَــع بِالأذْكَــــارِ"
وَجــاءَ لِلتَّخْصِيــصِ قَبْلَ الفِعْــلِ
تَهَمُّـــــمٍ تَبَــــرُّكٍ وَفَصْــــلِ
وَاحْكُــمْ لِمَعْمُولاَتِــهِ بِمَا ذُكِــرْ
وَالسِّرُّ فِي التَّرْتِيبِ فِيهَــا مُشْتَهِــرْ

البــاب الخامــس: القصــر

تَخْصِيــصُ أمَــرٍ مُطْلَقــاً بِأمْــرِ
هُــوَ الَّــذِي يَدْعُونَــهُ بِالْقَصْــرِ

يَكُونُ فِي المَوْصُوفِ وَالأَوْصَــافِ

وَهْــوَ حَقِيــقِيٌّ كَمَــا إضَــافِي

لِقَلْــبِ أوْ تَعْيِيــنٍ أوْ إفْــــرَادِ

كَأَنَّمَــا تَــــرْقَى بِالاِسْتِعْـــدَادِ

وَأدَوَاتُ القَصْـــرِ إلاَّ إنَّمَــــا

عَطْــفٌ وَتَقْدِيــمٌ كَمَــا تَقَدَّمَــا

البــاب الســادس: في الإنشــاء

مَا لَمْ يَكُــنْ مُحْتَمِــلاً لِلصِّــدْقِ

وَالكَذِبِ الإنْشَا كَــ"كُنْ بِالْحَــقِّ"

وَالطَّلَبُ اسْتِدْعَاءُ مَا لَمْ يَحْصُــلِ

أَقسَامُــهُ كَثِيــرَةٌ سَتَنْجَــلِي

أَمْــرٌ وَنَــهْيٌ وَدُعَــاءٌ وَنِــدَا

تَمَــنٍّ اسْتِفْهَامٌ اعْطِيــتَ الهُــدَى

وَاسْتَعْمَلُوا كَلَيْتَ لَوْ وَهَلْ لَعَــلّْ

وَحَرْفَ حَضٍّ وَلِلاِسْتِفْهَــامِ هَــلْ

أيٌّ مَتَى أيَّــانَ أيْــنَ مَــنْ وَمَــا

وَكَيْــفَ أنَّى كَمْ وَهَمْــزٌ عُلِمَــا

وَالهَمْــزُ لِلتَّصْدِيــقِ وَالتَّصَــوُّرِ

وَبِالَّــذِي يَلِيــهِ مَعْنَــاهُ حَــرِي

وَهَلْ لِتَصْدِيــق بعَكْــسِ مَا غَبَــرْ

وَلَفْــظُ الاِسْتِفْهَــامِ رُبَّمَــا عَبَــرْ

لأِمْــرٍ اسْتِبْطَـــاءٍ أوْ تَقْريــرِ

تَعَجُّـــب تَهَكُّـــمٍ تَحْقِيـــرِ

تَنْبيــهٍ اسْتِبْعَــادٍ أوْ تَرْهِيــب

إنْكَــارِ ذِي تَوْبِيــخٍ أوْ تَكْذِيــبِ

قَدْ يَــجِي أمْــراً وَنَهْيــاً وَنِــدَا

فِي غَيْــرِ مَعْنَــاهُ لأمْــرٍ قُصِــدَا

وَصِيغَــةُ الإخْبَارِ تَــأْتِي لِلطَّلَــبْ

لِفَــالٍ أوْ حِرْصٍ وَحَمْــلٍ وَأدَبْ

الباب السابع: الفصل والوصل

الفَصْــلُ تَرْكُ عَطْفِ جُمْلَةٍ أتَــتْ

مِنْ بَعْدِ أُخْرَى عَكْسَ وَصْلٍ قَدْ ثَبَتْ

فَافْصِــلْ لَدَى التَوْكِيدِ وَالإبْــدَالِ

لِنُكْتَـــةٍ وَنِيَّـــةِ السُّـــؤَالِ

وَعَدَمِ التَّشْرِيكِ فِي حُكْمٍ جَــرَى

أوِ اخْتِــلاَفٍ طَلَبــاً أوْ خَبَـــرَا

وَفَقْــدِ جَامِــعٍ وَمَــعْ إيهَـــامِ

عَطْفٍ سِوَى المَقْصُودِ فِي الكَــلاَمِ

وَصِلْ لَدَى التَّشْرِيكِ فِي الإِعْـرَابِ
وَقَصْدِ رَفْعِ اللَّبْـسِ فِي الجَـوَابِ
وَفِي اتِّفَـاقٍ مَـعَ الاتِّصَـالِ
فِي عَقْـلٍ أوْ فِي وَهْمٍ أوْ خَيَـالِ
وَالوَصْلُ مَعْ تَنَاسُبٍ فِي اسْمٍ وَفِي
فِعْلٍ وَفَقْدِ مَانِـعٍ قَـدِ اصْطُـفِي

البـاب الثامـن: الإيجـاز والإطنـاب والمسـاواة

تَأدِيَـةُ المَعْـنَى بِلَفْـظٍ قَـدْرِهِ
هِيَ المُسَـاوَاةُ كَسِـرْ بِذِكْـرِهِ
وَبِأقَـلَّ مِنْـهُ إِيجَـازٌ عُلِـمْ
وَهْوَ إِلَى قَصْرٍ وَحَـذْفٍ يَنْقَسِـمْ
كَـ"عَنْ مَجَالِسِ الفُسُوقِ بُعْـدَا
وَلاَ تُصَاحِـبْ فَاسِقـاً فَتَـرْدَى"
وَعَكْسُـهُ يُعْـرَفُ بِالإِطْنَـابِ
كَـ"الْزَمْ ـ رَعَاكَ اللَّهُ ـ قَرْعَ البَابِ"
يَـجِيءُ بِالإِيضَـاحِ بَعْدَ اللَّبْـسِ
لِشَـوْقٍ أوْ تَمَكُّـنٍ فِي النَّفْـسِ
وَجَـاءَ بِالإِيغَـالِ وَالتَّذْيِيـلِ
تَكْرِيـرٍ اعْتِـرَاضٍ أوْ تَكْمِيـلِ

يُــدْعَى بِالاِحْتِـرَاسِ وَالتَّتْمِيــمِ
وَقَفْوِ ذِي التَّخْصِيصِ ذَا التَّعْمِيــمِ
وَوَصْمَــةِ الإخْــلاَلِ وَالتَّطْوِيــلِ
وَالحَشْــوُ مَــرْدُودٌ بِلاَ تَفْصِيــلِ

الفــن الثــاني: علــم البيــان

فَــنُّ البَيَــانِ عِلْمٌ مَا بِهِ عُــرِفْ
تَأدِيَــةُ المَعْــنَى بِطُرْقٍ مُخْتَلِــفْ
وُضُوحُهَــا وَاحْصُــرْهُ فِي ثَلاَثَــةِ
تَشْبِيــهٍ أوْ مَجَــازٍ أوْ كِنَايَــةِ

فصــل في الدلالــة الوضعيــة

وَالقَصْــدُ بِالدَّلاَلَــةِ الوَضْعِيَّــهْ
عَلَى الأصَحِّ الفَهْــمُ لاَ الحِسِّيَّــهْ
أقْسَامُهَــا ثَلاَثَــةٌ مُطَابَقَــهْ
تَضَمُّــنٌ الْتِــزَامٌ امَّــا السَّابِقَــهْ
فَهْيَ الحَقِيقَــهْ لَيْسَ فِي فَنِّ البَيَــانِ
بَحْــثٌ لَهَا وَعَكْسُــهُ العَقْلِيَّتَــانِ

البــاب الأول: التشبيــه

تَشْبِيهُنَــا دَلاَلَــةٌ عَلَى اشْتِــرَاكْ
أَمْرَيْــنِ فِي مَعْــنًى بِآلَــةٍ أَتَــاكْ
أَرْكَانُــــهُ أَرْبَعَـــةٌ وَجْــهٌ أَدَاهْ
وَطَرَفَــاهُ فَاتَّبِــعْ سُبْــلَ النَّجَــاهْ
فَصْـــلٌ وَحِسِّيَــانِ مِنْهُ الطَّرَفَــانْ
أَيَضــاً وَعَقْلِيَّــانِ أَوْ مُخْتَلِفَــانْ
الوَجْــهُ مَــا يَشْتَرِكَــانِ فِيــهِ
وَدَاخِــلاً وَخَارِجـــاً تُلْفِيـــهِ
وَخَــارِجٌ وَصْفٌ حَقِيــقِيٌّ جَــلاَ
بِحِــسٍ أَوْ عَقْــلٍ وَنِسْــبِيٍّ تَــلاَ
وَوَاحِـــداً يَكُــونُ أَوْ مُؤَلَّفَــا
أَوْ مُتَعَـــدِّداً وَكُـــلٌّ عُرِفَـــا
بِحِــسٍّ أَوْ عَقْلٍ وَتَشْبِيــهٍ نُــمِي
فِي الضِّــدِّ وَالتَّلْمِيــحِ لِلتَّهَكُّــمِ

فصـــل: في أداة التشبيــه وغايتــه وأقسامــه

أَدَاتُـــهُ كَــافٌ كَــأَنَّ مِثْــلُ
وَكُلٌّ مَا ضَاهَــاهُ ثُــمَّ الأَصْــلُ

إيـــلاَءُ مَا كَالْكَافِ مَا شُبِّـــهَ بِـــهْ
بِعَكْسِ مَا سِـــوَاهُ فَاعْلَـــمْ وَانْتَبِـــهْ
وَغَايَـــةُ التَشْبِيـــهِ كَشْفُ الحَـــالِ
مِقْـــدَارٍ أوْ مَكَـــــانٍ أوْ إيصَـــالِ
تَزْيِيـــــنٍ أوْ تَشْوِيـــهٍ اهْتِمَـــــامِ
تَنْوِيـــهٍ اسْتِظْـــرَافٍ أوْ إيهَـــــامِ
رُجْحَانُـــهُ فِي الوَجْـــهِ بِالْمَقْلُـــوبِ
كَـــ"اللَّيْثُ مِثْلُ الفَاسِقِ المَصْحُوبِ"
وَبِاعْتِبَـــارِ الطَّرَفَيْـــنِ يَنْقَسِـــمْ
أرْبَعَـــةً تَرْكِيبـــــاً افْـــرَاداً عُلِـــمْ
وَبِاعْتِبَـــارِ عَـــــدَدٍ مَلْفُـــوفٍ أوْ
مَفْـــرُوقٍ أوْ تَسْوِيَـــةٍ جَمْـــعٍ رَأوْا
وَبِاعْتِبَـــارِ الوَجْــــهِ تَمْثِيـــلٌ إذَا
مِـــنْ مُتَعَـــــدِّدٍ تَــــرَاهُ أخِـــذَا
وَبِاعْتِبَـــارِ الوَجْـــهِ أيْضاً مُجْمَـــلُ
خَـــفِيٌّ أوْ جَـــلِيٌّ أوْ مُفَصَّـــــلُ
وَمِنْـــهُ بِاعْتِبَـــارِهِ أيْضـــاً قَرِيـــبْ
وَهْوَ جَلِيُّ الوَجْهِ عَكْسُهُ الغَرِيـــبْ
لِكَثْـــرَةِ التَّفْصِيـــلِ أوْ لِنَـــــدْرَةِ
فِي الذِّهْنِ كَـــ"التَّرْتِيبِ فِي كَنُهْيَتِي"
وَبِاعْتِبَـــــارِ آلَـــةٍ مُؤَكَـــدُ
بِحَذْفِهَـــا وَمُرْسَـــلٌ إذْ تُوجَـــدُ

وَمِنْـــهُ مَقْبُـــولٌ بغَايَـــةٍ يَـــفِي
وَعَكْسُـــهُ المَــرْدُودُ وَالتَّعَسُّـــفِ
وَأَبْلَـــغُ التَّشْبِيـــهِ مَا مِنْهُ حُـــذِفْ
وَجْـــهٌ وَآلَـــةٌ يَلِيـــهِ مَا عُـــرِفْ

البـــاب الثـــاني: الحقيقـــة والمجـــاز

حَقِيقَـــةٌ مُسْتَعْمَـــلٌ فِيمَا وُضِـــعْ
لَهُ بعُـــرْفِ ذِي الخِطَـــابِ فَاتَّبِـــعْ
ثُمَّ المَجَـــازُ قَـــدْ يَـــجِيءُ مُفْـــرَدَا
وَقَـــدْ يَـــجِي مُرَكَّبـــاً فَالْمُبْتَـــدَا
كَلِمَـــةٌ غَايَـــرَتِ المَوْضُوعَ مَـــعْ
قَرِينَـــةٍ لِعُلْقَـــــةٍ نِلْـــتَ الـــوَرَعْ
كَاخْلَعْ نِعَـــالَ الكَوْنِ كَيْ تَـــرَاهُ
وَغُـــضَّ طَرْفَ القَلْبِ عَنْ سِـــوَاهُ
كِلاَهُمَـــا شَـــرْعِيٌّ أَوْ عُـــــرْفِيُّ
نَحْـــوُ ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّـــوفِيُّ
أَوْ لُغَـــوِيٌّ وَالمَجَـــازُ مُرْسَـــــلُ
أَوِ اسْتِعَـــــارَةٌ فَأَمَّـــــا الأَوَّلُ
فَمَـــا سِـــوَى تَشَابُـــهٍ عَلاَقَتُـــــهْ
جُـــزْءٌ وَكُـــلٌ أَوْ مَحَـــلٌ آلَتُـــهْ

ظَرْفٌ وَمَظْرُوفٌ مُسَبَّبٌ سَبَبْ
وَصْفٌ لِمَاضٍ أوْ مَآلٍ مُرْتَقِبْ

فصل في الاستعارات

وَالاِسْتِعَارَةُ مَجَازٌ عُلْقَتُهْ
تَشَابُهٌ كَـ"أسَدٍ شَجَاعَتُهْ"
وَهْي مَجَازٌ لُغَةً عَلَى الأصَحْ
وَمُنعَتْ فِي عَلَمٍ لِمَا اتَّضَحْ
وَفَرْداً أوْ مَعْدُوداً أوْ مُؤَلَّفَا
مِنْهُ قَرِينَةٌ لَهَا قَدْ أَلِفَا
وَمَعْ تَنَافِي طَرَفَيْهَا تَنْتَمِي
إلَى العِنَادِ لاَ الوِفَاقِ فَاعْلَمِ
ثُمَّ العِنَادِيَّةُ تَلْمِيحِيَّهْ
تُلْفَى كَمَا تُلْفَى تَهَكُّمِيَّهْ
وَبِاعْتِبَارِ جَامِعٍ قَرِيبَهْ
كَقَمَرٍ يَقْرَأ أوْ غَرِيبَهْ
وَبِاعْتِبَارِ جَامِعٍ وَطَرَفَيْنِ
حِساً وَعَقْلاً سِتَّةٌ بِغَيْرِ مَيْنِ
وَاللَّفْظُ إنْ جِنْساً فَقُلْ أصْلِيَّهْ
وَتَبَعِيَّةٌ لَدَى الوَصْفِيَّهْ

وَالفِعْلُ وَالحَرْفُ كَحَالِ الصُّــوفِي

يَنْطِــقُ أَنَّــهُ المُنِيـــبُ المُــوفِي

وَأُطْلِقَــتْ وَهْيَ الَّتِي لَمْ تَقْتَــرِنْ

بِوَصْــفٍ أوْ تَفْرِيعِ أمْرٍ فَاسْتَبِــنْ

وَجُـــــرِّدَتْ بِلاَئِــــقٍ بِالفَصْــلِ

وَرُشِّحَــتْ بِلاَئِــــقٍ بِالأَصْــلِ

نَحْوُ ارْتَــقَى إِلَى سَمَاءِ القُــدْسِ

فَفَــاقَ مَنْ خَلْــفَ أَرْضِ الحِــسِّ

أَبْلَغُهَـــا التَّرْشِيــحُ لاِبْتِنَائِــــهِ

عَــلَى تَنَــاسِي الشِّبْــهِ وَانْتِفَائِــهِ

فصـــل في التحقيقيـــة والعقليـــة

وَذَاتُ مَعْــنًى ثَابِــتٍ بِحِــسٍ أَوْ

عَقْــــلٍ فَتَحْقِيقِيَّـــةٌ كَــذَا رَأَوْا

كَأَشْرَقَــتْ بَصَائِــرُ الصُّوفِيَّــــهْ

بِشَمْسِ نُــورِ الحَضْــرَةِ القُدْسِيَّــهْ

فصـــل في المكنيـــة

وَحَيْـــثُ تَشْبيهٌ بِنَفْـــسٍ أُضْمِـــرَا
وَمَـــا سِـــوَى مُشَبَّـــهٍ لَمْ يُذْكَـــرَا
وَدَلَّ لاَزِمٌ لِمَـــا شُبِّـــهَ بِـــهْ
فَذَلِـــكَ التَّشْبِيـــهُ عِنْـــدَ المُنْتَبِـــهْ
يُعْـــرَفُ باسْتِعَـــارَة الكِنَايَـــةِ
وَذِكْـــرُ لاَزِمٍ بِتَخْيِيلِيَّـــةِ
كَأَنْشَبَـــتْ مَنِيَّـــةٌ أَظْفَارَهَـــا
وَأَشْرَقَـــتْ حَضْرَتُهَـــا أَنْوَارَهَـــا

فصـــل في تحسيـــن الاستعـــارة

مُحْسِـــنُ اِسْتِعَـــارَةٍ تَدْرِيـــهِ
يُـــدْعَى بِوَجْهِ الحُسْـــنِ لِلتَّشْبِيـــهِ
وَالبُعْـــدُ عَنْ رَائِحَـــةِ التَّشْبِيـــهِ فِي
لَفْـــظٍ وَلَيْسَ الوَجْهُ أَلْغَـــازاً قُـــفِي

فصـــل في تركيـــب المجـــاز

مُرَكَّـــبُ المَجَـــازِ مَـــا تَحَصَّـــلاَ
فِي نِسْبَـــةٍ أوْ مِثْلِ تَمْثِيـــلٍ جَـــلاَ
وَإنْ أبَى اسْتِعَـــــارَةً مُرَكَّـــبُ
فَمَثَـــلاً يُـــــدْعَى وَلاَ يُنَكَّـــــبُ

فصـــل في تغييـــر الإعـــراب

وَمِنْـــهُ مَـــا إعْرَابُـــــهُ تَغَيَّـــــرَا
بِحَـــذْفِ لَفْـــظٍ أوْ زِيَادَةٍ تُـــرَى

البـــاب الثلـــث: الكنايـــة

لَفْـــظٌ بِـــهِ لاَزِمُ مَعْنَـــاهُ قُصِـــدْ
مَـــعْ جَـــوَازِ قَصْـــدِهِ مَعْهُ يَـــرِدْ
إلَى اخْتِصَاصِ الوَصْفِ بِالمَوْصُوفِ
كَـــ"الخَيْرُ فِي العُزْلَةِ يَا ذَا الصُّوفِي"
وَنَفْسُ مَوْصُوفٍ وَوَصْفٍ وَالْغَرَضْ
إيضَاحٌ اِخْتِصَارٌ أوْ صَوْنٌ عَـــرَضْ

أوِ انْتِفَــاءِ اللَّفْــظِ لاِسْتِهْجَــانِ
وَنَحْــوِهِ كَــ"اللَّمْــسِ وَالإتْيَــانِ"

فصـــل في مراتـــب المجـــاز الكـــنى

ثُـمَّ المَجَــازُ وَالكُــنَى أبْلَــغُ مِــنْ
تَصْرِيــحٍ أوْ حَقِيقَــةٍ كَذَا زُكِــنْ
فِي الفَــنِّ تَقْدِيــمُ اسْتِعَــارَةٍ عَلَى
تَشْبِيــهٍ ايْضــاً بِاتِّفَــاقِ العُقَــلاَ

الفـــن الثالـــث: علـــم البديـــع

عِلْمٌ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِيــنِ الكَــلاَمْ
يُعْــرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِــقِ المَــرَامْ
ثُــمَّ وُجُــوهُ حُسْنِــهِ ضَرْبَــانِ
بِحَسَــبِ الألْفَــاظِ وَالمَعَــانِي

الضـــرب الأول: المعنـــوي

وَعُــدَّ مِــنْ ألْقَابِــهِ الْمُطَابَقَــهْ
تَشَابُــــهُ الأطْــرَافِ وَالمُوَافَقَــهْ

وَالعَكْــسُ وَالتَّسْهِيمُ وَالمُشَاكَلَــهْ

تَــزَاوجٌ رُجُــوعٌ أوْ مُقَابَلَــهْ

تَوْرِيَــةٌ تُــدْعَى بِإِيهَــامٍ لِمَــا

أُرِيــدَ مَعْنَــاهُ البَعِيــدُ مِنْهُمَــا

وَرُشِّحَــتْ بِمَا يُلاَئِــمُ القَرِيــبْ

وَجُــرِّدَتْ بِفَقْــدِهِ فَكُنْ مُنِيــبْ

جَمْــعٌ وَتَفْرِيــقٌ وَتَقْسِيمٌ وَمَــعْ

كِلَيْهِمَا أوْ وَاحِــدٍ جَمْــعٌ يَقَــعْ

وَاللَّــفُّ وَالنَّشْــرُ وَالاِسْتِخْــدَامُ

أيْضــاً وَتَجْرِيــدٌ لَــهُ أقْسَــامُ

ثُــمَّ المُبَالَغَــةُ وَصْــفٌ يُــدَّعَى

بُلُوغُــهُ قَــدْراً يُــرَى مُمْتَنِعَــا

أوْ تَابِعــاً وَهْــوَ عَــلَى أنْحَــاء

تَبْلِيــغٌ اِغْــرَاقٌ غُلُــوٌّ جَــائِي

مَقْبُــولاً أوْ مَــرْدُوداً التَّفْرِيــعُ

وَحُسْــنُ تَعْلِيــلٍ لَــهُ تَنْوِيــعُ

وَقَدْ أتَــوْا فِي المَذْهَبِ الكَــلاَمِي

بِحُجَــجٍ كَمَهْيَــعِ الكَــلاَمِ

وَأكَّــدُوا مَدْحــاً بِشِبْــهِ الــذَّمِّ

كَالْعَكْسِ والإِدْمَاجُ مِنْ ذَا العِلْــمِ

وَجَاءَ الاِسْتِتْبَاعُ وَالتَّوْجِيــهُ مَــا

يَحْتَمِــلُ الوَجْهَيْــنِ عِنْدَ العُلَمَــا

وَمِنْهُ قَصْدُ الجَـــدِّ بِالْهَـــزْلِ كَمَـــا
يُثْنَى عَلَى الفَخُورِ ضِدَّ مَا اعْتَمَـــا
وَسُـــوقُ مَعْلُومٍ مَسَاقَ مَا جُهِـــلْ
لِنُكْتَـــةٍ تَجَاهُـــلٌ عَنْهُـــمْ نُقِـــلْ
وَالقَـــوْلُ بِالْمُوجِـــبِ قُلْ ضَرْبَـــانِ
كِلاَهُمَـــا فِي الفَـــــنِّ مَعْلُومَـــانِ
وَالاِطِّـــرَادُ العَطْـــفُ بِالآبَـــــاءِ
لِلشَّخْـــصِ مُطْلَقـــاً عَلَى الْـــوَلاَءِ

الضـــرب الثـــاني: اللفـــظي

مِنْـــهُ الجِنَـــاسُ وَهْـــوَ ذُو تَمَـــامِ
مَـــعَ اتِّحَـــادِ الحَـــرْفِ وَالنِّظَـــامِ
وَمُتَمَاثِــــــلاً دُعِي إِنِ ائْتَلَــــــفْ
نَوْعٌ وَمُسْتَوْفًى إِذَا النَّوْعُ اخْتَلَـــفْ
لَنْ يَعْـــرِفَ الوَاحِـــدُ إِلاَّ وَاحِـــدَا
فَاخْرُجْ عَنِ الكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِـــدَا
وَمِنْـــهُ ذُو التَّرْكِيـــبِ ذُو تَشَابُـــهِ
خَطًّـــا وَمُفْـــرُوقٌ بِـــلاَ تَشَابُـــهِ
وَإِنْ بِهَيْئَـــةِ الحُـــــرُوفِ اخْتَلَفَـــا
فَهْـــوَ الَّـــذِي يَدْعُونَـــهُ الْمُحَرَّفَـــا

وَنَاقِــصٌ مَعَ اخْتِلاَفٍ فِي العَــدَدْ

وَشَــرْطُ خُلْفِ النَّوْعِ وَاحِدٌ فَقَــدْ

وَمَــعْ تَقَــارُب مُضَارِعــاً أُلِــفْ

وَمَعْ تَبَاعُــدٍ بِلاَحِــقٍ وُصِــفْ

وَهْوَ جِنَاسُ القَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِــفْ

تَرْتِيبُهَــا لِلْكُلِّ وَالبَعْــضَ أضِــفْ

مُجَنَّحــاً يُــدْعَى إذَا تَقَاسَمَــا

بَيْتــاً فَكَانَــا فَاتِحــاً وَخَاتِمَــا

وَمَــعْ تَــوَالِي الطَّرَفَيْــنِ عُرِفَــا

مُزْدَوَجــاً كُــلُّ جِنَــاسٍ أُلِفَــا

تَنَاسُــبُ اللَّفْظَيْــنِ باشْتِقَــاق

وَشِبْهِــهِ فَــذَاكَ ذُو الْتِحَــاقِ

وَيَــرِدُ التَّجْنِيــسُ بالإشَــارَةِ

مِنْ غَيْــرِ أنْ يُذْكَــرَ فِي العِبَــارَةِ

وَمِنْــهُ رَدُّ عَجُــزِ اللَّفْــظِ عَــلَى

صَدْرٍ فَــفِي نَثْــرٍ بفَقْــرَةٍ جَــلاَ

مُكْتَنِفــاً وَالنَّظْــمُ الأوَّلْ أوَّلاَ

آخِــرَ مِصْــرَاعٍ فَمَا قَبْــلُ تَــلاَ

مُكَــرَّراً مُجَانِســاً وَمَا الْتَحَــقْ

يَأتِي كَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أحَــقْ

فصـــل في السجــع

وَالسَّجْعُ فِي فَوَاصِـــلٍ فِي النَّثْـــرِ
مُشْبِهَــــــةٍ قَافِيَـــةً فِي الشِّعْـــــرِ
ضُرُوبُــــــهُ ثَلاَثَــةٌ فِي الفَــــــنِّ
مُطَـــرَّفٌ مَعَ اخْتِــلاَفِ الْــوَزْنِ
مُرَصَّــعٌ إنْ كَانَ مَــا فِي الثَّانِيَــهْ
أوْ جُلُّــهُ عَــلَى وِفَــاقِ المَاضِيَــهْ
وَمَــا سِــوَاهُ المُتَــوَازِي فَــادْرِي
كَــ"سُــرُرٍ مَرْفُوعَةٍ فِي الذِّكْــرِ"
أبْلَــغُ ذَاكَ مُسْتَــوٍ فَمَــا يُــرَى
فِيهِ الْقَرِينَتَيْــنِ الأخْــرَى أكْثَــرَا
وَالعَكْسُ إنْ يَكْثُرْ فَلَيْسَ يَحْسُــنُ
وَمُطْلَقــاً أعْجَازُهَــا تُسَكَّــــــنُ
وَجَعْــلُ سَجْعِ كُلَّ شَطْرٍ غَيْرَ مَــا
فِي الآخَرِ التَّشْطِيــرُ عِنْدَ الْعُلَمَــا

فصـــل في الموازنـــة

ثُـــمَّ المُوَازَنَــةُ وَهْيَ التَّسْوِيَــهْ
لِفَاصِلٍ فِي الْوَزْنِ لاَ فِي التَّقْفِيَــهْ

وَهْيَ الْمُمَاثَلَــةُ حَيْــثُ يَتَّفِـــقْ
فِي الوَزْنِ لَفْظُ فَقْرَتَيْــهِ فَاسْتَفِـــقْ
وَالقَلْــبُ وَالتَّشْرِيعُ والْتِــزَامُ مَــا
قَبْلَ الــرَّوِيِّ ذِكْــرُهُ لَنْ يَلْزَمَــا

السرقـــات

وَأخْــذُ شَاعِــرٍ كَلاَمَــاً سَبَقَــهْ
هُــوَ الَّــذِي يَدْعُونَــهُ بِالسَّرِقَــهْ
وَكُــلُّ مَــا قُــرِّرَ فِي الألْبَــابِ
أوْ عَــادَةٍ فَلَيْسَ مِــنْ ذَا البَــابِ
وَالسَّرِقَـــاتُ عِنْدَهُــمْ قِسْمَــانِ
خَفِيَّـــةٌ جَلِيَّـــةٌ وَالثَّـــانِي
تَضَمُّـــنُ المَعْنَى جَمِيعــاً مُسْجَــلاَ
إرَادَةُ انْتِحَــالِ مَــا قَــدْ نُقِــلاَ
بِحَالِـــهِ وَألْحَقُــوا المُرَادِفَـــا
بِــهِ وَيُــدْعَى مَــا أتَى مُخَالِفَــا
لِنَظْمِــــهِ إغَــــارَةً وَحُمِــــدَا
حَيْـــثُ مِنَ السَّابِقِ كَانَ أجْــوَدَا
وَأخْــذُهُ المَعْــنَى مُجَــرَّدَا دُعِي
سَلْخــاً وَإلْمَامــاً وَتَقْسِيماً فَــعِي

السرقـــة الخفيـــة

وَمَا سِـــوَى الظَّاهِـــرِ إنْ تَغَيَّـــرَا
مَعْـــنًى بِوَجْهٍ مَا وَمَحْمُوداً يُـــرَى
لِنَقْـــلٍ أوْ خَلْـــطٍ شُمُولِ الثَّـــانِي
وَقَلْـــبٍ أوْ تَشَابُـــهِ المَعَـــانِي
أحْوَالُـــهُ بِحَسَـــبِ الخَفَـــاءِ
تَفَاضَلَـــتْ فِي الحُسْـــنِ وَالثَّنَـــاءِ

الاقتبـــــاس

وَالاِقْتِبَـــاسُ أنْ يُضَمَّـــنَ الكَـــلاَمُ
قُرْآنـــاً أوْ حَدِيثَ سَيِّـــدِ الأنَـــامِ
وَالاِقْتِبَـــاسُ عِنْدَهُـــمْ ضَرْبَـــانِ
مُحَـــوَّلٌ وَثَابِـــتُ المَعَـــانِي
وَجَائِـــزٌ لِـــوَزْنٍ أوْ سِـــوَاهُ
تَغْيِيـــرُ نَـــدْرِ اللَّفْـــظِ لاَ مَعْنَـــاهُ

التضمين والحل والعقد

وَالأخْذُ مِنْ شِعْرٍ بِحَذْفِ مَا خَفِي
تَضْمِينُهُمْ وَمَا عَلَى الأصْلِ يَفِي

لِنُكْتَةٍ جَلِيَّةٍ وَاغْتُفِرَا
يَسِيرُ تَغْيِيرٍ وَمَا مِنْهُ يُرَى

بَيْتاً فَأعْلَى بِاسْتِعَانَةٍ عُرِفْ
وَشَطْراً أو ادْنَى بِإيدَاعٍ أُلِفْ

وَالعَقْدُ نَظْمُ النَّثْرِ لاَ بِالاِقْتِبَاسْ
وَالحَلُّ نَثْرُ النَّظْمِ فَاعْرِفِ القِيَاسْ

وَاشْتَرَطُوا الشُّهْرَةَ فِي الكَلاَمِ
وَالمَنْعُ أصْلُ مَذْهَبِ الإمَامِ

التلميح

إشَارَةٌ لِقِصَّةٍ شِعْرٍ مَثَلْ
مِنْ غَيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيحٌ كَمَلْ

تذنيـــب بالألقـــاب مـــن الفـــن

مِنْ ذَلِـــكَ التَّوْشِيــحُ وَالتَّرْدِيـــدُ
تَرْتِيـــــبٌ اخْتِـــرَاعٌ أوْ تَعْدِيـــدُ
كَالتَّائِبُـــونَ العَابدُونَ الحَامِـــدُونْ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ لسَّاجِـــدُونْ
تَطْرِيـــزٌ أوْ تَدْبِيـــجٌ اسْتِشْهَـــادُ
إيضَـــاحٌ ائْتِـــلاَفٌ اسْتِطْـــــرَادُ
إحَالَـــــةٌ تَلْوِيـــحٌ أوْ تَخْيِيـــــلُ
وَفُرْصَـــــةٌ تَسْمِيـــطٌ أوْ تَعْلِيـــلُ
تَحْلِيَـــــةٌ أوْ نَقْـــلٌ أوْ تَختُّـــــمُ
تَجْرِيـــدٌ اسْتِقْـــلاَلٌ أوْ تَهَكُّـــــمُ
تَعْرِيـــضٌ أوْ إلْغَـــــازٌ إرْتِقَـــــاءُ
تَنْزِيـــــلٌ أوْ تَأنِيـــسٌ أوْ إيمَـــاءُ
حُسْنُ البَيَانِ وَصْفٌ أوْ مُرَاجَعَـــهْ
حُسْـــنُ تَخَلُّـــصٍ بِـــلاَ مُنَازَعَـــهْ

فصـــل: فيمـــا لا يعـــد كذبـــا

وَلَيْـــسَ فِي الإيهَـــامِ وَالتَّهَكُّـــمِ
وَلاَ التَّغَـــالِي بِسِـــــوَى المُحَـــرَّمِ

مِنْ كَذِبٍ وَفِي المِـزَاحِ قَدْ لُـزِبْ
بِحَيْثُ لاَ مِنْهُ يُعَـدُّ مِنَ الكَـذِبْ

خاتمـــة

وَيَنْبَـغِي لِصَاحِـبِ الكَـلاَمِ
تَأَنُّـقٌ فِي البَـدْءِ وَالخِتَـامِ
بِمَطْلَـعٍ حَسَنٍ وَحُسْـنِ الفَـالِ
وَسَبْـكٍ أَوْ بَرَاعَـةِ اسْتِهْـلاَلِ
وَالحُسْنُ فِي تَخَلُّصٍ أَوِ اقْتِضَـابْ
وَفِي الَّذِي يَدْعُونَهُ فَصْلَ الخِطَـابْ
وَمنْ سِمَاتِ الحُسْـنِ فِي الخِتَـامِ
إِرْدَافُـهُ بِمُشْعِـرِ التَّمَـامِ
هَـذَا تَمَـامُ الجُمْلَـةِ المَقْصُـودَهْ
مِنْ صِفَـةِ البَلاَغِـةِ المَحْمُـودَهْ
ثُمَّ صَـلاَةُ اللَّـهِ طُـولَ الأَمَـدِ
عَلَى النَّـبِيِّ المُصْطَـفَى (مُحَمَّـدِ)
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الأَخْيَـارِ
مَـا غَـرَّدَ المُشْتَـاقُ بِالأَسْحَـارِ
وَخَـرَّ سَاجِـداً إِلَى الأَذْقَـانِ
يَبْـغِي وَسِيلَـةً إِلَى الرَّحْمَـنِ

تَــمَّ بِشَهْــرِ الحجَّــةِ المَيمُــــونِ
تَتْمِيــمُ نِصْفِ عَاشِــرِ القُــرُونِ

*****

ثامناً: ـ السلم المرونق:

"السلم المرونق" منظومة من بحر الرجز؛ أنجزها **الأخضري** في 144 بيتاً؛ وقد لخص فيها **"علم المنطق والحكمة"** ببراعة كبيرة؛ بغرض إفادة تلاميذه، وتعليمهم أهم القضايا التي عالجها علم المنطق. وبذلك تتضح مكانة **الأخضري** العلمية والمنهجية. كما قام **الأخضري** ـ بنفسه ـ بإعداد شرح لمنظومة **"السلم المرونق"**. وقد طبع المتن وشرحه معاً في مصر. كما طبعت المنظومة ـ لوحدها ـ عدة مرات في مصر.

وقد تولى ـ أيضاً ـ شرح منظومة **"السلم المرونق"** عدد من علماء المغرب والمشرق كـ: مصر والسودان والهند؛[1] حيث طبعت وتناولها الناس بالحفظ والدرس. ففي المشرق شرحت من قبل: **إبراهيم الباجوري**،[2] **ومحمد الأنبابي**،[3] **ومحمد التفاني**. أما في الجزائر؛ فأهم شرح لمنظومة **"السلم المرونق"** كان

---

[1] أنظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص ص: 159 ـ 160.

[2] وهو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري؛ فقيه شافعي ولد سنة 1198 هـ/1784م؛ في قرية باجور التابعة للمنوفية بمصر؛ وتولى مشيخة الأزهر؛ ثم توفي سنة 1277هـ/1860م. من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على مختصر السنوسي" في المنطق، و"التحفة الخيرية" وهي حاشية على الشنشورية في الفرائض، و "تحفة المريد على جوهرة التوحيد"، وغيره.

[3] هو شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنبابي؛ فقيه شافعي؛ ولد في القاهرة سنة 1240 هـ/1824م، وتوفي بها سنة 1313هـ/1896م؛ تقلد مشيخة الأزهر مرتين؛ من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على رسالة الصبان" في البيان، و"تقرير على حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام" في النحو، وغيره.

من قبل **سعيد بن إبراهيم قدورة،**[1]؛ هذا بالإضافة إلى المستشرق الفرنسي **لوسياني**[2]؛ الذي أعد ـ أيضاً ـ تحقيقاً وشرحاً **"للسلم المرونق".**

وهكذا؛ ففي الوقت الذي يقف علماء آخرون ضد تدريس المنطق والكتابة فيه ـ لاعتقادهم أنه من العلوم العقلية؛ التي تتعارض مع المعتقد الديني ـ نرى **الأخضري** يقف في صف العلماء المتنورين؛ الذين يؤيدون تدريس المنطق؛ لما فيه من فوائد. وقد أشار **الأخضري** بنفسه لهذا الأمر حين قال:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أخْرَجَا
نَتَائِجَ الفِكْرِ لأَرْبَابِ الحِجَا
وَحَطَّ عَنْهُمْ مِنْ سَمَاءِ العَقْلِ
كُلَّ حِجَابٍ مِنْ سَحَابِ الجَهْلِ
حَتَّى بَدَتْ لَهُمْ شُمُوسُ المَعْرِفَهْ
رَأَوْا مُخَدَّرَاتِهَا مُنْكَشِفَهْ

إلى أن يقول:

(وَبَعْدُ): فَالْمَنْطِقُ لِلْجَنَانِ
نِسْبَتُهُ كَالنَّحْوِ لِلِّسَانِ

---

[1] هو فيه مالكي ومفتي الجزائر؛ ولد بالجزائر وتوفي بها سنة 1066 هـ/1656م. من مؤلفاته أيضاً: "شرح الصغرى للسنوسي"، و"شرح على جوهرة التوحيد للقاني".

[2] .Luciani,J,D. (1851 – 1932) ؛ وهو من علماء القانون؛ ولكنه اهتم بتحقيق ونشر عدد من المخطوطات العربية؛ في الجزائر وباريس.

فَيَعْصِمُ الأفْكَارَ عَنْ غَيِّ الخَطَا

وَعَنْ دَقِيقِ الْفَهْمِ يَكْشِفُ الغِطَا

فَهَاكَ مِنْ أصُولِهِ قَوَاعِدَا

تَجْمَعُ مِنْ فُنُونِهِ فَوَائِدَا

سَمَّيْتُهُ: "بالسُّلَّمِ الْمُرَوْنَقِ"[1]

يُرْقَى بِهِ سَمَاءُ عِلْمِ "الْمَنْطِقِ"

وَاللَّهَ أرْجُو أنْ يَكُونَ خَالِصَا

لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ لَيْسَ قَالِصَا[2]

وَأنْ يَكُونَ نَافِعاً لِلْمُبْتَدِي

بِهِ إلَى الْمُطَوَّلاَتِ يَهْتَدِي

وَالخُلْفُ فِي جَوَازِ الاِشْتِغَالِ

بِهِ عَلَى ثَلاَثَةٍ أقْوَالِ

فَابْنُ الصَّلاَحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا

وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَا

وَالقَوْلَةُ الْمَشْهُورَةُ الصَّحِيحَهْ

جَوَازُهُ لِكَامِلِ القَرِيحَهْ

مُمَارِسِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ

لِيَهْتَدِي بِهِ إلَى الصَّوَابِ

---

[1] كتب في النسخة التي بين يدي: "السلم المنورق" ويبدو أن ذلك حدث بسبب التصحيف.

[2] أي ليس منقبضاً ولا منكمشاً

فصـــل: في أنـــواع العلـــم الحـــادث

إِدْرَاكُ مُفْـــرَدٍ تَصَـــــوُّراً عُلِـــمْ
وَدَرْكُ نِسْبَـــــةٍ بِتَصْدِيـــقٍ وُسِـــمْ
وَقَـــدِّمِ الأَوَّلَ عِنْـــدَ الوَضْـــــعِ
لأَنَّـــهُ مُقَـــــدَّمٌ بِالطَّبْـــعِ
وَالنَّظَـــرِي مَـــا احْتَـــاجَ لِلتَّأَمُّـــلِ
وَعَكْسُـــهُ هُوَ الضَّرُورِيُّ الْجَـــلِي
وَمَـــا بِـــهِ إِلَى تَصَـــوُّرٍ وُصِـــلْ
يُـــدْعَى بِقَوْلٍ شَـــارِحٍ فَلْتَبْتَهِـــلْ
وَمَـــا لِتَصْدِيـــقٍ بِـــهِ تُوُصِّـــلاَ
بِحُجَّـــةٍ يُعْـــرَفُ عِنْـــدَ العُقَـــلاَ

فصـــل: في أنـــواع الدلالـــة الوضعيـــة

دِلاَلَـــةُ اللَّفْـــظِ عَلَى مَا وَافَقَـــهْ
يَدْعُونَهَـــــا دِلاَلَـــةَ الْمُطَابَقَـــهْ
وَجُزْئِـــهِ تَضَمُّنـــاً وَمَـــا لَـــزِمْ
فَهْـــوَ الْتِـــزَامٌ إِنْ بِعَقْـــلٍ الْتُـــزِمْ

فصـــل: في مباحــث الألفـــاظ

مُسْتَعْمَـــلُ الألْفَاظِ حَيثُ يُوجَـــدُ
إمَّـــا مُرَكَّـــــبٌ وَإمَّـــا مُفْــرَدُ
فَـــأوَّلٌ مَـــا دَلَّ جُـــزْؤُهُ عَـــلَى
جُـــزْءِ مَعْنَـــاهُ بعَكْـــسِ مَا تَـــلاَ
وَهْوَ عَلَى قِسْمَيْـــنِ أعْنِي المُفْـــرَدَا
كُـــلِّيٍّ أوْ جُـــزْئِيٍّ حَيْثُ وُجِـــدَا
فَمُفْهِـــــمُ اشْتِـــــرَاكِ الكُـــلِيُّ
كَأسَـــــدٍ وعَكْسُـــهُ الجُـــــزْئِيُّ
وَأوَّلاً لِلـــذَّاتِ إنْ فِيهَـــا انْـــدَرَجْ
فَانْسُبْـــهُ أوْ لِعَـــارِضٍ إذَا خَـــرَجْ
وَالكُلِّيَاتُ خَمْسَـــةٌ دُونَ انْتِقَـــاصْ
جنْسٌ وَفَصْلٌ عَرَضٌ نَوْعٌ وَخَـــاصْ
وَأوَّلٌ ثَلاَثَـــــةٌ بِـــلاَ شَطَـــطْ
جِنْـــسٌ قَرِيبٌ أوْ بَعِيدٌ أوْ وَسَـــطْ

فصـــل في نسبـــة الألفـــاظ للمعـــاني

وَنِسْبَـــــةُ الألْفَـــــاظِ لِلْمَعَـــانِي
خَمْسَـــةُ أقْسَـــامٍ بِـــلاَ نُقْصَـــانِ

تَوَاطُؤٌ تَشَاكُكٌ تَخَالُفُ
وَالاِشْتِرَاكُ عَكْسُهُ التَّرَادُفُ
وَاللَّفْظُ إِمَّا طَلَبٌ أَوْ خَبَرُ
وَأَوَّلٌ ثَلاَثَةٌ سَتُذْكَرُ
أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلاَ وَعَكْسُهُ دُعَا
وَفِي التَّسَاوِي فَالْتِمَاسٌ وَقَعَا

فصل: في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية

الكُلُّ حُكْمُنَا عَلَى المَجْمُوعِ
كَكُلُّ ذَاكَ لَيْسَ ذَا وُقُوعِ
وَحَيْثُمَا لِكُلِّ فَرْدٍ حُكِمَا
فَإِنَّهُ كُلِّيَّةٌ قَدْ عُلِمَا
وَالحُكْمُ لِلْبَعْضِ هُوَ الْجُزْئِيَّهْ
وَالْجُزْءُ مَعْرِفَتُهُ جَلِيَّهْ

فصل: في المعرفات

مُعَرَّفٌ عَلَى ثَلاَثَةٍ قُسِمْ
حَدٌّ وَرَسْمِيٌّ وَلَفْظِيٌّ عُلِمْ

فَالْحَــدُّ بِالْجِنْــسِ وَفَصْلٍ وَقَعَــا

والرســم بالجنــس وخاصة معــا

وَنَاقِــصُ الحَــدِّ بِفَصْلٍ أوْ مَعَــا

جِنْــسٍ بَعِيــدٍ لاَ قَرِيــبٍ وَقَعَــا

وَنَاقِــصُ الرَّسْمِ بِخَاصَّــةٍ فَقَــطْ

أوْ مَعَ جِنْــسٍ أبْعَــدٍ قَدِ ارْتَبَــطْ

وَمَــا بِلَفْــظِيٍّ لَدَيْهِــمْ شُهِــرَا

تَبْدِيــلُ لَفْــظٍ بِرَدِيــفٍ أشْهَــرَا

وَشَــرْطُ كُلٍّ أنْ يُــرَى مُطَّــرِدَا

مُنْعَكِســاً وَظَاهِــراً لاَ أبْعَــدَا

وَلاَ مُسَاوِيــــاً وَلاَ تَجَــــوُّزَا

بِــلاَ قَرِينَــــةٍ بِهَــا تُحِــرِّزَا

وَلاَ بِمَــا يُــدْرَى بِمَحْــدُودٍ وَلاَ

مُشْتَــرِكٍ مِــنَ القَرِينَــةِ خَــلاَ

وَعِنْدَهُــمْ مِــنْ جُمْلَــةِ المَــرْدُودِ

أنْ تَدْخُــلَ الأحْكَامُ فِي الحُــدُودِ

وَلاَ يَجُوزُ فِي الحُــدُودِ ذِكْــرُ أوْ

وَجَائِــزٌ فِي الرَّسْمِ فَــادْرِ مَا رَوَوْا

بـــاب القضايـــا وأحكامهـــا

مَا احْتَمَلَ الصِّدْقَ لِذَاتِــهِ جَــرَى
بَيْنَهُــــمُ قَضِيَّـــــةً وَخَبَــــرَا

ثُــمَّ القَضَايَــا عِنْدَهُــمْ قِسْمَــانِ
شَرْطِيَّـــــةٌ حَمْلِيَّـــةٌ وَالثَّـــانِي

كُلِّيَـــــةٌ شَخْصِيَّـــــةٌ وَالأَوَّلُ
إِمَّــا مُسَــوَّرٌ وَإِمَّــا مُهْمَـــــلُ

وَالسُّـــورُ كُلِّيًّـــا وَجُزْئِيًّـــا يُــرَى
وَأَرْبَـــعٌ أَقْسَامُـــهُ حَيْثُ جَــرَى

إِمَّــا بِكُـــلٍّ أَوْ بِبَعْــضٍ أَوْ بِــلاَ
شَيْءٍ وَلَيْسَ بَعْضُ أَوْ شِبْهٍ جَــلاَ

وَكُلُّهَـــا مُوجَبَـــةٌ وَسَالِبَـــــهْ
فَهْيَ إِذَنْ إِلَى الثَّمَـــانِ آيِبَـــهْ

وَالأَوَّلُ المَوْضُـــوعُ فِي الحَمْلِيّــهْ
وَالآخِــرُ المَحْمُـــولُ بِالسَّوِيَّـــهْ

وَإِنْ عَلَى التَّعْلِيــقِ فِيهَا قَدْ حُكِــمْ
فَإِنَّهَـــا شَرْطِيَّـــةٌ وَتَنْقَسِـــمْ

أَيْضـــاً إِلَى شَرْطِيَّـــةٍ مُتَّصِلَـــهْ
وَمِثْلُهَـــا شَرْطِيَّـــةٌ مُنْفَصِلَــــهْ

جُزْآهُمَـــا مُقَـــدَّمٌ وَتَـــالِي

أمَّـا بَيَـانُ ذَاتِ الاِتِّصَـــالِ

مَـا أوْجَبَـتْ تَـلاَزُمَ الجُزْأيْـنِ

وَذَاتُ الاِنْفِصَـالِ دُونَ مَيْـنِ

مَـا أوْجَبَـتْ تَنَافُـراً بَيْنَهُمَـا

أقْسَامُهَـا ثَلاَثَـةٌ فَالْتُعْلَمَـا

مَانِـعُ جَمْـعٍ أوْ خُلُـوٍّ أوْ هُمَـا

وَهْوَ الحَقِيـقِيُّ الأخَصُّ فَاعْلَمَـا

فصـل: في التناقـض

تَنَاقُـضٌ خُلْـفُ القَضِيَّتَيْـنِ فِي

كَيْـفٍ وَصِدْقُ وَاحِدٍ أمْرٌ قُـفِي

فَـإنْ تَكُنْ شَخْصِيَّـةً أوْ مُهْمَلَـهْ

فَنَقْضُهَـا بِالْكَيْـفِ أنْ تُبَدِّلَـهْ

وَإنْ تَكُـنْ مَحْصُـورَةً بِالسُّـورِ

فَانْقُضْ بِضِـدِّ سُورِهَا المَذْكُـورِ

وَإنْ تَكُـنْ مُوجِبَـةً كُلِّيَّـهْ

نَقِيضُهَـا سَالِبَـةٌ جُزْئِيَّـهْ

وَإنْ تَكُـنْ سَالِبَـةً كُلِّيَّـهْ

نَقِيضُهَـا مُوجِبَـةٌ جُزْئِيَّـهْ

فصـــل: في العكـــس المستـــوي

العَكْـــسُ قَلْبُ جُـــزأيِ القَضِيَّـــهْ
مَـــعَ بَقَـــاءِ الصِّـــدْقِ وَالْكَيْفِيَّـــهْ
وَالْكَـــمِّ إلاَّ الْمُوجَـــبَ الكُلِّيَّـــــهْ
فَعَوْضُهَـــا الْمُوجَبَـــــةُ الجُزْئِيَّـــــهْ
وَالعَكْـــسُ لاَزِمٌ لِغَيْـــرِ مَا وُجِـــدْ
بِـــهِ اجْتِمَاعُ الخِسَّتَيْـــنِ فَاقْتَصِـــدْ
وَمِثْلُهَـــــا الْمُهْمَلَـــةُ السَّلْبِيَّـــــهْ
لأَنَّهَـــــا فِي قُـــــوَّةِ الجُزْئِيَّـــــهْ
وَالعَكْـــسُ فِي مَرَتَّـــبٍ بِالطَّبْـــعِ
وَلَيْـــسَ فِي مُرَتَّــــــبٍ بِالوَضْـــعِ

بـــاب: في القيـــــاس

إنَّ القِيَـــاسَ مِنْ قَضَايَـــا صُـــوِّرَا
مُسْتَلْزِمـــاً بِالـــذَّاتِ قَوْلاً آخَـــرَا
ثُـــمَّ القِيَـــاسُ عِنْدَهُـــمْ قِسْمَـــانِ
فَمِنْـــهُ مَـــا يُـــدْعَى بِالاِقْتِـــرَانِي

وَهْوَ الَّــذِي دَلَّ عَــلَى النَّتِيجَــةِ
بِقُــــوَّةٍ وَاخْتَــصَّ بِالْحَمْلِيَّــةِ

فَــإِنْ تُــرِدْ تَرْكِيبَــهُ فَرَكِّبَــــا
مُقَدِّمَاتِـــــهِ عَــلَى مَا وَجَبَـــــا

وَرَتِّــبِ الْمُقَدِّمَـــــاتِ وَانْظُـــــرَا
صَحِيحَهَـــا مِنْ فَاسِــدٍ مُخْتَبِــرَا

فَــإِنَّ لاَزِمَ الْمُقَدِّمَـــــاتِ
بِحَسَـــــبِ الْمُقدِّمَـــــاتِ آتِ

وَمَــا مِــنَ الْمُقَدِّمَــاتِ صُغْــرَى
فَيَجِــبُ انْدِرَاجُهَــا فِي الكُبْــرَى

وَذَاتُ حَــدٍّ أَصْغَــرٍ صُغْرَاهُمَــا
وَذَاتُ حَــدٍّ أَكْبَــرٍ كُبْرَاهُمَــــا

وَأَصْغَــرٌ فَــذَاكَ ذُو انْــــدِرَاجِ
وَوَسَــطٌ يُلْــغَى لَــدَى الإِنْتَــاجِ

فصـــل: في الأشكـــال

الشَّكْــلُ عِنْــدَ هَــؤُلاَءِ النَّــاسِ
يُطْلَــقُ عَــنْ قَضِيَّــتَيْ قِيَــاسِ

مِــنْ غَيْــرِ أَنْ تُعْتَبَــرَ الأَسْــوَارُ
إِذْ ذَاكَ بِالضَّـــــرْبِ لَــهُ يُشَــارُ

وَلِلْمُقَدِّمَــــاتِ أشْكَــالٌ فَقَــطْ

أرْبَعَــةٌ بِحَسَبِ الحَــدِّ الوَسَــطْ

حَمْــلٌ بِصُغْرَى وَضْعُهُ بِكُبْــرَى

يُــدْعَى بِشَكْــلٍ أوَّلٍ وَيُـــدْرَى

وَحَمْلُــهُ فِي الكُلِّ ثَانِيــاً عُــرِفْ

وَوَضْعُــهُ فِي الكُلِّ ثَالِثــاً أُلِــفْ

وَرَابِــعُ الأشْكَالِ عَكْــسُ الأوَّلِ

وَهْيَ عَلَى التَّرْتِيــبِ فِي التَّكَمُّــلِ

فَحَيْــثُ عَنْ هَذَا النِّظَــامِ يُعْــدَلُ

فَفَاسِـــدُ النِّظَـــامِ أمَّــا الأوَّلُ

فَشَرْطُــهُ الإيجَــابُ فِي صُغْــرَاهُ

وَأنْ تُــــرَى كُلِّيَّــةً كُبْـــرَاهُ

وَالثَّانِي أنْ يَخْتَلِفَا فِي الكَيْفِ مَــعْ

كُلِّيَــةِ الكُبْرَى لَهُ شَــرْطٌ وَقَــعْ

وَالثَّالِثُ الإيجَــابُ فِي صُغْرَاهُمَــا

وَأنْ تُــرَى كُلِّيَّــةً إحْدَاهُمَـــا

وَرَابِــعٌ عَــدَمُ جَمْــعِ الخِسَّتَيْــنِ

إلاَّ بِصُــورَةٍ فَفِيهَــا تَسْتَبِيـــنْ

صُغْرَاهُمَــا مُوجَبَـــةٌ جُزْئِيَّـــهْ

كُبْرَاهُمَـــا سَالِبَــةٌ كُلِّيَّـــهْ

فَمُنْتِـــجٌ لأوَّلٍ أرْبَعَـــةُ

كَالثَّــانِ ثُــمَّ ثَالِــثٌ فَسِتَّـــةُ

وَرَابِــعٌ بِخَمْسَــةٍ قَــدْ انْتَجَــــا
وَغَيْــرُ مَا ذَكَرْتُــهُ لَــنْ يُنْتِجَــا
وَتَتْبَــعُ النَّتِيجَــةُ الأَخَــسَّ مِــنْ
تِلْــكَ المُقَدِّمَــاتِ هَكَذَا زُكِــنْ
وَهَــذِهِ الأَشْكَــالُ بِالْحَمْـــلِيِّ
مُخْتَصَّــةٌ وَلَيْـــسَ بِالشَّــرْطِيِّ
وَالْحَــذْفُ فِي بَعْضِ الْمُقَدِّمَــاتِ
أَوِ النَّتِيجَــــــةِ لِعِلْـــمٍ آتِ
وَتَنْتَــهِي إِلَى ضَـــــرُورَةٍ لِمَــا
مِــنْ دَوْرٍ أَوْ تَسَلْسُـــلٍ قَدْ لَزِمَــا

في القيــاس الاستثنــائي

وَمِنْــهُ مَــا يُــدْعَى بِالإِسْتِثْنَــائِي
يُعْرَفُ بِالشَّــرْطِي بِــلاَ امْتِــرَاءِ
وَهْــوَ الَّــذِي دَلَّ عَلَى النَّتِيجَــةِ
أَوْ ضِدِّهَــا بِالفِعْــلِ لاَ بِالقُــوَّةِ
فَــإِنْ يَــكُ الشَّرْطِيُّ ذَا اتِّصَــالِ
أَنْتَــجَ وَضْعُ ذَاكَ وَضْــعَ التَّــالِي
وَرَفْــعُ تَــالٍ رَفْـــعَ أَوَّلٍ وَلاَ
يَلْــزَمُ فِي عَكْسِهِمَا لِمَا انْجَــلَى

وَإنْ يَكُـــنْ مُنْفَصِـــلاً فَوَضْـــعُ ذَا
يُنْتِـــجُ رَفْـــعَ ذَاكَ وَالعَكْسُ كَـــذَا
وَذَاكَ فِي الأخَـــصِّ ثُمَّ إنْ يَكُـــنْ
مَانِـــعَ جَمْـــعٍ فَبِوَضْعِ ذَا زُكِـــنْ
رَفْـــعٌ لِـــذَاكَ دُونَ عَكْـــسٍ وَإِذَا
مَانِـــعَ رَفْعٍ كَانَ فَهْوَ عَكْـــسُ ذَا

فصـــل: في لواحـــق القيـــاس

وَمِنْـــهُ مَـــا يَدْعُونَـــهُ مُرَكَّبَـــا
لِكَوْنِـــهِ مِنْ حُجَـــجٍ قَـــدْ رُكِّبَـــا
فَرَكِّبَنْـــهُ إنْ تُـــرِدْ أنْ تَعْلَمَـــــهْ
وَاقْلِـــبْ نَتِيجَـــةً بِـــهِ مُقَدَّمَـــــهْ
يَلْـــزَمُ مِـــنْ تَرْكِيبِهَـــا بِأخْـــرَى
نَتِيجَـــــةٌ إِلَى هَلُـــــمَّ جَـــــرًّا
مُتَّصِـــلُ النَّتَائِـــجِ الَّـــذِي حَـــوَى
يَكُـــونُ أوْ مَفْصُولُهَـــا كُلٌّ سَـــوَا
وَإنْ بِجُـــزئِيٍّ عَلَى كُلِيٍّ اسْتُـــدِلّْ
فَذَا بِالِاسْتِقْـــرَاءِ عِنْدَهُـــمْ عُقِـــلْ
وَعَكْسُـــهُ يُدْعَى القِيَاسَ الَمنْطِـــقِي
وَهْـــوَ الَّـــذِي قَدَّمْتُـــهُ فَحَقِّـــقِ

وَحَيْثُ جُــزْئِيٌّ عَلَى جُزْءٍ حُمِــلْ

لِجَامِــعٍ فَــذَاكَ تَمْثِيــلٌ جُعِــلْ

وَلاَ يُفِيــــدُ القَطْــعَ بِالدَّلِيــــلِ

قِيَــاسُ الاِسْتِقَــراءِ وَالتَّمْثِيــــلِ

أقســام الحجــــة

وَحُجَّــــةٌ نَقْلِيَّــــةٌ عَقْلِيَّــــهْ

أقْسَــامُ هَــذِي خَمْسَــةٌ جَلِيَّــهْ

خَطَابَــةٌ شِعْرٌ وَبُرْهَــانٌ جَــدَلْ

وَخَامِسٌ سَفْسَطَةٌ نِلْــتَ الأمَــلْ

أجَلُّهَــا البُرْهَــانُ مَا أُلِّــفَ مِنْ

مُقَدِّمَــاتٍ بِالْيَقِيــــنِ تَقْتَــــرِنْ

مِــنْ أوَّلِيَّــــاتٍ مُشَاهَــــدَاتِ

مُجَرَّبَــــــاتٍ مُتَوَاتِــــرَاتِ

وَحَدَسِيَــــاتٍ وَمَحْسُوسَــــاتِ

فَتِلْــــكَ جُمْلَــةُ اليَقِينِيَّــــاتِ

وَفِي دِلاَلَــــةِ المُقَدِّمَــــاتِ

عَــلَى النَّتِيجَــــةِ خِــلاَفٌ آتِ

عَقْــلِيٌّ أوْ عَــادِيٌّ أوْ تَوَلُّــــدُ

أوْ وَاجِــــبٌ وَالأوَّلُ المُؤَيَّــــدُ

خاتمـــــــــة

وَخطَـــأُ البُرْهَـــانِ حَيْثُ وُجِـــدَا

فِي مَـــادَةٍ أوْ صُـــورَةٍ فَالْمُبْتَـــدَا

فِي اللَّفْظِ كَاشْتِرَاكٍ أوْ كَجَعْـــلِ ذَا

تَبَايُـــنٍ مِثْـــلَ الرَّدِيـــفِ مَأخَـــذَا

وَفِي المَعَـــانِي لاِلْتِبَـــاسِ الكَاذِبَـــهْ

بِـــذَاتِ صِـــدْق فَافْهَـــمِ الْمُخَاطَبَـــهْ

كَمِثْـــلِ جَعْلِ العَـــرَضِي كَالذَّاتِي

أوْ نَاتِـــجٍ إحْـــدَى الْمُقَدِّمَـــاتِ

وَالحُكْـــمِ لِلْجِنْسِ بِحُكْمِ النَّـــوْعِ

وَجَعْـــلُ القَطْعِيِّ غَيْـــرَ القَطْـــعِي

وَالثَّـــانِي كَالْخُرُوجِ عَنْ أشْكَالِـــهِ

وَتَرْكُ شَرْطِ النَّتْـــجِ مِنْ إكْمَالِـــهِ

هَـــذَا تَمَـــامُ الغَـــرَضِ المَقْصُـــودِ

مِنْ أمَّهَـــاتِ المَنْطِـــقِ المَحْمُـــودِ

قَـــدِ انْتَـــهَى بِحَمْـــدِ رَبِّ الفَلَـــقِ

مَا رُمْتُـــهُ مِنْ فَنِّ عِلْـــمِ المَنْطِـــقِ

نَظَمَـــهُ العَبْـــدُ الذَّلِيـــلُ الْمُفْتَقِـــرْ

لِرَحْمَـــةِ المَوْلَى العَظِيـــمِ الْمُقْتَـــدِرْ

الأخْضَــرِيُّ (عَابِــدُ الرَّحْمَــــنِ)

المُرْتَــجِي مِــنْ رَبِّــه المَنَّـــــانِ

مَغْفِـــــرَةً تُحِيــطُ بِالذُّنُـــوبِ

وَتَكْشِــفُ الغِطَــا عَنِ القُلُــوبِ

وَأنْ يُثِيبَنَـــــا بِجَنَّــــــةِ العُـــــلاَ

فَإنَّـــهُ أكْـــرَمُ مَـــنْ تَفَضَّـــــلاَ

وَكُنْ أخِي لِلْمُبْتَــدِي مُسَامِحـــاً

وَكُنْ لإِصْـــلاَحِ الفَسَادِ نَاصِحـــاً

وَأصْلِـــــحِ الفَسَـــادَ بِالتَّأمُّــــلِ

وَإنْ بَدِيهَــــــةً فَـــــلاَ تُبَـــــدِّلِ

إذْ قِيلَ كَـــمْ مُزَيِّـــفٍ صَحِيحـــاً

لأجْلِ كَـــوْنِ فَهْمِــهِ قَبِيحــــــاً

وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَنْتَصِـــفْ لِمَقْصَـــدِي

العُـــذْرُ حَقٌّ وَاجِــبٌ لِلْمُبْتَــدِي

وَلِبُـــنَيِّ احْدَى وَعِشْرِيـــنَ سَنَـــهْ

مَعْـــذِرَةٌ مَقْبُولَـــةٌ مُسْتَحْسَنَـــــهْ

لاَ سِيَّمَـــا فِي عَاشِـــرِ القُـــرُونِ

ذِي الجَهْــلِ وَالفَسَـــادِ وَالفُتُـــونِ

وَكَـــانَ فِي أوَائِـــــلِ المُحَـــــرَّمِ

تَألِيــفُ هَذَا الرَّجَـــــزِ المُنَظَّــــمِ

مِـــنْ سَنَـــةِ إحْـــدَى وَأرْبَعِيـــنَ

مِـــنْ بَعْــدِ تِسْعَـــةٍ مِـــنَ المِئِيـــنَ

ثُـمَّ الصَّـلاَةُ وَالسَّـلاَمُ سَرْمَـدَا
عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ خَيْرِ مَنْ هَـدَى
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الثُّقَـاتِ
السَّالِكِيـنَ سُبُـلَ النَّجَـاةِ
مَا قَطَعَـتْ شَمْسُ النَّهَارِ أبْرُجَـا
وَطَلَعَ البَـدْرُ المُنِيـرُ فِي الـدُّجَى

*****

تاسعاً: ـ منظومة السراج في علم الفلك:

وهذه المنظومة المسماة بـ **"السراج"** في الفلك. وجدت من شرحها؛ لأهميتها وفائدها؛ إذ تولى شرحها تلميذ **الأخضري**؛ وهو **عبد العزيز بن أحمد ابن مسلم الفارسي**، ثم تلاه الشيخ **سحنون بن عثمان الميدوي الونشريسي**؛ الذي شرح أيضاً منظومة **"السراج"** تحت عنوان **"مفيد المحتاج في شرح السراج"** وقد طبع في **مصر** سنة 1324 هـ/1906م. وفي الجزائر بواسطة المطبعة الثعالبية. كما طبع المتن وشرحه في الجزائر أيضاً. وبعدها تعددت الشروح على السراج مروراً بشرح **سحنون الونشريسي**. ومن بين تلك الشروح **"جوهر المحتاج في شرح السراج"**.

ويفتتح **الأخضري** منظومته هذه هكذا:

الحمد لله العلي الحق	المالك الوهاب رب الخلق
نحمده جل على الأنعام	بنعمة الإيمان والإسلام
ثم الصلاة على محمد	خير الورى المشرف الممجد
وآله وصحبه وعترته	وكل من وقره من أمته
وبعد فاعلم أن علم الفلك	علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات	والفجر والقبلة والساعات
وما به تطرق للغيب	فذلك الحرام دون ريب
واعلم بأن العلم بالنجوم	علم شريف ليس بالمذموم
لأنه يفيد في الأوقات	كالفجر والأسحار والساعات
وهكذا يليق بالعباد	حين قيامهم إلى الأوراد
فليس يدري جاهل ما قد قضى	في الليل جملة فربما انقضى
فهاك منه ضابطا يا من سلك	سميته السراج في علم الفلك
وقد بدأت يا أخي هذا الكتاب	بنبذ لطيفة من الحساب
وإنما بالله أستعين	بأنه المهيمن المعين

فصل

واعلم أن الجهل بالأوقات	جهل بأمر الصوم والصلاة
فالعلم بالأوقات فرض يقبل	لأَنَّهُ بِهِ يَتِمُّ الْعَمَلُ

فأول الظهر الــزوال قــد عــرف وقامــة للعصر بعــد ما ألــف

والمغرب الغروب وقــت متحــد وللعشــاء شفــق إذا فقــــد

والفجر بالفجرالأخيــر الصــادق المستطيل الضــوء في المشــارق

والأول الكـــاذب بالعيــــان مرتفــع كذنــب السرحـــان

ومستطيــل الضــوء كالغمامــة تعرفــــه بهــــذه العلامــــة

يغتــر كــل جاهــل وغافــل بــه ويدريه اللبيــب العاقــل

فصـــل في معرفـــة ساعـــات النهـــار بالأقـــدام

وتعــرف الساعــات بالأقــدام في جملــة الشهــور والأيــام

فالساعــة الأولى (بكد) تعــرف وبعدها التي (بيب) توصــف

لثالث الساعات ســت يا فــتى رابعهــا ثلاثــة كـــذا أتى

وقدمــان يا فــتى للخامســة وقــدم منفــرد للسادســـة

وسابع الساعات مثل السادســة وثامن الساعات مثل الخامسة

وهكذا اعكــس ما بقى واعتبر واجمع إلى الزوال كل ما ذكــر

واعرف حروفه وهي اثنــا عشر يحــود جب بجد وحي تعتبــر

لكل شهر واحــد منهــا علــم واقسم على أيامه نقطا فهــم

وهكــذا في النقــص والزيــادة وذاك ما قد اقتضتــه العــادة

والاعتــدال يــوم يويــا فــتي من مارس واشتنبــر قد ثبتــا

كذا رجوع الشمس من دجنبرا وشهــر ينيــه فكن معتبــرا

فصـــل

للعصـــر سبعـــة مـــن الأقـــدام   مع الـــزوال جملـــة الأيـــام
وما بقى من النهـــار قد عـــرف   ثلاث ساعات خلا سدساً ألف
وزد على ظـــل الـــزوال قدمـــاً   للظهر مع نصف وربع فاعلما

فصـــل في نُبَـــذٍ مِـــنَ الحســـاب

ويدخـــل الربيـــع من فبرايـــرا   ليلـــة يـــه فالتكـــن مثايـــرا
ليـــز ميـــب يدخـــل المصيـــف   ومثلـــه مـــن غشتج الخريـــف
ويدخـــل الشتـــاء في نونبـــرا   ليلـــة يـــو فاستمـــع ودبـــرا

فصـــــل

ويعـــرف المجهـــول في الأيـــام   بقـــدر حرف الشهـــر والأيام
خذ ما مضى من شهرك العجـــمي وزد   عليه نقط حرفه الـــذي عهـــد
واطرحه طرح سبعـــة فما بـــقي   سبعاً أو أدنى فاستمع وحقـــق
فابـــدأ به من يـــوم ذاك العـــام   فمـــا انتـــهى فيه من الأيـــام
فذاك عيـــن يومـــك المجهـــول   وكالشهور جملـــة الفصـــول

فصــــل في معرفـــة السنـــة الكبيســـة

ودخـــل النيـــروز بالثلاثـــــة	في سنة الكبس فخـــذ مقالـــة
عـــام ثمـــان وثلاثيـــن سنـــــة	مـــن بعـــد تسعمائـــة مبينـــة
فاحسب وكبس خامس الأعوام	من سنة الكبس على الـــدوام
حـــتى إذا بلغـــت عـــام نـــد	وعـــام فـــز فازدلـــف وعـــد
عامـــا وصير سادس الأعـــوام	مثـــل الكبيس فاستمع كـــلام
وفيه وجه آخر فاعلـــم ذكـــر	فخذ سنين هجرة بالمنكســـر
واطرح من المجمـــوع قـــل خمسيـــن	وأربعـــاً فاعلـــم من المئيـــن
واضرب في ياء ما بـــقي فما اجتمـــع	فاطرح ثلاثين ثلاثيـــن تطـــع
وما بـــقي أقل من طرح فـــإن	تجاوز العشر فكبس قد زكـــن
اسقط لذي القرنين نقط شيـــن	ونقط عـــا مع نقـــط سيـــن
وما بقي فاطرحه طـــرح أربـــع	فإن بـــقى طرح فكبس فلتـــع
وعدة الحســـوم سبـــع تدخـــل	ليلـــة **يـــاء** من ربيع تقبـــل
وتدخـــل الليـــالي منه دجنبـــرا	ليلة **يـــب** منه كـــن معتبـــرا
وهكـــذا السمائـــم المشهـــورة	من شهر **يليـــز** كذا مذكورة
ويدخـــل النيســـان من أبريـــلا	ليلة **كـــز** فاعرف الدليـــلا
وهي سبعـــــة مـــن الليـــالي	وغيثهـــا مبـــارك ذو بـــــال
وعاشـــوراء عاشـــر المحـــرم	وقيـــل يوم تاســـع فالتعلـــم
وكان مولد الرســـول الصـــادق	ليلة **يـــب** من ربيـــع السابـــق
ومولـــد المسيـــح من دجنبـــرا	ليلة **كـــد** منه قدمـــا شهـــرا

واعلـم بـأن السبعـة الأيـام المبتـغى صيامهـا في العـام
ليلـة **يـه** كان من شعبانـا ويوم **كـز** من رجب قد كانا
لأن فيـه بعـث الرسـول صـلى عليـه ربنـا الجليـل
وثالث الأيام **يـه** ذي القعـدة كـذاك يوم تاسـع للحجـة
ومثـل ذاك ثالـث المحـرم وعاشـر له فحصـل واعلـم

فصـل في معرفـة سنيـن ذي القرنيـن

وإن ترد سنيـن ذي القرنيـن خـذ ما لهجرة من السنيـن
وعامـك الموجود إن به دخـل اكتبرج فاحسبه وإلا فاختـزل
ثـم تـرد أعجميـة أجـل فواحد من كل **لـج** يختـزل
وما يرى أدنى فلا إسقـاط فيـه وما بقي من بعد ذا فزد عليـه
من النين قـدر **غيـن** مع **لـج** ثم لذي القرنين كلما خـرج

فصـل في معرفـة أول يـوم مـن الشهـر العـربي

وإن تـرد أول يـوم الشهـر العـربي فاستمـع لشعـري
خذ نقط حرف شهرك الـذي فقـد وابدأ بيوم عامك الذي عهـد
فحيث ما قد انتهى لك العـدد فذاك يوم الشهر فاستمع تفـد
حروفـه **أجـد وزبجهو أبـد** لكل شهر واحد نلت العـدد
وعـدة الشهـور الأعجميـة خذهـا إليـك جملـة جليـة

ينايـــر مارس مايـــه يليـــه قـــل غشت اكتبـــر دجنبـــر نقـــل
لاء لهـــا فبرايـــر **كــح** شهـــر واجعل ثلاثين لغيـــر ما ذكـــر
فصل وإن ترد يا صـــاح تعقـــل بأي يوم كل شهـــر يدخـــل
خذ نقط حرف شهرك المقصود وابـــدأ بيوم عامك المعهـــود
فحيث ما انتهى لـــك التعـــداد فـــذاك يـــوم شهـــرك المـــراد
حروفه **أددز بـــه زجود حـــو** لكل شهـــر واحد كـــذا رووا
وللفصول **خشـــه** مـــع **رصـــد** **الهـــاء والـــدال** معاً للعـــدد
الخاء للخريف **والشيـــن** للشتـــا **والـــراء** للربيع **والصـــاد** أتى
للصيـــف ثم افعـــل كما تقـــررا وحصل العلـــم تكن معتبـــرا

فصـــل في معرفـــة أس السنـــة العجميـــة

وإن تـــرد تعـــرف أس عامـــك فانظر إلى دجنبـــر في ذلـــك
وإن يكـــن آخـــره يوم الأحـــد فالأس واحد وقس ما لم تـــزد
وإن يكن في العام كبس فالتـــزد في الأس واحداً وحصّل واجتهد
وشســـه وربـــع يـــوم للسنـــة العجميـــة فخذهـــا متقنـــة
وسنـــد وخمـــس يوم ســـدس للعـــــربي وبـــذا يكبـــس

فصـــل في ترحيـــل الشمـــس عـــلى المنـــازل

وإن ترد ترحيل شمـــس فاعلمـــا على المنازل فخذهـــا محكمـــا

خذ ما مضى من ذلك الفصل أجـل ورد له يوميـن ثم ما حصـل

فاجعلـه إطراحـا لكل منـزل **يـج** وكن مبتدئـا بـالأول

وما بـقي أقل من طرح فمـا قد قطعت من منزل قد علمـا

فـأول الربيـع **فـرغ** أول **وهقعـة** للصيـف لا تبـدل

وللخريـف **صرفـة** معلومـة وللشتـاء **شولـة** مفهومـة

وشفهـص يجمع كل ما ذكـر فسبعـة لكل فصـل فاعتبـر

وهي تقيـم عنـد كل منزلـة ثلاثـة وعشـرة مكملـة

الا بجبهـة فيـوم زائـد فيها لأجل الصيف فابغ الفائدة

فصـل في ترحيـل الشمـس عـلى البـروج

وإن ترد ترحيلها على البـروج وما الذي قد قطعت من الدروج

فخـذ من أبريـل إلى نهـارك وزد عليه تسعـة يا سالـك

واطرح ثلاثين ثلاثيـن الجميـع وابدأ بأول البـروج يا سميـع

فكل طـرح كامـل لواحـد ما لم يصل فدرج من واحـد

فصـل في ترحيـل القمـر عـلى المنـازل

إن ترد يا صاح ترحيـل القمـر على المنازل فلـذ بما اشتهـر

خذ ما مضى من شهرك العـربي تفـد وابدأ بمنزلة شمـس في العـدد

واعـط ليلـة لكـل منـزل وهو يرى لكل منـزل جـل

أو بإزائـــه وربمـــا انحــــرف   لأن لاتســـاع بينهما اختلـــف

فصـــل في ترحيـــل القمـــر عـــلى البـــروج

وإن ترد ترحيله على البـــروج   وما الذي قد قطعه من الدروج

خذ ما مضى من شهرك العـــربي وزد   عليه مثلـــه وخمســـة تجـــــد

لكل بـــرج خمســـة من ذلـــك   وابدأ ببرج الشمس في حسابك

فـــإن بـــقي واحـــد فانتبـــــه   فســـت أدراج مضت له بـــه

وإن بقي اثنـــان فاثنـــا عشـــر   من الدروج ثم قـــس ما غبـــر

واعلـــم بـــأن البـــدر يستهـــل   بثالـــث للشمـــس يستحـــل

ومن هنا في الازديـــاد يشـــرع   في كل يوم نصف سبع يسطع

وهكذا في النقـــص ثم يرجـــع   يسيـــر ليلتيـــن ثـــم يطلـــع

ويرجع النقص **ليـــه** في القمـــر   وثامن العشريـــن ربما ظهـــر

والشهـــر كامـــل إذا ما ظهـــرا   لذا النهار وناقـــص إن لم يـــرا

فصـــل في معرفـــة ساعـــات الليـــل

وتعـــرف الساعـــات بالمنـــازل   في الليل مهما قمت فلتقابـــل

وانظـــر إلى توســـط النجـــوم   وابـــدأ من الشمس إلى المعلوم

أعـــني التي في وســـط السمـــاء   واطرح من المجموع نقط **حاء**

واضـــرب في ست ما بقي فما خـــرج   فاطرحه طرح سبعة ولا حرج

لكل طرح ساعة وما يرى   أقل من طرح فأسباع ترى

وبين كل منزل ومنزل   ستة أسباع بأمر منجل

وإن يكن ما بينها توسط   من القضا فبالتحري مقسط

وإن يكن في القبلة الغمام   فبالطلوع كلها ترام

فاحسب من الشمس إلى الذي بدا   واطرح من المجموع **يه** أبدا

واعمل على المعلوم فيه ترتقي   وإن يكن في قبة ومشرق

فاحسب من المترلة التي تلي   شمساً لساقط بلا طرح قل

وقس على المعلوم في هذا النمط   وإن بدا نجم من الشرق سقط

نظيره في الغرب فالتبادر   وهذه الأبيات في النظائر

للنطح غفر بطنه الزباني   ثرية الإكليل قد أباني

والدبر إن قلّبه نظير   وهقعة لشولة تشير

وهنعة نعائم لديها   وللذراع بلدة تلايها

ونثرة تذبح سعد الأبلع   وجبهة من السعود الأرفع

لزبرة أخبية تظلها   وصرفة فرغ مقدم لها

عواؤها فرغا مؤخراً تلي   وبطن حوت للسماك الأعزل

شاميها من نطحها إلى السماك   ويماني ما سواه قد أتاك

وهكذا البروج منه شامي   ويمني فاستمع نظامي

شاميها من حملها للسنبلة   ويمني ما عداها قد انجلى

فحملها رقيبه الميزان   وثورها بعقرب بيان

جوزاؤها للقوس قد تشير   سرطانها لجديها نظير

وأسد لدلوها قد نفرا   عذراؤها تطرد حوتا مدبرا

فصـــل في معرفـــة القطـــب ومعرفـــة التوســـط والاستـــدلال بالقطـــب عـــلى القبلـــة

القطــب كوكب خفي حولــه　　　نجم ســني النور حكمه لــه

وهو مقيــم ما له من حركــة　　　لكنه استقــر وسط السمكــة

وهي التي بنات نعــش حولها　　　والفرقدان كوكب رأس لها

ذنبهــا الجدي بذاك يوصــف　　　عنــد المنجمين طــراً يعــرف

وانظر إلى الجنــوب كل يمــني　　　والقطب بين منكبيك قد بــني

وكل شام بين شرق وجنــوب　　　والقطب عن يسار منكب يؤب

فــذاك خــط قبلــة لدينــا　　　سبحــان مــن بــه علينــا

فصـــل في معرفـــة الطالـــع

وطالــع البــروج بالنهــــار　　　يعرف باساعة يا ذا القــاري

لكل بــرج ساعتيــن فاجعــل　　　وابدأ ببرج الشمس في التنقــل

وحيث ما انتهيت في الحســاب　　　فــذاك طالع بــلا ارتيــاب

وإن أردت طالــع المنــازل　　　فاجعل لكل ساعة يا عاقــل

منزلة وسدسهــا وابــدأ بمــا　　　ذكرتــه وافعــل بما تقدمــا

فزحــل في كل بــرج يعــرج　　　بقــدر لام أشهــرا فيخــرج

والمشتــري عاما فخــذ يقينــا　　　وأحمــر خمســا وأربعينــا

والشمس شهرا كاملا والزهــرة في كل بــرج قدر كوتثبــت

وكاتــب يقيم سبعــة عشــر في كل برج دائماً كذا استقــر

والقمــر المنير يســري ليلتيــن وثلثــا من ليلة بغيــر ميــن

واعلــم بأن جملــة الــدراري مسيرهــا للشرق باشتهــرار

وجملة الأفــلاك بالعكس تسيــر لمغــرب بقــدرة الله القديــر

فهــذه عدتهــــا كمــا تــرى لكــل دري سمــاء شهــرا

أسبوعها في السيــر بدر يا فــتى لأنــــه أقربهــا كمــا أتى

بقــدر ما يكون بعد الكوكــب يكــون قدر مكثــه فرتــب

فصــل في ذكــر عــدد خــدام الشمــس وكيفيــة سيرهــا في الفلــك وفيــه فوائــد

أنشــأ ربي منــشئ الأفــــلاك للشمس ستين من الأمــلاك

مــع ثلاثمائــــــة يجرونهـــا في رابــع الأفــلاك يخدمونهــا

ووكـــل الإلــــه رقيائـــل بهــم كذا أتى عن الأوائــل

يجرونهــا في عجلــة من نــور وهي بظهــر الفلك المذكــور

بظهــر بحــر زاخــر من مــاء مرتفــع في وســط السمــاء

والبحــر من أسفله مكفــوف يجري من أعلاه ولا يحيــف

كجريان السهم يجــري فاعتبــر وذاك من أقــل صنع المقتــدر

فجلهــم عند الغروف خلفهــا والعكس في الطلوع فاعرف وصفها

وإن أراد اللــــه بالكســوف أسقطها في بحرهــا المألــوف

بقـــدر هذا الغــرق الذكـــور   يكون في الشمس ذهاب النـــور
وتظهـــر الكواكـــب الخفيـــة   حـــتى تصيـــر كلهـــا جليـــة
وقيـــل غيـــر ذاك في أسبابـــه   فانظـــره في محلـــــه وبابـــه

بـــاب في القسمـــة وفيـــه خمســـة فصـــول

ــ الأول: في قسمـــة البـــروج عـــلى الـــدراري.
ــ والثـــاني: في قسمـــة المنـــازل عـــلى الـــدراري.
ــ والثالـــث: في قسمـــة المنـــازل عـــلى البـــروج.
ــ والرابـــع: في الأيـــام عـــلى الـــدراري.
ــ والخامـــس: في قسمـــة الـــدراري عـــلى الساعـــات.

الفصـــل الأول في قسمـــة البـــروج عـــلى الـــدراري

وتقسم البروج الاثـــنى عشـــرا   على الدراري كلها كما تـــرى
فأســـد للشمـــس والسرطـــان   للقمـــر والثـــور والميـــــزان
لزهـــرة والحمـــل ثم العقـــرب   لأحمـــر فهو المريـــخ ينســـب
للمشتري الحوت مع القـــوس أجـــل   والجدي ثم الدلو فاعلم لزحـــل
للكاتـــب الجـــوزاء والعـــذراء   جـــاءت بـــذاك عنهم الأنبـــاء

الفصـــل الثــني في قسمـــة المنـــازل عـــلى الـــدراري

واقســـم عليهـــا أيضا المنـــازل وردهـــا في جدول يا فاضـــل
وابـــدأ بشمس قمر فالأحمـــر فكاتب فالمشتـــري فالأزهـــر
فزحـــل وبعـــد ذاك تقســـم فأربـــع لكـــل دري تسهـــم

الفصـــل الثالـــث في قسمـــة المنـــازل

وتقســـم المنـــازل المذكـــورة على البروج قسمة مشهـــورة
لكـــل واحـــد بتقسيـــم جـــلي مترلتـــان ثـــم ثلـــث منـــزل
من أجل ذاك البدر كان قـــد مكـــث في كل برج ليلتيـــن وثلـــث
واعلـــم بأن عـــدة الـــدروج لكل واحـــد مـــن البـــروج
بقدر نقط الـــلام في الحســـاب ومثـــل ذاك عـــدة الأبـــواب

الفصـــل الرابـــع في قسمـــة الأيـــام عـــلى الـــدراري

فاعـــط دريـــا لكـــل يـــوم وقس على ترتيبـــه في النظـــم
شمـــس تقمـــرت بأحمـــر كتـــب بمشتر زهـــر مقاتل حســـب
فأحـــد للشمـــس ثـــم رتـــب عليه ما بقي كذاك فاحســـب

الفصـــل الخامـــس في قسمـــة الساعـــات عـــلى الـــدراري

وكـــل دري مـــن الـــدراري ... رب لساعـــة مـــن النهـــار

والليل قـــس عليه في ذا النظـــم ... وابـــدأ بساعة لـــرب اليـــوم

زحـــل مشتري مريـــخ شمـــس ... زهرة كاتب القمر دون لبـــس

فزحل رب الأولى يـــوم السبت ... وقـــس على ترتيبه في البيـــت

فصـــل في السعـــود والنحـــوس مـــن الـــدراري

والشمس والزهرة ثم المشتـــري ... سعد مريخ زحل نحيس حري

وكاتـــــب وقمـــر سعـــدان ... لكن مع النحس هما نحســـان

وأعظـــم النحـــوس باتفـــــاق ... مقاتـــل فاحـــذر ولا تـــلاق

وراقـــب الإلـــه في كل عمـــل ... تنـــل من الإله أحسن الأمـــل

وكل من قد حـــرم المراقبـــه ... فماله في الخيـــر من مطالبـــه

ومن أطـــاع الله رب العالميـــن ... أطاعـــه كل قـــوي ومتيـــن

وجاء في الحديث عمن أسقـــط ... من خاف من شيء عليه سلط

ومن يخاف الله خوفـــا مؤلمـــا ... خاف منه كل شيء فاعلمـــا

واعمل بتقوى الله واعلـــم أنهـــا ... قطب المعاملة فارقب حسنهـــا

أمرتـــك الخيـــر ومـــا ائمرتـــه ... ولســـت عامـــلا بما ذكرتـــه

لكـــــن ربي غافـــر الـــزلات ... فمنه أرجو العفو عن فعـــلاتي

فصـــل في الكواكـــب

وجملـــة الكواكب المذكـــورة مضيئـــة بالـــذات مستنيـــرة
إلا القمـــــر فإنـــه مقتبـــس من نور شمـــس نوره ملتمـــس

بـــاب في شـــرف الـــدراري وسقوطهـــا

وشرف الشمس ببيـــت الحمـــل سقوطها الميـــزان يا ذا العقـــل
وزهـــرة لها بحـــوت شـــرف سقوطها العذراء حقا يعـــرف
وشرف الكاتـــب في العـــذراء سقوطـــه الحوت بلا امتـــراء
والثـــور فيـــه شـــرف للقمـــر لكن بعقـــرب سقوطه حـــري
مقاتـــــل يشـــرف بالميـــزان سقوطـــه بالحمـــل خذ بيـــاني
والمشتـــري شرفـــه السرطـــان سقوطـــه بالجـــدي يا إنســـان
وأحمـــر شرفـــه في الجـــــدي سقوطـــه السرطـــان يا ذكي
الشمس تشرف في عشـــر من الحمـــل من بعد تسع حساب غير ذي خلل
والبدر بالثـــور يرقى منتـــهى شرفـــا وحل ثالثة الأجـــزا بلا مهـــل
وللمقاتـــل بالميـــزان مرتبـــــة تعلو لعزتها الأملاك في الـــدول
إحدى وعشـــرين تمـــضي منه في درج مكانه الشرف المأثـــور عن زحـــل
فالنصـــف من سرطـــان المـــاء منزلـــة للمشتري شـــرف أربى على الأمـــل
وإنـــني لا أرى المريـــخ مرتفعـــا في الجدي ذا شرف عـــال بلا مثـــل
وفي ثمـــان مـــع العشريـــن من درج ترى له صولة بالبيض والأسل

لزهرة السعد بطن الحـوت إن نزلـت تسير فيه بلبس الحلي والحلـل
سبعا وعشرين من أجزائـه كملـت تحجبت فيه بالأستار والكلـل
والنصف من درج العذرا غـدا شرفـا له عطارد مسرورا أخا جـذل
وفي النظايـر للأشراف يسقـط مـا سميت منه ضليعا شاكي العلل

بـاب في الأعـداء والأصدقـاء مـن الـدراري

الشمس والكيوان أعـدا أبـدا نعـم ولا يتفقـان سرمـدا
إن شرف الكيوان فالشمـس تـرى سقوطها والعكس هكذا جرى
وكاتـب مع زهـرة كذلـك والمشتري مع أحمر يا سالـك
وما لبـدر مـن عـدو فيهـم وأحمـر صديق شمس منهـم
بـدر صديـق زهرة قد علمـا والمشتري صديقه قد انتـمى
وأحمـر صديقـه الكيـوان وكاتب للشمـس يا إنسـان

بـاب الأعـداء والأصدقـاء مـن البـروج

وكلما للنـار والريـح انتـمى من البروج أصدقاء فاعلمـا
وهكـذا المـاء مـع التـراب فاعلم صديقيـن بلا ارتيـاب
والعكس في التـراب مع الهواء والنـار أيضاً هكـذا للمـاء

بـــاب سعـــادة البــــروج وشقاوهمـــا

فأول الحمل شقي يا فـــتى　　وآخـــر منه سعيد قد أتى
والثور بالعكس وما يليـــه　　بعكســـه كذاك نستوفيـــه
فواحـــد أولـــه شـــقي　　وواحد بالعكس يا ذكي
من بعد أن تستثني السرطـــان　　إذ كالذي من قبله قد كان

بـــاب في نـــواحي الـــدراري

والشمس بالمشـــرق في النهـــار　　بمغرب في الليل باشتهـــار
والعكس في عدوها المقاتـــل　　فخذ وكن متبعـــا يا سائلي
وزهرة بالليل قـــل جوفيـــه　　وبالنهـــار يا أخي قبليـــه
والعكس في عطارد والقمـــر　　ما بين قبلة وغرب اشتهـــر
وبين مشرق وجوف مشتـــري　　وبين شرق قبلة للأحمـــر

فصـــل في قـــدر عظـــم الشمـــس والقمـــر

وعظم الشمس كقـــدر الأرض　　قصا ونيفا فخذه وامـــض
والبدر قدره كنقـــط فـــاء　　قد قيل في بعض من الأنباء
وبيـــن كل فلـــك وفلـــك　　كنقط ثامن السنين قد حكي
وغلـــظ كل واحد كذلـــك　　سبحان ربنا القوي المالـــك

وفي الكتاب جملة الــدراري   في قوله بالخنس الجــواري
والكــل في الأفــلاك قــد يجــرون   كما أتى في الذكر يسبحون

بــاب معرفــة التربيــع وهــو مستخــرج مــن علــم الفلــك

وإن تــرد معرفــة التربيــع   وتخرج الكمين بالتوزيــع
فانظــر إلى اســم طالــع وكوكبــه   وكوكب الساعة فاعلم وانتبــه
وزد عليهم هذه الأســامي   نوح وحام يافث مع ســام
ثــم تعدهــم بعــد سبعــة   وتطرح الجميع طرح تسعة
وربع الأرض وبعــد تنظــر   في أي ربع بات فيه القمر
فإن يكن في مشرق فالتبتــدي   من قبلة فاعلم بما في العدد
وهكذا فيما بــقي تبتديــه   إن بات في ربع فبالذي يليه
فحيث ما انتهى لك التعــداد   فذلــك الربع وهو المــراد
وافعل به كما فعلــت أولا   حتى ترى الكمين فيه قد جــلا

بــاب في جهــات البــروج الإثــنى عشــر

بيت الحية برج كل واحــد   والثانيكبسه فخذ مقاصــد
فبيت الأخوة فبيت الأبويــن   فبيت الأبناء تفهم دون مين
يتلوه بيت مرض قد انجــلى   من بعده بيت النكاح فانقلا
فبيت موته فبيــت السفــر   فبيت ملكه فخذ ولا تزدري

فبيـــت سعده بالأصدقـــاء فبيـــت الأعداء بالشقـــاء

فصـــل في نحـــوس القمـــر

ونحسه بعقـــرب قد ذكـــرا لأنها سقوطه كما جـــرى

وهكذا اجتماعه مع زحـــل وذنب واحمر نحس جـــلي

وكونه في ثامـــن المطالـــع وثاني عشرة كذاك واقـــع

أو موضع محترق قد كان فيـــه وذاك بين عقرب وما يليـــه

فصـــل في معرفـــة الليـــل والنهـــار مـــن البـــروج الإثـــنى عشـــر

أن البروج قل على قسميـــن الليـــل والنهار دون ميـــن

النـــار والريـــاح نهاريـــان والمـــاء والتـــراب ليليـــان

فكـــل ليـــلي مؤنث شهـــر وغيره بالعكس هكذا ذكر

فصـــل في البـــروج

فصل من البروج ذو تقلـــب وثابت مجسد فالتحســـب

فالأول الحمل مع السرطـــان وهكذا الجدي مع الميـــزان

والثابت العقرب ثم الأســـد والدلو ثم الثور والمجســـد

والقوس والعذراء مع الجـــوزاء   وهكذا الحوت فاستمع إلى أنباء
ويجمع المذكور شكل تثـــم   لكل حرف أربع فلتعلـــم
والشمس والأحمــر ناريـــان   عطارد والكيوان ريحيـــان
وزهرة وقمـــر والمشتـــري   مائيـــة فاعلم وخذ لا تزدري

بـــاب في بيـــان الأركـــان الـــتي تقـــوم منهـــا الأبـــدان وهي الطبائـــع

واعلم بـــأن عدة الأركـــان   أربعـــة عناصـــر الأبـــدان
النـــار والهـــوا مخففـــــان   والمـــاء والأرض مثقـــلان
فالحر واليبس لطبـــع النـــار   والبرد واليبس لترب جـــار
رطوبة حرارة قـــل للهـــوا   رطوبة برودة ماء حـــوى

فصـــل في قسمـــة الحـــروف والبـــروج عـــلى الطبائـــع

وإن أردت قسمة الحـــروف   على الطبائع بلا تكليـــف
فضع حروف نتهم في جـــدول   واقسم عليها أبجد وكمـــل
وذا على طريق أهل الفلـــك   والحكماء نهمة عنهم حكي
فنتهـــم معنـــاه بإقـــــراء   نـــار تراب وهـــواء مـــاء
ولتقسم البروج مثل ذلـــك   عليـــه كي تتبع المسالـــك

يبدو أن المنظومة لم تنتهي هنا. ومع هذا نكتفي بما حصلنا عليه ــ إلى الآن ــ من هذه المنظومة الرائعة في الفلك؛ التي سماها **عبد الرحمن الأخضري:** السراج في الفلك. نقلناها من كتاب مفيد المحتاج في شرح السراج؛ الذي أعده **سحنون بن عثمان بن سليمان بن احمد ابن أبي بكر الميدوي.** وهو منشورات المكتبة الثعالبة بالجزائر.

*****

عاشراً: ــ ومنظومة "أزهار المطالب في علم بالإسطرلاب"[1].

يبدأ هذه المنظومة هكذا:

القول في تسمية الآلات[2]

ورسم الاسطرلاب حيث ياتي

---

[1] الأسطرلاب أو الأسطرالاب (Astralabe): آلة فلكية عريقة؛ تسمى عند العرب أيضاً باسم (ذات الصفائح). وربما عاد اختراعها الأول إلى الفراعنة أو البابليين؛ نظراً لعنايتهم واهتمامهم بعلم بالفلك وتتبع النجوم ودراسة حركتها. وذكر اليعقوبي أن ثيون الأسكندري الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ألف عملاً حول الأسطرلاب؛ غير أن عمله هذا لم يصل إلينا. كما تبين أن السريانيين كان لهم اهتمام بالأسطرلاب؛ إذ قام ــ في القرن السابع الميلادي ــ سفيروس سيبوخت بالكتابة حول الآسطرلاب. وفي العصر الإسلامي شاع استعمال الأسطرلاب وانتشر استعماله بين المسلمين؛ حيث ألف أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي (291هـ/903م ــ 376هـ/986م)؛ كتاب العمل في عمل الأسطرلاب، وفي القرن الثامن الميلادي قام أبو إسحاق إبراهيم بتطوير الأسطرلاب. ومن ذلك الوقت تعددت المؤلفات المتعلقة بالأسطرلاب لدى المسلمين؛ خاصة في الأندلس والمغرب؛ منها منظومة الأخضري هذه.

[2] تعددت أشكال آلة الأسطرلاب؛ كما اختلفت المواد التي صنعت بها. فمنها الخشبية، ومنها النحاسية ومنها الحديدية...

بالأم ذات البطـــن والكرسي مـــا[1]

عـــلا وفيه عـــروة قـــد رسمـــا[2]

وظاهـــــــر الأم بـــه مميـــــز

دوايـــــر محيطـــــة بالمركـــز[3]

أولهـــــا دايـــــرة للأشهـــــر[4]

ينقصهـــا من كامـــل وأبتـــــر

حاويـــــة لكـــل أيـــام السنـــة

وهي الـــتي بسطحـــه مبينـــــة

وبعدها البـــروج الإثـــنى عشـــرة[5]

قسم البـــروج فوقهـــا قد سطـــرا

فكـــل واحـــد مـــن الأبـــراج

لـــه ثلاثـــــون مـــن الأدراج[6]

وربع الارتفـــاع فـــوق سطـــرا

بالجهتيـــن فيـــه تسعـــون تـــرا

ووســـط الظهـــر بـــه ضلعـــان

فجهـــة الظليـــن موضوعـــان

---

[1] الأم: هي الـتي تشتمـل الصفائـح المثبتـة في الوجـه. أمـا الكـرسي: فهـو الخـط المستقيـم المـار بمركـز الدائـرة والكـرة المنتـهي إلى الجانبيـن: الأيمـن والأيسـر.

[2] العـروة: هي الـتي فيهـا الحلقـة؛ وهي ماسكـة للكـرسي.

[3] المركـز: هـو النقطـة المفروضـة في وسـط الصفيحـة.

[4] أي محيـط الدائـرة الأولى في وجـه الأسطـرلاب تكـون للأشهـر.

[5] البـروج الفلكيـة هي: الحمـل، الثـور، الجـوزاء، السرطـان، الأسـد، العـذراء، الميـزان، العقـرب، القـوس، الجـدي، الدلـو، الحـوت،

[6] أي لكـل بـرج ثلاثـون درجـة.

قد عرف المبسوط والمنكوس

كل من الاصباح فيه اقتفي

فظله المبسوط بالإجماع

يزيد عند نقص الارتفاع

وحيث زاد الارتفاع نقصا

وعكسه المنكوس فيما نصحا

وما يدار فوقها عضاده[1]

محدودة الرأسين للإفادة

وشطبتاه فوقها مثقوبتان

لأخذ لارتفاع قل مبعدتان

ووجه الأم فيه حجرة بدت[2]

فيها جميع الدرجات نزلت

والعنكبوت شبكة تدار[3]

على الصفائح لها اضطرار

وعدلت منطقة البروج

في وسطها بجملة الدروج

وحولها كواكب قد عدلت

وكلها على السموت عدلت[4]

---

[1] العضادة: هي المسطرة التي تدور على ظهر الأسطرلاب.

[2] الحجرة: هي الدائرة المقسومة.

[3] العنكبوت: هي الصفيحة المشبكة الموضوعة فوق الصفائح المشتملة على منطقة الأبراج.

[4] السموت مفردها سمت: ويستعمل في علم الفلك للدلالة على طول القوس؛ وهو الزاوية المحصورة بين أي مستقيم مرسوم في الأفق مارا بموضع الراصد، وبين الخط المرسوم من الشرق إلى الغرب. ويقصد بها أيضاً خطوط الطول.

وعند رأس الجدي باستواء

محدد يدعي مدى الأجزاء

تدرى به الأجزاء للساعات

وقوس ما ثبت من الأوقات

وتحتها صفائح الأعراض[1]

لكل إقليم من الأراضي

في وجهها دواير مرسومة

ثلاثة محيطة محكومة

فالدارة الكبرى لرأس الجدي

يمشي عليها دايما في الجدي

وسطاؤها للحمل والميزان

وبعدها الصغرى للسرطان

فدارة الميزان ثم الحمل

يدعونها بدارة المعدل[2]

وللشمال كل ما فيها اندرج

وللجنوب كل ما عنها خرج

وخطها المنصوب باستواء

يدعى بخط وسط السماء

---

[1] الصفائح سميت بها آلة الأسطرلاب؛ (ذات الصفائح)؛ وفي كل صفحة توجد ثلاث دوائر على مركز واحد.

[2] هكذا للضرورة الشعرية. ويقصد أن الدارة الوسطى؛ وهي دارة الميزان والحمل؛ هي مدار الاعتدال.

منشـــؤه مـــن قبـــة الكـــرسي[1]
يمر نحـــو الجـــانـــب السفـــلي
فإن تعـــد القطـــب سمـــة الوتـــد
وخط نصف الليـــل كل ذا ورد
وخطهـــا المدعـــو بخـــط الأفـــق
من مغرب يمـــر نحـــو المشـــرق
ثـــم دوايـــــر المقنطـــــرات[2]
كاملـــة وغيـــر كامـــــلات
وعـــد الارتفـــاع بينهـــا وضـــع
بحســـب اصطـــلاح من قد يصطنـــع
والنقطـــة الوســـطى بسمت الرأس قـــد
تدعى سمت السموت قـــد ورد
ومن هنالك السمـــوت أخرجـــت
أعدادها بين الخطوط أدرجـــت
وخـــط للأعـــراض والساعـــات
في الجهة السفـــلى وللأوقـــات
وثقب في القطب تســـمى المحـــور
وممســـك بفـــرس قد شهـــروا

*****

[1] الكـــرسي: هـــو الجـــزء البـــارزع، محيـــط الحجـــرة ومسمـــار العـــروة نافـــذ فيـــه.

[2] المقنطـــرات: هي خطـــوط العـــرض.

نكتفي بهذه المقدمة؛ **لمنظومة أزهار المطالب في الآسطرلاب**؛ لأنها مازالت مخطوطة وتستدعي تحقيقاً دقيقاً من قبل مختصين. لعل عرضها هنا يلفت أنظار المهتمين بميدان الفلك؛ فيتناولونها بالتحقيق والدراسة والشرح.

وما سبق ذكره ـــ من مؤلفات **الأخضري** ـــ لا يتجاوز عشرة أعمال؛ وهو العدد الذي تمكنا من الحصول عليه؛ على أننا سنواصل البحث عن بقية أعماله؛ بغرض نشرها في المستقبل؛ فنرجو من الله العون والتوفيق. ومع هذا؛ نشير بلمحة خاطفة إلى بعض الأعمال التي نتوقع الحصول عليها فيما بعد؛ منها:

ـــ **"الفريدة الغراء"** في التوحيد؛ ما زالت مخطوطة؛ ويملك الشيخ **عبد الرحمن الجيلالي** نسخة منها.

ـــ **"الدرة البهية"** في النحو. موجودة في بعض الزوايا بولاية بسكرة.

وبهذا نصل إلى نهاية هذا الفصل؛ الذي درسنا فيه بعض مؤلفات الإمام **عبد الرحمن الأخضري** التي حصلنا عليها وهي عشرة أعمال رئيسة:

1 ـــ رسالة في الحساب.

2 ـــ الدرة البيضاء.

3 ــ متن الأخضري في العبادات.

4 ــ المنظومة القدسية.

5 ــ الرائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

6 ــ القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.

7 ــ الجوهر المكنون في الثلاثة فنون.

8 ــ السلم المرونق في المنطق والحكمة.

9 ــ منظومة السراج في الفلك.

10 ــ أزهار المطالب في علم الأسطرلاب.

11ــ بالإضافة إلى القصيدة المنسوبة إليه عن النبي خالد. التي وضعت في الفصل الأول.

وقد حاولت جهدي التعريف بهذه المؤلفات مع الشرح والتحقيق؛ ولكن الإلتزام بصفحات محددة وقف أمامي عائقاً وكابحاً في الاستمرار بالشرح الكامل. وعليه؛ أرجو من الله التوفيق لما فيه الخير والفلاح.

تم بحمد الله وحفظه

*****




المـــلاحـــــق







وثيقــة ــ 1 ــ

(صفحــة أولى مــن مخطــوط منظومــة القدسيــة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

هذه منظومة العارف بالله

سيدي عبد الرحمن الأخضري المسماة

بالمنظومة القدسية

يقول راجي رحمة المقتدر
المذنب العبد الذليل الأخضري ١

بحمد رب العالمين ابتدى
ثم صلاته على محمد ٢

يا طالبا معالي كمال قدسه
وقاصدا لعلاج نفسه ٣

اعلم بأن الجوهر الإنساني
وهو الذي يدعونه الروحاني ٤

منشؤه في العالم العلوي
ومودع في القالب الجسمي ٥

لأنه في الأصل من جنس الملك
فصار مركوزا في عالم الملك ٦

فهذه جوهرة نفيسة
في الأصل في الدائرة القدسية ٧

دائرة التطهير والكمال
وعاقها عن ذاك الاتصال ٨

341

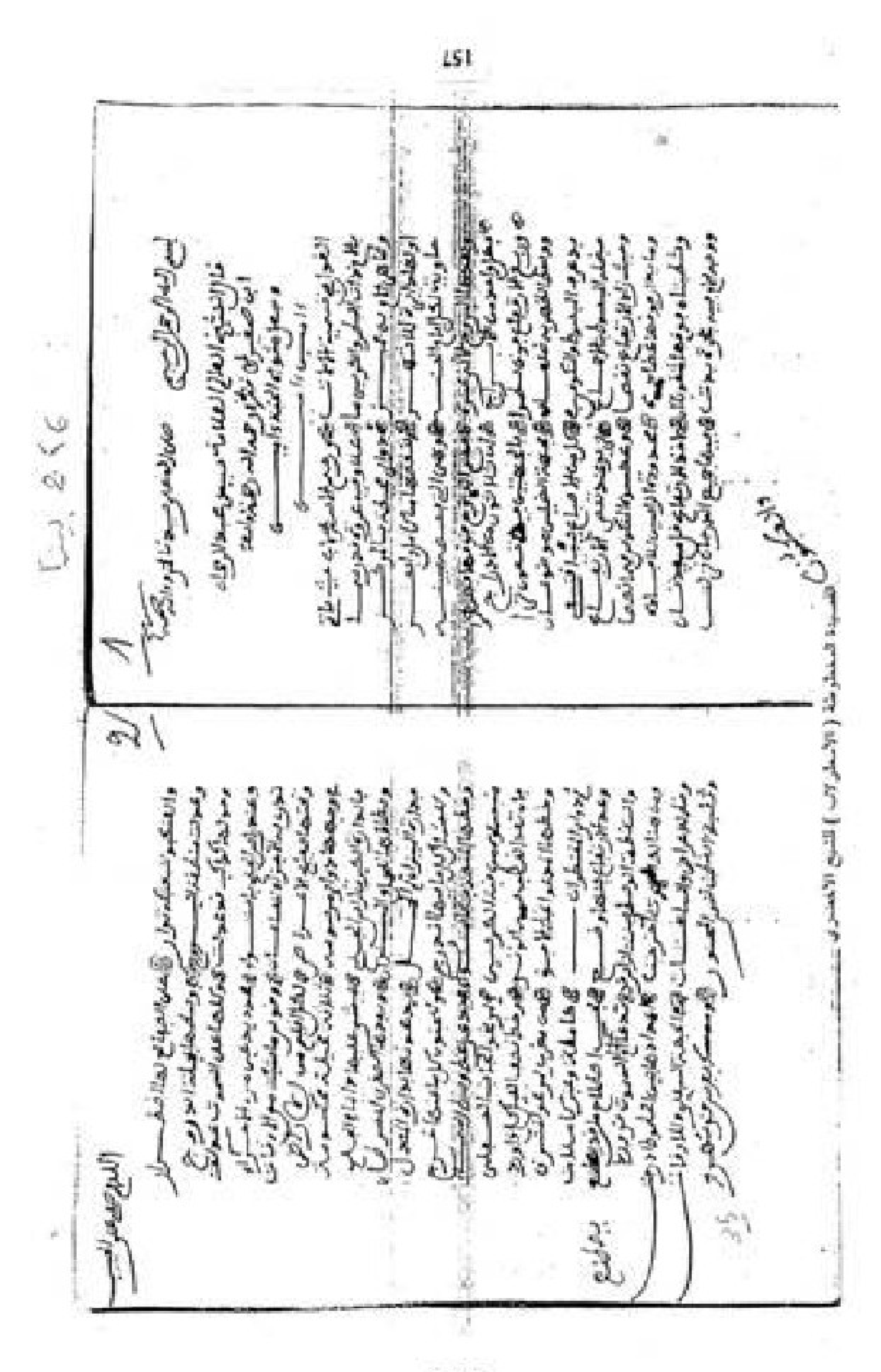






وثيقـــة ــ 2 ــ

(الصفحتـــان: الأولى والثانية لمخطـــوط ســـر منظومـــة القدسيـــة للشيـــخ بـــن مصبـــاح)












وثيقــة ــ 3 ــ

(الصفحــة الأولى مــن رائيــة الأخضــري في مــدح رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وسلــم)



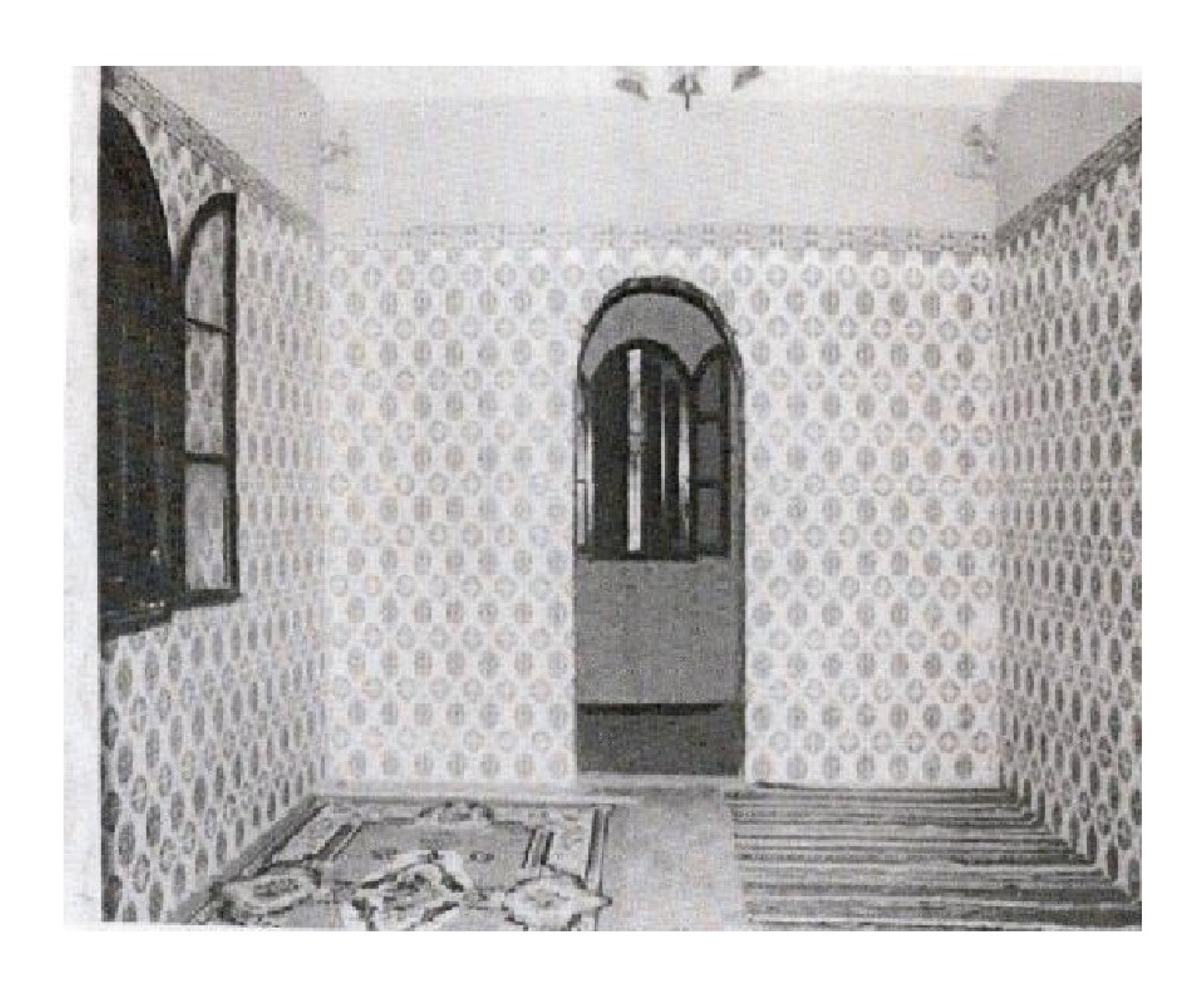
343






وثيقـــة ــ 4 ــ

(غرفـــة داخـــل ضريـــه العلامـــة عبـــد الرحمـــن الأخضـــري)









وثيقــة ــ 5 ــ

(مقــام العلامــة عبــد الرحمــن الأخضــري)







وثيقــة ــ 6 ــ

(مقــام العلامــة عبــد الرحمــن الأخضــري)








وثيقــة ــ 7 ــ

(مسجــد عبــد الرحمــن الأخضــري ببانطيــوس)










وثيقـــة ــ 8 ــ

(مسجـــد عبـــد الرحمـــن الأخضـــري وضريحـــه ببانطيـــوس)









المصادر والمراجع

ـ **القرآن الكريم**؛ مصحف الشروق المفسر الميسر، دار الشوق بالقاهرة، 1977م.

ـ **تفصيل آيات القرآن الحكيم**؛ لـچُولْ لأَبُومْ؛ ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي ببيروت 1954م. ويليه المستدرك (وهو فهرس مواد القرآن) لـ إدْوَارْ مُونْتِيَهْ.

ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**؛ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشروق (كتاب الشعب).

ـ **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد الغزالي، دار الفكر ومطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط: 1، 1975م.

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي، مكتبة المثنى ببغداد ومطبعة السعادة بمصر، ط: 1، 1328هـ.

ـ **الأعلام**؛ **خير الدين الزركلي**، مطبعة كوستا توماس وشركاه، ط: 2، 1954 ـ 1959 م.







ـ **تاريخ الجزائر الثقافي**؛ أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1981م.

ـ **تاريخ الجزائر العام**؛ عبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة ببيوت، 1980م.

ـ **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**؛ زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية ببيروت،

ـ **التلخيص في علوم البلاغة**؛ محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب؛ شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 2، 1932م.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية**؛ محمد ثابت الفندي وآخرون، القاهرة، 1933م.

ـ **رياض الصالحين**؛ يحيى بن شرف النووي، مكتبة محمد علي صبيح بمصر.

ـ **سنن الترميذي (وهو الجامع الصحيح)**؛ محمد عيسى بن سورة الترميذي؛ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ط: 3، 1978م.

ـ **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**؛ شرح أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، 1964م.







ـ **شرح قدسية الأخضري (مخطوط)**؛ شرح الحسين ابن أحمد زروق بن مصباح، مخطوط بالزاوية العثمانية بطولقة.

ـ **شفاء السائل لتهذيب المسائل**؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تعليق الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ببيروت، 1959م.

ـ **صحيح البخاري**؛ محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر ببيروت.

ـ **صحيح مسلم**؛ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري؛ شرح الإمام النووي، دار الفكر.

ـ **الطبقات الكبرى**؛ محمد بن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر بيروت، 1960م.

ـ **عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما.** وهو شرح لمختصر الأخضري في العبادات. لأبي محمد عبد اللطيف بن المسبح المرداسي؛ التوفي سنة 980هـ/1572م.

ـ **الغرة في شرح فقه الدرة (وهو شرح لقسم الفقه من الدرة البيضاء للأخضري)**؛ محمد الصادق الشطي، المطبعة التونسية بتونس، 1936م.








ــ **القصيدة الرائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم**؛ لعبد الرحمن الأخضري

ــ **القصيدة القدسية في التصوف**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **القصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان.** لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات**؛ محمد بن الطيب الباقلاني،؛ تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية ببيروت، 1958م.

ــ **كتاب شرح الدرة البيضاء**؛ للأخضري؛ صححه علي بن أحمد العدوي الشهير بالهواري.

ــ **الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية.** لشيخ الحسين الورثلاني؛ وهو شرح منظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس**، عبد الرحمن بن الصغير الأخضري؛ تصحيح ومراجعة محمد حبيب الله الشنقيطي المالكي،








المكتبة الأهلية بواد مدني بالسودان والمكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة،

ــ **مجموع مهمات المتون**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط: 4، 1949م.

ــ **محك النظر في المنطق**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ ضبط وتصحيح محمد بدر الدين النعساني، المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر ودار النهضة الحديثة ببيروت، 1966م.

ــ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**؛ علي بن الحسين المسعودي؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 3، 1958م.

ــ **معالم السنن** (شرح سنن الإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني)؛ شرح أحمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية ببيروت، ط: 2، 1981م.

ــ **معجم أعلام الجزائر**؛ عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ببيروت، ط: 2، 1980م.

ــ **معجم البلدان**؛ ياقوت الحموي، دار صادر ببيروت، 1977م.

ــ **معجم المطبوعات العربية والمعربة**؛ جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس، مكتبة سركيس بمصر، 1928م.







ـ **مفيد المحتاج في شرح السراج**؛ وهو شرح لكتاب السراج في علم الفلك لعبد الرحمن الأخضري؛ تولى شرح الكتاب سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر الميدوي.

ـ **مقدمة ابن خلدون**؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1965 ـ 1968م.

ـ **المقصد الأسنى (شرح أسماء الله الحسنى)**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي بالقاهرة، 1968م.

ـ **منظومة الأسطرلاب**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

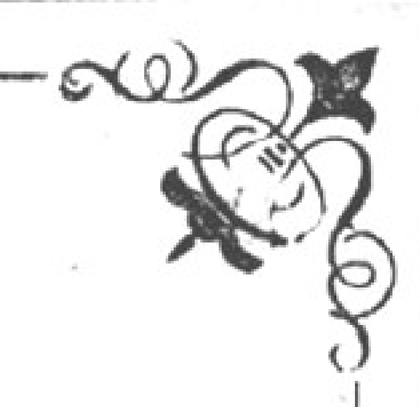
ـ **المواريث في الشريعة الإسلامية**؛ الشيخ حسن الخالد وعدنان نجا، دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت، 1967م.

ـ **موطأ الإمام مالك (برواية يحيى بن يحيى الليثي)**؛ مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث الأصبحي الحميري؛ إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، ط: 2، 1977م.

ـ **نشأة التصوف الإسلامي**؛ إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر، 1969م.







ـ **مجلـــة الأصالـــة**؛ وزارة الشئـــون الدينيـــة الجزائـــر، العـــــدد: 53، جانــفي 1978م.

— LE SOULLAM; TRAITÉ DE LOGIQUE; tradouire de L'ARABE par J.D. Luciani; ALGER; 1921.

*****







فهـــرس المحتويــات

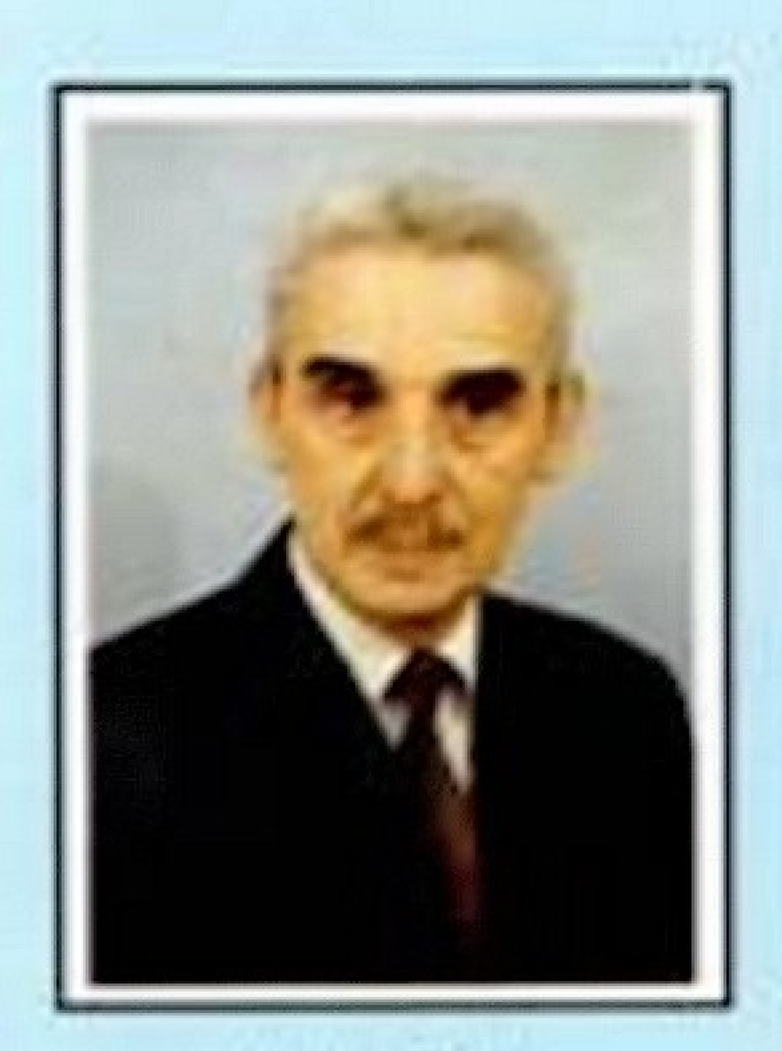












بوزياني الدراجي

.ولد بمدينة طولقة (ولاية بسكرة) في 17 ماي 1939م.

.نال شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة الجزائر سنة 1988م

.عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.

مؤلفاته المطبوعة:

1. نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.
2. اغاني الصبا "مجموعة شعرية".
3. هتاف الارض "شعر تمثيلي".
4. القبائل الامازيغية
5. دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس.
6. العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية "على ضوء الفكر الخلدوني".
7. ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية.
8. عبد الرحمن الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره.
9. اللعبة الخاسرة "مجموعة قصصية".
10. الكابوس "مجموعة قصصية".
11. نفاثة صدري "في السياسة والتاريخ والثقافة".

الكتب المحققة:

.بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (الجزء الثاني) ليحيى بن خلدون.

.زهر البستان في تاريخ بني زيان؛ مؤلف مجهول.

.نزهة النظار في فضل التاريخ والاخبار ((رحلة الورثلاني))؛ للشيخ الحسين بن محمد الورثلاني.

.الإحاطة في اخبار غرناطة؛ للسان الدين ابن الخطيب.

رقم الإيداع : 1478-2009





صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة